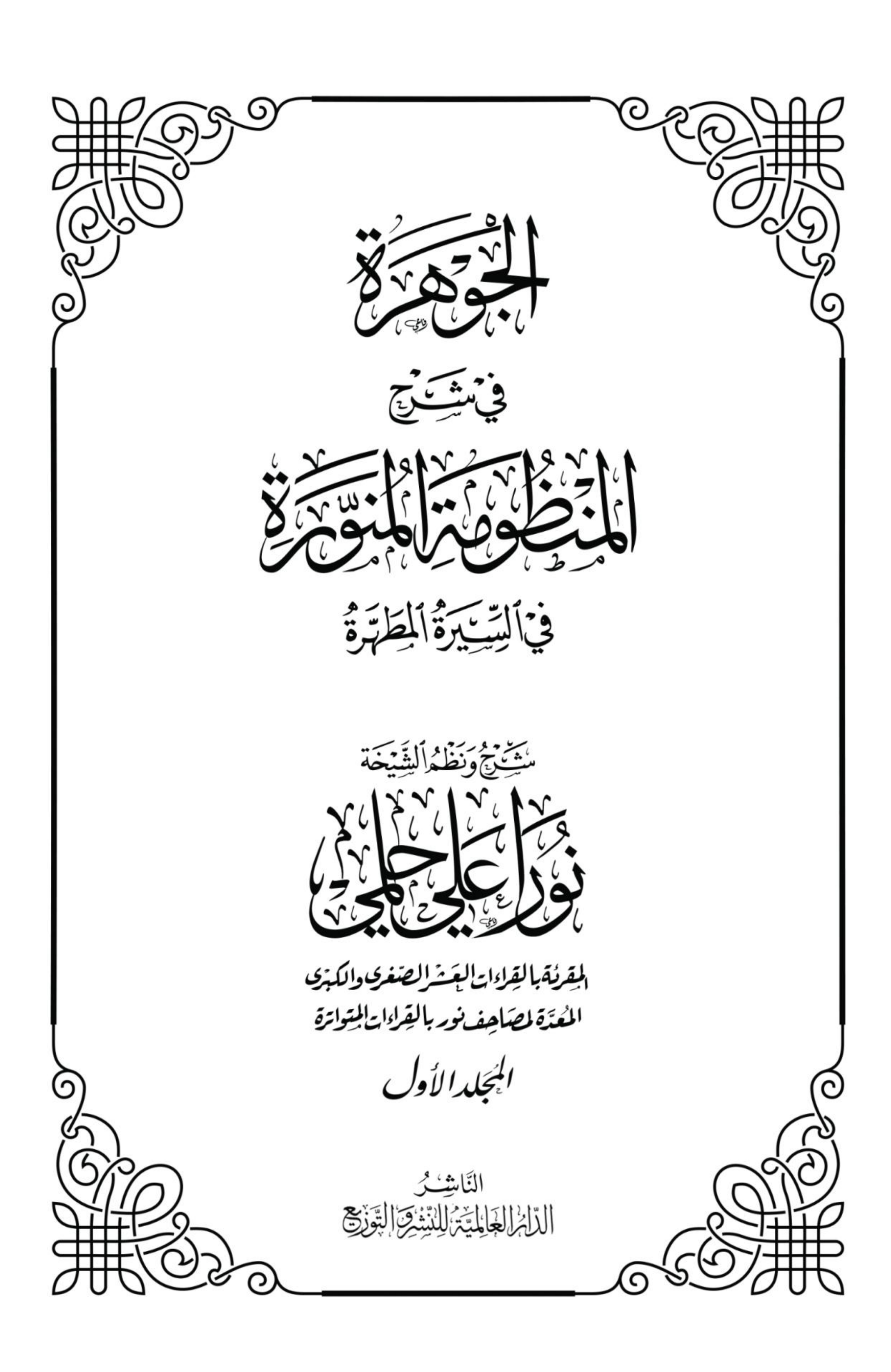

الجوهرة
في شرح
المنظومة المنورة
في السيرة المطهرة
شرح ونظم الشيخة
نور علي حلمي
المقرئة بالقراءات العشر الصغرى والكبرى
المعدة لمصاحف نور بالقراءات المتواترة
المجلد الأول
الناشر
الدار العالمية للنشر والتوزيع



الجوهرة

في شرح

المنظومة المنورة

في السيرة المطهرة

شرح ونظم الشيخة

نور علي حلمي

المقرئة بالقراءات العشر الصغرى والكبرى

المعدة لمصاحف نور بالقراءات المتواترة

المجلد الأول

الناشر

الدار العالمية للنشر والتوزيع

اسم الكتاب: الجوهرة في شرح المنظومة المنورة في السيرة المطهرة

عدد المجلدات: ثلاثة

رقم هذا المجلد: الأول

المؤلفة: الشيخة نورا علي حلمي حفظها الله

رقم الإيداع: ٢٣٠٥٥ /٢٠٢٤

الترقيم الدولي: ٧ – ٩٥٥ – ٧٤٤ – ٩٧٧ – ٩٧٨

الناشر: الدار العالمية للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى سيدنا رسول اللّه ﷺ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين عدد وملء كل شيء للحي القيوم إلى يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك إلها واحدا صمدا لم يتخذ صاحبةً ولا ولدا ولم يكن له كفوا أحد، أما بعد:

فمن ذاك الشعور الكامن في قلب مُحبَّةٍ للنبي الكريم سيدنا محمد ﷺ، انسالت المنظومة اللامية المنورة في السيرة النبوية المطهَّرة سلسالا ممتزجا بدمعي ورحيق شعوري راجية من الله الودود أن يتقبلها بواسع رحمته، وأن يرزقني بها جوار النبي ﷺ حيَّةً وميِّتةً في عافية، ويرزقني شفاعته ورفقته في الفردوس الأعلى من الجنة، ويجعل لكل مَن تلقاها بنفس شعوري مثل ذلك الأجر وزيادة، وأسأله سبحانه أن يبلغها لسيدنا رسول الله ﷺ خالصة مُخلَصةً مُتَقَبَّلَةً، مُعَطَّرَةً مرضية، وقد جاءت

هذه المنظومة بعد نظمي للرائية في الشمائل المحمدية، وشرعت الآن في شرحها شرحًا ميسرا لتكون بين يدي القارئ دانية الظلال قريبة المنال، واضحةً في معناها رشيقة في مبناها، والله من وراء القصد، وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين صلاةً وسلاما خالدَين مع خلود الله دائمين بدوام ملك الله، لا منتهى لهما دون علمه ولا منتهى لهما دون مشيئته، ولا آخر بعدها إلا القبول وعفوه وعافيته في الدارين، ورضاه، والحمد لله رب العالمين.

وكتبته

خادمة علوم المصحف الشريف



المقرئة بالقراءات العشر الصغرى والكبرى

المعدّة لمصاحف نور بالقراءات المتواترة

بسم الله الرحمن الرحيم



منهج الكتاب

لقد جاء بفضل الله الولي الحميد كتاب الجوهرة في ثلاثة مجلدات لكل لبيب مُريد، بومضات تشع منها أنوارُ السيرة النبوية الشريفة، وتنبثق أحداثها من ثلاثة محاور لطيفة:

١- المنظومة الْمُنَوَّرة في السيرة المطهرة: وهي منظومة جامعة تحقق الاختصار مع الإلمام بأهم الأحداث، وذلك في مائتين وسبعة عشر بيتا.

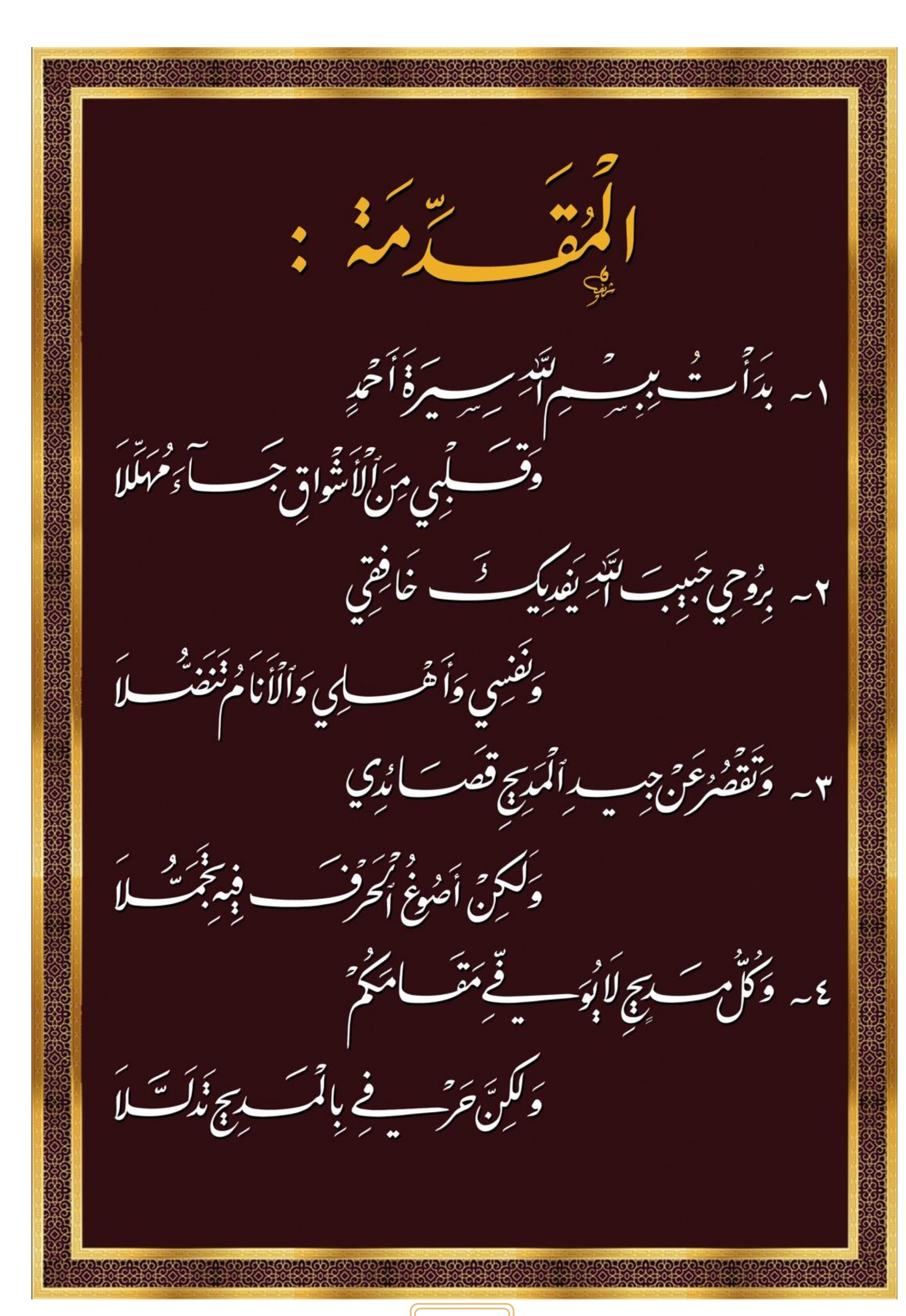
٢- شرح للمنظومة المنورة: قد جاء بتفصيل أحداث السيرة المطهرة كاملة بعد إجمال ذكرها في المنظومة.

٣- تتويج بالآثار الإيمانية والفوائد التربوية للأحداث النبوية من خلال ومضات الجوهرة المتناثرة بين صفحات الكتاب.

ولِعَزْوِ السرد التاريخي في الكتاب يتضح أن ما جاء في الجوهرة من وصف لأحداث السيرة المطهرة أو أبيات شعرية تخللت السطور المعطَّرة هو بمدادي الذي رغم تواضعه خجلًا بمهجتي قد انسكب؛ فعانقَت أشواقُها السطورَ أملًا من نبض فؤادي المحب، وذلك عدا كل فِقْرة بها رقم حاشية قد كُتِب؛ للاستشهاد بنَصِّها أو نَسَبتُها لقائل شكره عَلَيَّ وجب، ودعائي له الذي بذكره ولِبِرِّهِ غَلَب، مع تتويج الفقرات بعبير الأحاديث الشريفة ونور الآيات الكريمة التي تعزِّزُ صحةَ ما نُسِب؛ سائلة ربي أن يتقبل هذا العمل برحمته صدقةً على مسكينته إنه قد علم وسمع، ويتقبل مِن كل مَن أفاد واستفاد، ونفع وانتفع، وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين عدد وملء كل شيء إلى يوم الدين، والحمد والشكر لله أكرم مسئول وخير مأمول، حمدا وشكرا خالدَين دائمَين بدوامه الذي لا يزول، مضاعفَين لا آخر بعدهما إلا العفو والعافية في الدارين والقبول.

المَنظُومَةُ اللَّامِيَّةُ المُنَوَّرَةُ
في
السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ ﷺ المُطَهَّرَةِ

تَأْلِيفُ فَضِيلَةِ الشَّيْخَةِ د. نُورا علي حلمي حَفِظَهَا اللَّهُ


المُقَدِّمَة :
١ـ بَدَأْتُ بِبِسْمِ اللهِ سِيرَةَ أَحْمَدٍ
وَقَلْبِي مِنَ الأَشْوَاقِ جَاءَ مُهَلِّلَا
٢ـ بِرُوحِي حَبِيبَ اللهِ يَفْدِيكَ خَافِقِي
وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَالأَنَامُ تَنَفُّضُّلَا
٣ـ وَتَقْصُرُ عَنْ جِيدِ المَدِيحِ قَصَائِدِي
وَلَكِنْ أَصُوغُ الحَرْفَ فِيهِ تَجَمُّلَا
٤ـ وَكُلُّ مَدِيحٍ لَا يُوَفِّي مَقَامَكُمْ
وَلَكِنَّ حَرْفِي بِالمَدِيحِ تَدَلَّلَا

٥ـ وَإِن قَلَّ جُهدِي وَالْبَيَانُ فَأَدْمُعِي
وَرَبَّ الْوَرَىٰ تَرْجُوهُ أَنْ يَتَقَبَّلا

٦ـ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ جِئْتُ مَحَبَّةً
وَكَمْ كُنْتُ أَشْتَاقُ الْمَجِيءَ لِأَنْهَلا

٧ـ وَأَسْكُبُ أَشْوَاقِي إِلَيْكَ وَأَرْتَجِي
مِنَ اللهِ أَنْ يُرْضِيكَ عَنِّي تَفَضُّلا

٨ـ وَأَحْمَدُ رَبِّي سَيِّدِي أَنْ أَعَانَنِي
وَقَطَّرَ شَهْدَ الْحَرْفِ فِيكَ مُعَسَّلا

٩ـ عَلَيْكَ صَلَاةُ اللهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
بِأَضْعَافِ مَا قَالَ الْعِبَادُ وَرُتِّلا

اسم النبي ﷺ :

يليه تعريفٌ مختصرٌ بأسرته

١٠ - بِاسْمِ الْحَبِيبِ السَّطْرُ بِالنُّورِ كُلِّلَا
فَخَفَّتْ عَلَى لَوْنِ الْمِدَادِ تَسَلُّلَا

١١ - وَتَاللهِ لَوْ غَابَ الْمِدَادُ جَمِيعُهُ
لَأَفْصَحَ ذَاكَ النُّورُ عَنْهُ وَدَلَّلَا

١٢ - مُحَمَّدُ عَبْدُ اللهِ مِنْ عَبْدِ مُطَّلِبْ
وَمِنْ هَاشِمٍ عَبْدِ الْمَنَافِ تَظَلَّلَا

١٣ - قُصَيٍّ حَكِيمٍ(١) ثُمَّ مُرَّةَ كَعْبِهِمْ
لُؤَيِّ بْنِ غَالِبْ فِهْرَ مَالِكَ فَاعْقِلَا

---

(١) حَكِيم : اسمه كِلاب واللقب حكيم .

١٤ـ وَنَضرٍ كِنَانَةٍ مِنْ خُزَيمَةَ مُدرِكَةَ
وَإِلْيَاسَ مُضَرٍ مِنْ نِزَارٍ تَنَبَّلَا

١٥ـ مَعَدِّ بنِ عَدْنَانٍ لِوُلْدِ الخَلِيلِ قَدْ
أَتَى نَسَبُ الهَادِي بِعِزٍّ تَنَقَّلَا

١٦ـ وَزَوجَاتُ هَادِينَا شُمُوعٌ مُضِيئَةٌ
وَهُنَّ اللَّوَاتِي حُزْنَ بِالمُصْطَفَى العُلَا

١٧ـ وَهُنَّ عُطُورُ لِلمَجَالِسِ كُلِّهَا
وَهُنَّ رَحِيقٌ خَتْمُهُ المِسْكُ أَذْهَلَا

١٨ـ وَهُنَّ اللَّوَاتِي لِلأُمُومَةِ قِبْلَةٌ
وَبُسْتَانُ صِدْقٍ فَاضَ طِيبًا قَرَنْفُلَا

١٩ - خديجةٌ، سودة، عائشُ، حفصةٌ تلت
وبنتُ خزيمٍ زينبٌ فتأملا

٢٠ - وزينبُ قالوا بنتُ جحشٍ، جويريةٌ
وَرَملةُ حازتْ مع صفيّةَ موئلا

٢١ - وهندٌ وميمونةُ هُنا تمّ وانتهى
عليهنّ رضوانُ الجليلِ تنزّلا

٢٢ - وملكُ يمينِ المصطفى هي ماريةٌ
وريحانةُ اختارتْ محمّدَ معقلا

٢٣ - وأولادُها دينًا همُ من خديجةٍ
سوى اسمِ إبراهيمَ من ماريةٍ جلا

٢٤- فَقُلْ قَاسِماً مَعْ زَيْنَبٍ مَعْ فَاطِمَةٍ
رُقَيَّةَ، عَبْدُ اللَّهِ بِالطَّيِّبِ اعْتَلَى

٢٥- وَقُلْ أُمُّ كُلْثُومٍ وَلَا تَنْسَ حِبَّنَا
فَلِلذِّكْرِ إِبْرَاهِيمَ قُلْنَاهُ أَوَّلَا

٢٦- ثَمَانِيَةٌ أَسْبَاطُهُمْ : أُمَامَةٌ
عَلِيٌّ حُسَيْنٌ مُحْسِنٌ زَيْنَبُ الْعَلَا

٢٧- وَمَعْ أُمِّ كُلْثُومٍ إِلَى الْحَسَنِ اخْتِمْ
بِذِكْرٍ لِعَبْدِ اللَّهِ عَنْهُمْ تَرَحَّلَا

٢٨- وَإِخْوَةُ هَادِينَا لَهُ مِنْ رَضَاعَةٍ
أُنَيْسَةُ، عَبْدُ اللَّهِ، شَيْمَاءُ، وَاسْأَلَا

٢٩- حَلِيمَةَ لَكِنْ كَانَ عِنْدَ ثُوَيْبَةٍ
أَبُو سَلَمَةٍ وَالإِبْنُ مَسْرُوحُ نُوِّلَا

٣٠- وَأَرْضَعَتِ الْهَادِي وَحَمْزَةَ عَمَّهُ
كَذَا وَأَبُو سُفْيَانَ فَازَ وَخُضِّلَا

٣١- وَأَعْمَامُ هَادِينَا ضِرَارٌ وَحَارِثٌ
وَحَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ قُثَمُ وَقَدْ خَلَا

٣٢- أَبُو طَالِبٍ غَيْدَاقُ مَعْ عَبْدِ كَعْبَةٍ
زُبَيْرٍ، أَبِي لَهَبٍ، مُقَوِّمَ، حَجَّلَا[2]

٣٣- وَعَمَّاتُهُ أَرْوَى، صَفِيَّةُ، بَرَّةٌ
وَأُمُّ حَكِيمٍ مَعْ أُمَيْمَةَ فَاشْمَلَا

---

(٢) حجل: اسم عم من أعمام النبي ﷺ

٣٤ـ وَعَاتِكَــةُ كَانَتْ خِتَامًا لَهُنَّ قَـدْ
تَبَـاهَى بِعِزِّ الْقُرْبِ مِنْهُ وَطُـلَّا

مِنَ الْمِيلَادِ لِلْبِعْثَةِ ﷺ

عام الفيل، ٤٠ قبل البعثة ٥٧٠م

٣٥ ـ بِعَـامٍ تَسَمَّى الْفِيـلَ كُنْ مُتَـأَمِّلَا
وَفِي أَرْبَعِيـنَ قَبْلَ بَعْثَتِهِ مَنْ حَـلَا

٣٦ ـ تُوُفِّـيَ عَبْـدُ اللَّـهِ وَالِدُ أَحْمَـدٍ
بِخَمْسٍ وَعِشْـرِينَ ارْتَقَى وَتَنَقَّـلَا

٣٧ ـ وَأَبْرَهَـةٌ قَدْ جَـاءَ لِلْهَدْمِ مَكَّةً
وَمَوْلِدُهَـا دِينًا هُنَـا قَدْ تَهَـلَّلَا

٣٨ ـ بِالاثْنَيْنِ اثْنَي عَشْرَ حَسْبَ الَّذِي اشْتُهِرْ
بِشَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ الْمَوْلِدُ انْجَلَى

٣٩ ـ وَفِي أَرْبَعٍ مِنْ عُمْرِهِ حَادِثٌ لَهُ
تُسَمَّى بِشَقِّ الصَّدْرِ جَاءَ مُزَلْزِلَا

٤٠ ـ وَفِي عُمْرِ سِتٍّ سَافَرَ الْمُصْطَفَى إِلَى
مَدِينَتِهِ مَعْ أُمِّهِ مُتَنَقِّلَا

٤١ ـ وَسَارَا وَبِالأَبْوَاءِ مَاتَتْ لِحِكْمَةٍ
وَآمِنَةُ اسْمٌ لَهَا قَدْ تَأَصَّلَا

٤٢ ـ وَبَعْدَ وَفَاةِ الأُمِّ جَدُّ الْحَبِيبِ قَدْ
تَوَلَّى شُؤُونَ الْمُصْطَفَى وَتَكَفَّلَا

٤٣ - بِتِسْعٍ بُعَيْدَ الْفِيلِ جَدُّكَ سَيِّدِي
تُوُفِّيَ وَأَنْتَ ابْنُ الثَّمَانِي تَحَمُّلَا

٤٤ - وَمُذْ مَاتَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ جَدُّ أَحْمَدٍ
أَبُو طَالِبٍ عَمُّ الْحَبِيبِ تَدَخَّلَا

٤٥ - وَمَعْ عَمِّهِ لِلشَّامِ قَدْ خَرَجَ النَّبِي
صَغِيرًا بِاثْنَيْ عَشْرَ مِنْ عُمْرِهِ خَلَا

٤٦ - رَآهُ بُحَيْرَى فَاسْتَنَارَ جَبِينُهُ
وَقَالَ: رَسُولُ اللهِ هَذَا وَهَلَّلَا

٤٧ - وَفِي عُمُرِ عِشْرِينَ الْحَبِيبُ قَدِ ابْتَدَا
مُشَارَكَةَ الْعَمِّ الْحُرُوبَ وَأَقْبَلَا

٤٨ ـ وَفِي حَرْبِ فُجَّارٍ تَشَارَكَهُ بِلَا
مُبَاشَرَةٍ لِلْحَرْبِ أَوْ أَنْ يُقَتِّلَا

٤٩ ـ وَكَانَ بُعَيْدَ الْحَرْبِ حِلْفُ الْفُضُولِ قَدْ
تَوَاجَدَ فِيهِ الْمُصْطَفَى فَتَجَمَّلَا

٥٠ ـ بِعِشْرِينَ عَامًا قَبْلَ بَعْثَتِهِ أَتَى
لِنُصْرَةِ مَظْلُومٍ وَأَعْمَامُهُ تَلَا

٥١ ـ وَأَعْطَتْهُ أَمْوَالًا خَدِيجَةُ حِينَمَا
بِصِدْقِ الْحَبِيبِ الْكُلُّ قَالَ وَأُشْغِلَا

٥٢ ـ وَسَافَرَ لِلشَّامِ الْأَمِينُ تِجَارَةً
بِأَمْوَالِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ لِيَعْمَلَا

٥٣ - بخمسٍ وعشرين الحبيبُ، وعمرها
روى أربعين الكلّ لمّا تأهّلا

٥٤ - بعقدٍ ونصفٍ قبل بعثته أتى
زواجهما بالخير برًّا معجّلا

٥٥ - وأمّا بخمسٍ قبل بعثته مضت
من السنوات الشّاهدات بما خلا

٥٦ - فتمّ اختيار المصطفى كمحكّمٍ
قبائلهم تُصغي له ليُعدّلا

٥٧ - وللحجر الوضعُ استقام بعهده
وجُدّد للبيت العتيق وأُبدلا

٥٨ - بِعَامَيْنِ قَبْلَ الْبَعْثَةِ الْمُصْطَفَى ابْتَدَا
يَرَى لِلنُّبُوَّةِ مَا تَقَدَّمَ وَاجْتَلَى

٥٩ - فَمِنْ حَجَرٍ تَسْلِيمُهُ، وَرُؤًى كَمَا
بِغَارِ حِرَاءٍ قَدْ تَعَبَّدَ وَاخْتَلَى

ٱلعَهدُ ٱلمَكيُّ ﷺ (١-١٣) ٱلبَعثَةِ

أَوَّلاً: السَّنَةُ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ وَالثَّالِثَةُ

٦٠ - وَسَاءَلَ ضَوْءُ ٱلشَّمْسِ عَنْ سِرِّ مَا جَرَى
فَقِيلَ لَهُ ٱلزَّهْرَاءُ هَلَّتْ فَأُخْجِلَا

٦١ - ثَلَاثَةُ أَعْوَامٍ رَوَانَا نَمِيرُهَا
أَتَتْ بَعْدَ بَدْءِ ٱلْبَعْثَةِ احْفَظْ مُبَسْمِلَا

٦٢ - بِغَارِ حِرَاءٍ جَاءَهُ ٱلْوَحْيُ حِينَمَا
غَدَا رُشْدُهُ فِي ٱلْأَرْبَعِينَ مُكَمَّلَا

٦٣ - إِلَى وَرَقَةَ ٱلْهَادِي أَبَاحَ بِسِرِّهِ
وَرَاحَ لِنُصْحٍ مِنْ خَدِيجَةَ أُسْدِلَا

٦٤ - فَأَخْبَرَهُ أَنَّ النُّبُوَّةَ دَرْبُهُ
وَأَسْلَمَ بَعْضُ الصَّحْبِ فَانْظُرْ مُفَصَّلًا

٦٥ - خَدِيجَةُ وَالصِّدِّيقُ مَعَ زَيْدٍ مَعَ عَلِي
بِأَوَّلِ يَوْمٍ وَالْيَقِينُ تَنَزَّلَا

٦٦ - وَبِالسِّرِّ بَدْءُ الدَّعْوَةِ الْمُصْطَفَى نَوَى
وَأَسْلَمَ عُثْمَانُ وَطَلْحَةُ أَقْبَلَا

٦٧ - وَجَاءَ زُبَيْرٌ مُسْلِمًا وَابْنُ عَوْفِهِمْ
هُنَا بِيَدِ الصِّدِّيقِ ذَاقُوا تَبَتُّلَا

٦٨ - وَأَسْلَمَ خَبَّابٌ وَسَعْدُ بْنُ زَيْدٍ وَابْنُ
مَسْعُودٍ وَالْأَرْقَمُ وَمُصْعَبُ هَلَّلَا

٦٩ ـ عُبَيْدَةُ مَعْ عُثْمَانَ مَعْ أَخَوَيْهِ جَا
وَفَاطِمَةُ ٱلْخَطَّابُ أُشْهِدَتْ ٱلْعُلَا

٧٠ ـ وَبَاتَ أَبُو عُبَيْدَةَ ٱلْبَرُّ مُسْلِمَا
فَيَا رَبِّ رِضْوَانًا عَلَيْهِمْ مُنَزَّلَا

مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِلْبَعْثَةِ
وَحَتَّى نِهَايَةِ ٱلْعَهْدِ ٱلْمَكِّيِّ

٧١ ـ وَفِي رَابِعِ ٱلْأَعْوَامِ لِلْبَعْثَةِ ٱجْتَلَى
لِدَعْوَتِهِ جَهْرًا نَهَارُ تَمَثَّلَا

٧٢ ـ وَفِي خَامِسِ ٱلْأَعْوَامِ لِلْبَعْثَةِ ٱلنَّقَا
إِلَى حَبَشٍ فِي هِجْرَتَيْنِ تَنَقَّلَا

٧٣ ـ بِأُولَاهُمَا: مِنْ نِسْوَةٍ أَرْبَعٌ كَمَا
مَضَى عَشْرَةٌ مَعْ وَاحِدٍ مِثْلِهِمْ عَلَا

٧٤ ـ وَأَمَّا بِثَانِي الْهِجْرَتَيْنِ رِجَالُهَا
ثَمَانُونَ مَعْ اِثْنَيْنِ رَامُوا تَفَضُّلَا

٧٥ ـ وَفِي الْحُورِ عَشْرٌ مَعْ ثَمَانٍ تَسَابَقَتْ
إِلَى الْخُلْدِ بِالْجَنَّاتِ فَابْتَغَنَ مَنْزِلَا

٧٦ ـ وَفِي سَادِسِ الْأَعْوَامِ لِلْبَعْثَةِ اهْتَدَى
إِلَى الْحَقِّ فَارُوقٌ وَحَمْزَةُ مُقْبِلَا

٧٧ ـ وَأَخْفَقَ فِي إِرْجَاعِ مَنْ هَاجَرُوا إِلَى
النَّجَاشِي ابْنُ عَاصٍ حِينَ شَاءَ وَأُفْشِلَا

٧٨ ـ وَفي سَابِعِ ٱلأَعْوَامِ لِلبُعْثَةِ ٱكْتُتِبْ
بِشِعْبِ أَبِي طَالِبٍ حِصَارٌ تَوَغَّلَا

٧٩ ـ وَفِي ثَامِنِ ٱلأَعْوَامِ لِلبُعْثَةِ ٱرْتَقَى
حِصَارُهُمُ مَعْ تَاسِعٍ طَلَّ مُسْدَلَا

٨٠ ـ وَفِي عَاشِرِ ٱلأَعْوَامِ لِلبُعْثَةِ ٱنْتَهَى
حِصَارُهُمُ لِلْمُسْلِمِينَ وَأُبْطِلَا

٨١ ـ وَسُمِّي بِعَامِ ٱلْحُزْنِ لَمَّا خَدِيجَةُ
وَعَمُّ ٱلْمُقَفَّى فِيهِ مَاتَا وَغُسِّلَا

٨٢ ـ وَلِلطَّائِفِ ٱلْمُخْتَارُ سَافَرَ دَاعِيًا
وَسَوْدَةُ أَضْحَتْ زَوْجَهُ وَتَأَهَّلَا

٨٣ ـ وَأُسْرِيَ بِالْهَادِي وَمِعْرَاجُهُ بِهِ
وَنِلْنَا مِنَ اللهِ الصَّلَاةَ لِنُوصَلَا

٨٤ ـ وَأَمَّا بِإِحْدَى عَشْرَةً بَعْدَمَا بُعِثْ
هُدِي سِتَّةٌ فِيهَا مِنَ الْخَزْرَجِ الْأُلَى

٨٥ ـ دَعَاهُمْ رَسُولُ اللهِ وَاللهُ قَدْ قَضَى
سَقَايَتَهُمْ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ سَلْسَلَا

٨٦ ـ وَجَاءَتْ بِإِثْنَيْ عَشْرَةً بَعْدَمَا بُعِثْ
لَنَا الْبَيْعَةُ الْأُولَى لِعَقَبَةٍ تُجْتَلَى

٨٧ ـ وَأَسْلَمَ مِنْ أَوْسٍ وَمِنْ خَزْرَجٍ هُنَا
ثَمَانٍ وَمَعْهُمْ أَرْبَعُ فَاجْمَعِ الْمَلَا

٨٨ ـ وَأَرْسَلَ هَادِينَا لِطَيْبَةَ مُصْعَبًا

سَفِيرًا بِنُورِ اللهِ يَهْدِي مُبَجَّلَا

٨٩ ـ وَزِدْ سَنَةً بَعْدَ الَّتِي ذُكِرَتْ تَجِدْ

أُسَيْدًا وَسَعْدًا أَسْلَمَا وَتَبَتَّلَا

٩٠ ـ وَتَأْتِيكَ ثَانِي بَيْعَةٍ وَقَدِ اهْتَدَى

ثَمَانُونَ إِلَّا خَمْسَةً فَتَفَصَّلَا

٩١ ـ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَا مَعَ امْرَأَتَيْنِ قَدْ

هُدُوا الْحَقَّ مِنْ أَوْسٍ وَمِنْ خَزْرَجٍ إِلَى

٩٢ ـ أَنِ اخْتَارَتِ الْأَنْصَارُ مِنْ خَزْرَجٍ لَهُمْ

بِأَمْرِ الْمُقَفَّى تِسْعَةً لِتُكَمَّلَا

٩٣ ـ وَتَخْتَارُ مِنْ أَوْسٍ عَلَيْهِمْ ثَلَاثَةً
وَكُلُّهُمُ أَضْحَى نَقِيبًا مُفَضَّلَا

٩٤ ـ وَهَاجَرَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ لِطَيْبَةٍ
وَمَكْرُ قُرَيْشٍ كَانَ فِيهَا مُخَذَّلَا

٩٥ ـ عَلَى قَتْلِ هَادِينَا تَآمَرَ جَمْعُهُمْ
فَبَاءُوا بِسُخْطٍ وَالْحَبِيبُ قَدِ اعْتَلَى

٩٦ ـ بِنَفْسِي رَسُولَ اللهِ، وَالرُّوحُ بِي فِدًى
وَأَفْدِي تُرَابًا فِي خُطَاكَ تَزَمَّلَا

٩٧ ـ تَبَدَّتْ بُدُورٌ فِي فُؤَادِي كَأَنَّهَا
بِنُورِ مُحَيَّاكُمْ مَلَاكٌ تَنَزَّلَا

٩٨ ـ وَسَاءَلْتُ قلبِي فَاسْتَبَاحَ تَعَجُّبِي
فَفَتَّشْتُ حَتَّى لاحَ إِسْمُكَ وَانجَلَى

٩٩ ـ وَوَاللهِ لَوْلَا أَنْ حُرِمْتُ بِغُرْبَتِي
لَأُسْكَنْتُ أَعْتَابًا لَكُمْ مُتَوَسِّلَا

١٠٠ ـ وَأَفْنَيْتُ نَفْسِي فِي حِرَاسَةِ أَمْنِكُمْ
وَتَفْنَى لِتَحْيَا فِي رِضَاكَ وَتُرْفَلَا

١٠١ ـ وَمَا كُنْتُ أَغْفُو حِينَ تَغْفُو لِحَاظُكُمْ
حَرَامٌ عَلَى جَفْنِي إِذَا عَنْكَ أُغْفِلَا

العهد المدني (١-١١ هجرية)

١٠٢ - وَكَانَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ هِجْرَةُ أَحْمَدٍ
وَرَافَقَهُ الصِّدِّيقُ فِيهَا وَوَصَّلَا

١٠٣ - إِلَى طَيْبَةٍ مِنْ مَكَّةٍ هَاجَرَا مَعًا
بِسَابِعَ مَعْ عِشْرِينَ مِنْ صَفَرَ الْعُلَا

١٠٤ - ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ بِثَوْرٍ مُكُوثُهُ
وَأَمَّا قُبَاءٌ أَرْبَعٌ مِنْهُ جُمِّلَا

١٠٥ - بِالاثْنَيْنِ اثْنَيْ عَشْرَ شَهْرِ رَبِيعَ قَدْ
أَتَى أَوَّلًا، وَأَسَّ الْمَسْجِدُ الْأَوَّلُ اعْتَلَى

١٠٦ - فَقَدْ وَصَلَ الْهَادِي قُبَاءً وَحِبُّهُ
وَأَسَّسَهُ عِنْدَ الْوُصُولِ مُبَسْمِلَا

١٠٧ ـ وَقَابَلَهُ أَهْلُ المَدِينَةِ وَاحْتَفَوْا
مِنَ الفَرَحِ بِالهَادِي وَأَبْدَوْا تَهَلُّلَا

١٠٨ ـ وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ يَبْنِي بِطَيْبَةٍ
لَهُمْ مَسْجِدًا بِاسْمِ الحَبِيبِ تَخَضَّلَا

١٠٩ ـ وَآخَى المُقَفَّى بَيْنَ أَنْصَارِ طَيْبَةٍ
وَمَنْ هَاجَرُوا حَتَّى غَدَا الصَّعْبُ أَسْهَلَا

١١٠ ـ وَفِي نَفْسِ عَامِ الهِجْرَةِ المُصْطَفَى رَأَى
ضَرُورَةَ إِعْلَانِ الوَثِيقَةِ فَيْصَلَا

١١١ ـ وَأَسَّسَ هَادِينَا بِطَيْبَةَ دَوْلَةً
بِهَا العَدْلُ إِسْلَامِيَّةً وَتَوَكَّلَا

١١٢ - وَفي نَفسِ عامِ الهِجرَةِ انعَقَدَت لَهُم
مُعاهَدَةُ الهادي اليَهُودَ تَهَدَّلا

١١٣ - كَما قَد بَنَى المُختارُ فيهِ بِعائِشٍ
وَكانَت بِعُمرِ التِّسعِ نُضجًا تَكَمَّلا

١١٤ - وَأَسلَمَ سَلمانُ المُنادَى بِفارِسي
وَقَد أَذِنَ المَولَى بِحَربٍ وَعَلَّلا

١١٥ - فَمَن قاتَلُونا مِن قُرَيشٍ لِظُلمِهِم
بِسُورَةِ حَجٍّ إِذنُهُ قَد تَرَتَّلا

١١٦ - وَفي نَفسِ عامِ الهِجرَةِ الأَوَّلِ ابتَدا
وَحُقِّقَ تَشريعُ الأَذانِ وَأُعمِلا

١١٧ ـ وَفِي ثَانِي ٱلْأَعْوَامِ لِلْهِجْـرَةِ اكْتَسَى
أُلِحِجِهَا دُبُثُوبِ ٱلْفَرْضِ فِيهِ وَأُصِّلَا

١١٨ ـ مِنَ ٱلْقُدْسِ لِلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ فَوَجْهُنَا
لِأَمْرِ ٱتِّجَاهِ ٱلْقِبْلَةِ ٱلْهَامُ حُوِّلَا

١١٩ ـ وَفَرْضُ زَكَاةٍ مَعْ صِيَامٍ لِفِطْرِهِ
زَكَاةٌ ، وَصَلَّى ٱلْعِيدَ مَنْ قَدْ تَنَفَّلَا

١٢٠ ـ وَفِي رَمَضَانَ ٱلنَّصْرُ بِٱلْغَزْوَةِ ٱلَّتِي
تَسَمَّتْ بِبَدْرٍ لَنْ يَغِيبَ وَيُغْفَلَا

١٢١ ـ وَأَوَّلُ مَوْلُودٍ بِهِجْرَتِهِمْ فَلِلزْ
زُبَيْرِ وَعَبْدُ ٱللَّهِ ٱسْمٌ لَهُ عَلَا

١٢٢ ـ وَغَزْوُ تُسَمَّى قَيْنُقَاعًا وَفِيهِ قَدْ
مَضَى بِجَلاءٍ عَمُّهُمْ وَتَعَجَّلا

١٢٣ ـ وَفِي ثَانِي الأَعْوَامِ لِلْهِجْرَةِ الْتَقَتْ
رُقَيَّةُ بِنْتُ الْمُصْطَفَى بِالرَّدَى الْعُلَا

١٢٤ ـ وَزُوِّجَتِ الزَّهْرَاءُ بِنْتُ الْحَبِيبِ مِنْ
عَلِيٍّ بِنَفْسِ الْعَامِ فَاحْفَظْ لِتَفْضُلا

١٢٥ ـ وَفِي ثَالِثِ الأَعْوَامِ مِنْ هِجْرَةٍ كَفَى
زَوَاجُ رَسُولِ اللهِ مِنْ حَفْصَةَ الْوَلَا

١٢٦ ـ بِهِ غَزْوَةٌ فَاعْرِفْ هُنَا أُحُدَ الَّتِي
بِسَبْعِينَ أَمْسَتْ لِلشَّهَادَةِ مَدْخَلا

١٢٧ ـ كَمَا فِيهِ مِيلَادُ ابْنِ فَاطِمَةَ الْحَسَنِ
وَحَمْرَاءُ أُسْدٍ غَزْوَةٌ كَيْ أُسَهِّلَا

١٢٨ ـ وَزُوِّجَ عُثْمَانُ ابْنَةَ الْمُصْطَفَى الَّتِي
مَضَتْ أُمَّ كُلْثُومٍ زَوَاجًا مُبَجَّلَا

١٢٩ ـ وَفِي نَفْسِ هَذَا الْعَامِ غَدْرٌ بِعَشْرَةٍ
مِنَ الصَّحْبِ لَمَّا بِالرَّجِيعِ تَقَتَّلَا

١٣٠ ـ وَفِي رَابِعِ الْأَعْوَامِ لِلْهِجْرَةِ اقْتُلْ
مِنَ الصَّحْبِ سَبْعُونَا بِغَدْرٍ تَأَصَّلَا

١٣١ ـ بِبِئْرِ مَعُونَةَ فِي سَرِيَّتِهِمْ وَجَا
بِغَزْوَةِ أَوْلَادِ النَّضِيرِ مَعَ الْجَلَا

١٣٢ - وَفي نَفسِ هَذا العَامِ كَانَ زَوَاجُهُ
بِزَيْنَبَ وَالأَبُّ الخُزَيمَةُ قَدْ خَلَا

١٣٣ - رَؤُومٌ وَأُمُّ لِلْمَسَاكِينِ زَيْنَبٌ
وَلِلْمُؤمِنِينَ الأُمُّ فَاحْفَظْ لِتَنْبُلَا

١٣٤ - وَبَعْدَ شُهُورٍ قِيلَ كَانَتْ ثَلَاثَةً
تُوُفِّيَتِ الأُمُّ الرَّؤُومُ لَنَا ابْتِلَا

١٣٥ - وَمِنْ أُمِّ سَلْمَهْ قَدْ تَزَوَّجَ أَحْمَدُ
وَهِنْدُ اسْمُهَا مِنْ مَنْبَتِ الكَرَمِ اعْتَلَى

١٣٦ - وَمِيلَادُ سِبْطِ المُصْطَفَى هَلَّ وَانْجَلَى
هُوَ ابْنُ عَلِيٍّ وَالحُسَيْنُ اسْمُهُ حَلَا

١٣٧ - وَلِلْخَمْرِ تَحْرِيمٌ أَتَى نَفْسَ عَامِهِمْ
وَفَرْضُ حِجَابٍ لِلنِّسَاءِ تَنَزَّلَا

١٣٨ - وَفِي رَابِعٍ أَيْضًا لِهِجْرَةِ أَحْمَدٍ
تَزَوَّجَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ وَقَدْ تَلَا

١٣٩ - "فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ" وَلَبَّى مَلِيكَهُ
بِلَا شَاهِدٍ، وَاللَّهُ مَوْلًى لَهَا عَلَا

١٤٠ - وَفِي خَامِسِ الْأَعْوَامِ لِلْهِجْرَةِ انْهَزَمْ
بِغَزْوَةِ أَحْزَابٍ عَدُوٌّ وَرُحِّلَا

١٤١ - بِهَذِي وَقِيلَ الْخَنْدَقُ اسْمٌ لَهَا حَوَى
حِصَارًا لِأُسْبُوعَيْنِ فِيهَا تَوَغَّلَا

١٤٢ - وَغَزْوَةِ مِنْ بَنُو قُرَيْظَةَ بَعْدَهَا
وَحُكْمِ سَعْدُ بْنُ الْمُعَاذِ وَقَتَّلَا

١٤٣ - لِغَدْرِهُمْ فِي سِتُّمَائَةِ مِنْهُمُ
وَقِيلَ لِضَرْبِ السَّبْعُمَائَةِ أَرْسَلَا

١٤٤ - وَقَدْ مَاتَ سَعْدُ بْنُ الْمُعَاذِ بِجُرْحِهِ
فَمِنْ غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ بِالْجُرْحِ أُثْقِلَا

١٤٥ - قَدِ اهْتَزَّ عَرْشُ اللَّهِ حِينَ مَمَاتِهِ
فَيَا رَبِّ فَوْزًا مِثْلَهُ لِي مُكَلَّلَا

١٤٦ - وَفِي خَامِسِ الْأَعْوَامِ مِنْ هِجْرَةٍ أَتَتْ
بَنُو الْمُصْطَلِقِ بِالْغَزْوِ لَكِنْ تَفَشَّلَا

١٤٧ ـ وَكَانَتْ مِنَ الْأَسْرَى جُوَيْرِيَةُ الَّتِي
تَزَوَّجَهَا الْهَادِي فَأُعْتِقَ مَنْ تَلَا

١٤٨ ـ وَحَادِثَةُ الْإِفْكِ الَّتِي أُنْزِلَتْ بِهَا
لِعَائِشَ آيَاتٌ دِفَاعًا تَرَتَّلَا

١٤٩ ـ وَحُرِّمَ تَزْوِيجٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَوْ
مِنَ الْمُشْرِكَاتِ احْفَظْ لِتَفْقَهَ مُشْكِلَا

١٥٠ ـ وَجَاءَ بِنَفْسِ الْعَامِ فِي خَامِسٍ لَنَا
تَيَمُّمُنَا تَشْرِيعُ لُطْفٍ تَسَلْسَلَا

١٥١ ـ وَفِي سَادِسِ الْأَعْوَامِ لِلْهِجْرَةِ انْتَفَى
جَوَازُ التَّبَنِّي أَيْ تَحَرَّمَ مُجْمَلَا

١٥٢ - وَفُرِّضَ فِيهِ الحَجُّ نُسْكًا وَرَحْمَةً
وَصُلْحٌ تَسَمَّى بِالحُدَيْبِيَةِ انْجَلَى

١٥٣ - وَبَيْعَةُ رِضْوَانٍ تَلَتْ وَاغْتَنِمْ هُنَا
نُزُولًا بِآيِ الفَتْحِ نُورًا تَسَدَّلَا

١٥٤ - وَإِرْسَالُ هَادِينَا لِكُلِّ المُلُوكِ زِدْ
قَضَاءَ المُقَفَّى عُمْرَةً فِيهِ مُقْبِلَا

١٥٥ - وَمَعْهُ مِنَ الأَصْحَابِ أَلْفَانِ قَدْ قَضَوْا
لِشَرْطٍ بِصُلْحٍ وَاعْتِمَارٍ تَأَجَّلَا

١٥٦ - وَفِي سَابِعِ الأَعْوَامِ مِنْ هِجْرَةٍ أَتَى
بِغَزْوَةِ فَتْحٍ سَمَّهَا خَيْبَرَ المَلَا

١٥٧ - وَمِنْ حَبَشٍ قَدْ جَاءَ جَعْفَرُ وَصَحْبُهُ
وَأَسْلَمَ فِيهِ ذُو هُرَيْرٍ لِيَنْهَلَا

١٥٨ - وَفِيهِ زَوَاجُ لِلْحَبِيبِ بِرَمْلَةٍ
صَفِيَّةَ أَرْضَى ثُمَّ مَيْمُونَةَ تَلَا

١٥٩ - وَأَهْدَتْهُ مِنْ شَاةٍ يَهُودِيَّةٌ سَعَتْ
بِسُمٍّ بِهَا، وَاللهُ أَنْجَاهُ مُجْتَلَى

١٦٠ - وَفِي سَابِعِ الْأَعْوَامِ تَحْرِيمُ مُتْعَةٍ
مَعَ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ النَّهْيُ أُجْزِلَا

١٦١ - وَفِي ثَامِنِ الْأَعْوَامِ لِلْهِجْرَةِ احْتُفِي
بِإِسْلَامِ وُلْدِ الْعَاصِ مَعْ خَالِدِ الْعُلَى

١٦٢ ـ وَغَزْوَةُ مُؤْتَةَ وَالشَّهَادَةُ أُسْدِلَتْ
بِجَعْفَرٍ مَعْ زَيدِ بْنِ حَارِثَةٍ إِلَى

١٦٣ ـ شَهَادَةِ عَبْدِ اللهِ وُلْدِ رَوَاحَةٍ
وَفِي عَامِهِمْ فَتْحٌ لِمَكَّةَ عُجِّلَا

١٦٤ ـ وَفِيهِ أَبُو سُفْيَانَ أَسْلَمَ مُوجَلَا
وَغَزْوُ هَوَازِنَ أَيْ حُنَيْنٍ بِهَا اصْطَلَى

١٦٥ ـ وَفِيهِ حِصَارُ الطَّائِفِ اشْتَدَّ وَانْقَضَى
بِإِسْلَامِ أَهْلِ الطَّائِفِ الْخَيْرُ أُدْخِلَا

١٦٦ ـ وَفِيهِ وَفَاةُ الْبَرَّةِ ابْنَةِ أَحْمَدٍ
فَزَيْنَبُ قَدْ مَاتَتْ بِعَامِهِمُ ابْتِلَا

١٦٧ ـ وَمَولِدُ وُلْدِ ٱلْمُصْطَفَى فِيهِ قَدْ بَدَا
لِمَارِيَةَ ٱلْقِبْطِيَّةِ ٱلْوُلْدُ أُقْبِلَا

١٦٨ ـ تَسَمَّى بِإِبْرَاهِيمَ وَٱلْمُصْطَفَى هَدَى
بِتَسْمِيَةٍ وَٱلْهَدْيُ مِنْهُ تَهَدَّلَا

١٦٩ ـ وَفِي تَاسِعِ ٱلْأَعْوَامِ لِلْهِجْرَةِ ٱبْتَدَتْ
تَبُوكُ وَكَانَتْ غَزْوَةً غَيْرَ مَا خَلَا

١٧٠ ـ بِنَصْرٍ تَجَلَّى فِي نِهَايَتِهَا لَهُمْ
وَبَسْطِ نُفُوذِ ٱلْمُسْلِمِينَ تَسَدَّلَا

١٧١ ـ ثَلَاثُونَ أَلْفًا قَاتَلُواْ هُمْ جُنُودُهَا
بِجَيْشٍ تَسَمَّى عُسْرَةً وَتَثَقَّلَا

١٧٢ ـ تَجَهَّزَ لَكِنْ مِنْ غَزَارَةِ جُنْدِهِ
لِحَرْبٍ مَعَ الرُّومَانِ زَادًا تَقَلَّلَا

١٧٣ ـ وَمَا ضَرَّ «عُثْمَانًا»: حُرُوفٌ تَعَتَّقَتْ
تَصَدَّقَ فَالْهَادِي لَهُ قَالَ مُجْمِلَا

١٧٤ ـ فَيَارَبِّ أَدْعُوكَ الثَّوَابَ وَشُغْلَهُ
لِأَحْظَى بِمَا قَالَ الْحَبِيبُ وَأَجْزَلَا

١٧٥ ـ وَقَدْ أُنْزِلَتْ آيٌ مِنَ التَّوْبَةِ الَّتِي
بِهَا فَضَحَ اللهُ النِّفَاقَ وَأَبْطَلَا

١٧٦ ـ وَمِنْ كَرَمِ صِدْقُ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا
عَلَيْهِمْ هُنَا تَابَ الرَّحِيمُ تَفَضُّلَا

١٧٧ ـ ثَلَاثَةُ أَصْحَابِ الْحَبِيبِ : مَرَارَةٌ
وَكَعْبٌ ، هِلَالٌ مَعْهُمَا قَدْ تَوَجَّلَا

١٧٨ ـ وَفِي تَاسِعٍ أَيْضًا لِهِجْرَتِهِ انْهَدَمْ
هُنَا مَسْجِدٌ قَالُوا ضِرَارٌ تَهَدَّلَا

١٧٩ ـ بِعَامٍ تَسَمَّى بِالْوُفُودِ وَبَعْدَهُ
بِعَاشِرِ عَامٍ بَعْدَ هِجْرَتِنَا امْتَلَا

١٨٠ ـ وُفُودًا مِنَ الدُّنْيَا لِتُسْلِمَ بَعْدَمَا
تَمَكَّنَ دِينُ اللهِ بِالْعِزِّ وَاعْتَلَى

١٨١ ـ وَفِيهِ رَسُولُ اللهِ أَرْسَلَ خِلَّهُ
أَبَا بَكْرٍ فِي حَجٍّ أَمِيرًا مُبَجَّلَا

١٨٢ ـ وَفِي عَاشِرِ الأَعْوَامِ مِنْ هِجْرَةٍ أَتَى
مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ وَالأَسْوَدُ الْبَلَا

١٨٣ ـ قَدِ ادَّعَيَا لِلنَّاسِ فِيهِ نُبُوءَةً
وَخَاتَمُ رُسْلِ اللَّهِ أَحْمَدُ أَبْطَلَا

١٨٤ ـ وَفِي نَفْسِ هَذَا الْعَامِ آخِرُ حِجَّةٍ
تَسَمَّتْ وَدَاعًا لِلْحَبِيبِ قَدِ اجْتَلَى

١٨٥ ـ وَجَهَّزَ جَيْشًا لِلْمَسِيرِ أُسَامَةٌ
إِلَى بَلَدِ الرُّومِ الْجِهَادُ تَوَغَّلَا

١٨٦ ـ هُنَا أُمُّ كُلْثُومِ ابْنَةُ الْمُصْطَفَى قَضَتْ
بِهِ نَحْبَهَا أَكْرِمْ بِآلٍ تَكَمَّلَا

١٨٧ ـ تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ أَيْضًا بِعَاشِرٍ
مِنَ الْهِجْرَةِ الْغَرَّاءِ وَالدَّمْعُ أُنْزِلَا

١٨٨ ـ وَرَأْسُ النِّفَاقِ اصَّاعَدَتْ رُوحُهُ هُنَا
هُوَ ابْنُ سَلُولٍ بِالْمَدِينَةِ رُحِّلَا

١٨٩ ـ وَزِدْ بَعْدَ هَذَا الْعَامِ عَامًا تَجِدْ بِهِ
لِأَسْوَدَ كَمْ فِيهِ ادَّعَى الْآنَ مَقْتَلَا

١٩٠ ـ هُوَ الْأَسْوَدُ الْعَنْسِي، وَجَاءَتْ بِزُورِهَا
مَنِ ادَّعَتِ الْأُخْرَى نُبُوءَتَهَا ابْتِلَا

١٩١ ـ وَمَاتَ رَسُولُ اللَّهِ فِي حِجْرِ عَائِشٍ
بِيَوْمٍ هُوَ الِاثْنَيْنِ لِلَّهِ أُوصِلَا

١٩٢ ـ بِشَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ المُصْطَفَى غَدَا
بِثَانِي عَشَرٍ مِنْهُ فِي دَارِهِ العُلَى

١٩٣ ـ وَقَدْ دُفِنَ الهَادِي بِحُجْرَةِ عَائِشٍ
وَبُويِعَ فِي حُزْنٍ أَبُو بَكْرٍ بِالمَلَا

مُلَخَّصُ عَدَدِ الغَزَوَاتِ

١٩٤ ـ هُنَا غَزَوَاتُ المُصْطَفَى صُغْتُهَا لَكُمْ
بِأَبْوَاءٍ ثَانِي الهِجْرَةِ الغَزْوُ أُدْخِلَا

١٩٥ ـ يَلِيهَا بُوَاطٌ وَالعُشَيْرَةُ بَعْدَهَا
وَقِيلَ العُشَيْرَةُ أَوَّلُ الغَزْوِ فَانْقُلَا

١٩٦ ـ وَسَفْوَانُ جَاءَتْ دُونَ مَقْتَلِ مَنْ طَغَى
لِأَنَّ الَّذِي ضَرَّ المَوَاشِي تَنَصَّلَا

١٩٧ ـ وَبَدْرٌ بِشَهْرِ الصَّـوْمِ ثَانِي هِجْـرَةٍ
وَفِيهَا انْتِصَـارُ الْمُسْلِمِينَ تَسَهَّـلَا

١٩٨ ـ وَغَزْوَةُ كُدْرٍ قَدْ تَلَتْهَـا وَعِنْدَهَـا
سُـلَيْمٌ وَلَكِنْ دُونَ قَتْلٍ تَحَصَّـلَا

١٩٩ ـ وَغَزْوَتُهُ فِي قَيْنُقَـاعٍ لِنَقْضِهِـمْ
عُهُودَهُـمُ كَانَ الْعِقَابُ مُثَقَّلَا

٢٠٠ ـ وَفِي شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ بُعَيْـدَ الَّتِي مَضَتْ
سَوِيقٌ هِيَ الْغَزْوُ الَّذِي بَعْدَهَـا تَلَا

٢٠١ ـ وَقُلْ ذِي أَمَرٍّ ثُمَّ بُحْـرَانَ بَعْدَهَـا
كَمِثْـلِ سَوِيقٍ دُونَ قَتْـلٍ تَخَلَّلَا

٢٠٢ ـ وَفِي أُحُدٍ كُلُّ الْعِظَاتِ تَرَتَّلَتْ
وَغَزْوَةُ حَمْرَاءِ الْأَسَدْ لِنُحُصِّلَا

٢٠٣ ـ وَغَزْوَةُ أَوْلَادِ النَّضِيرِ فَقَدْ تَلَتْ
وَبَعْدُ أَتَتْ بَدْرُ الْأَخِيرَةُ مُعْقِلَا

٢٠٤ ـ وَدُومَةُ جَنْدَلٍ غَزْوَةٌ بَعْدَهَا أَتَتْ
بَنُو الْمُصْطَلِقْ زِدْ خَنْدَقًا قَدْ تَشَكَّلَا

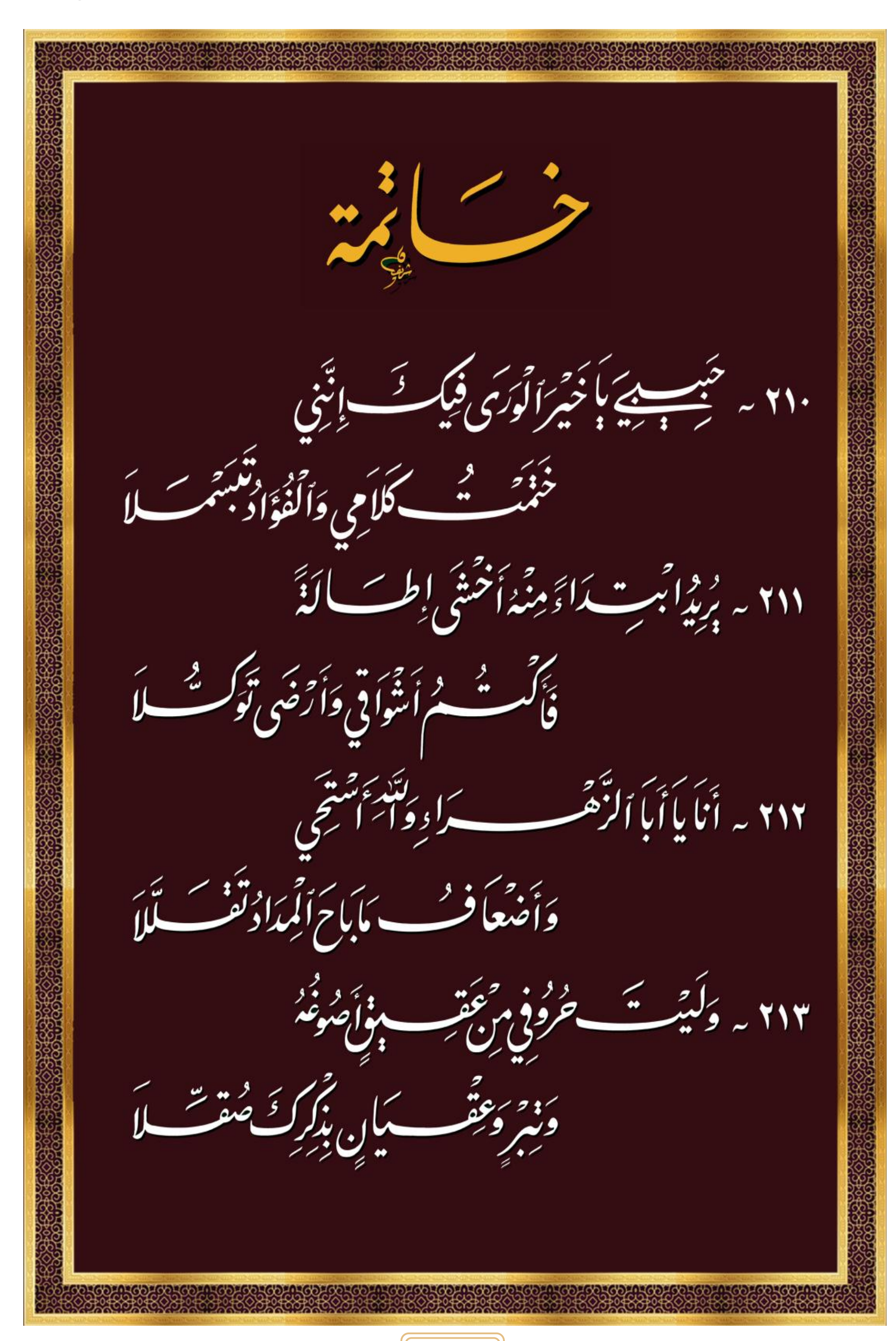
٢٠٥ ـ وَغَزْوَةُ أَبْنَاءِ الْقُرَيْظَةِ بَعْدَهَا
وَهَذِي بَنُو لِحْيَانَ جَاءَتْ تَوَكُّلَا

٢٠٦ ـ حُدَيْبِيَةٌ جَاءَتْ كَذِي قَرَدٍ بَعْدَهَا
وَخَيْبَرِ مَعْ ذَاتِ الرِّقَاعِ تَسَلْسُلَا

٢٠٧ ـ وَفَتحٌ أَتَى فِي مَكَّةٍ كَانَ نَيِّرًا
بِهِ دَخَلَ الإِسْلَامَ فَوجٌ تَهَلَّلَا

٢٠٨ ـ وَأَفْوَاجُ خَلْقٍ لِلْيَقِينِ قَدِ اهْتَدَوْا
بِنُصْرَةِ رَبِّي لِلْحَبِيبِ وَمَنْ تَلَا

٢٠٩ ـ حُنَيْنٌ أَتَتْ مَعْ طَائِفٍ بَعْدَهَا تَلَتْ
وَفِي الْخَتْمِ قَدْ جَاءَتْ تَبُوكُ تَنَضُّلَا



خاتمة

٢١٠ - حَبِيبِي يَا خَيْرَ ٱلْوَرَى فِيكَ إِنَّنِي
خَتَمْتُ كَلَامِي وَٱلْفُؤَادُ تَبَسْمَلَا

٢١١ - يُرِيدُ ابْتِدَاءً مِنْهُ أَخْشَى إِطَالَةً
فَأَكْتُمُ أَشْوَاقِي وَأَرْضَى تَوَكُّلَا

٢١٢ - أَنَا يَا أَبَا ٱلزَّهْرَاءِ وَٱللهِ أَسْتَحِي
وَأَضْعَافُ مَا بَاحَ ٱلْمِدَادُ تَقَلَّلَا

٢١٣ - وَلَيْتَ حُرُوفِي مِنْ عَقِيقٍ أَصُوغُهُ
وَتِبْرٍ وَعِقْيَانٍ بِذِكْرِكَ صُقِّلَا

٢١٤ ـ فَيَا بَهْجَةً لِلرُّوحِ وَالْوَصْلُ حَاضِرٌ
وَيَا وَحْشَةً بِالْقَلْبِ لَوْ قَدْ تَأَفَّلَا

٢١٥ ـ وَإِنَّكَ يَا حُسْنًا تَبَاهَتْ بِهِ الدُّنَى
سَتَبْقَى حَدِيثِي أَنْتَ أَنْتَ لِأُكْمِلَا

٢١٦ ـ وَأَقْطِفُ مِنْ غُصْنِ الْحَدِيثِ جَمَالَهُ
وَأَنْتَ كَمَالٌ فِي كَمَالٍ تَكَمَّلَا

٢١٧ ـ عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ مِنْ نَبْضِ خَافِقِي
وَتَسْلِيمُهُ دَوْمًا عَلَيْكَ تَسَدَّلَا

بتوفيق من الله تعالى وعنايته

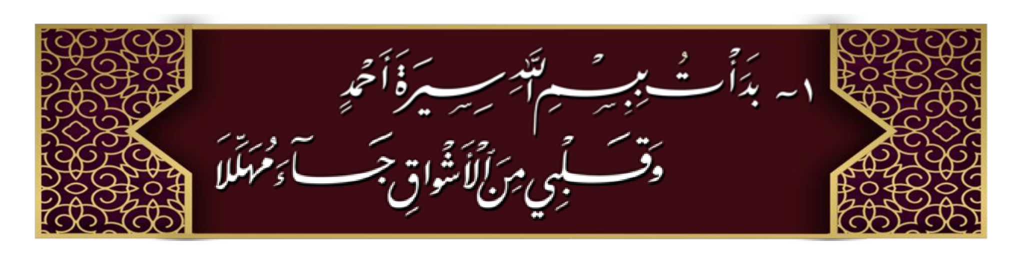
نال شرف خط أبياتها المباركة العبد المذنب الفقير المقر لمولاه القدير بالعجز والذل والتقصير شريف بن عبد الرؤوف أحمد حامدًا لجميل آلائه وكريم منته شاكرًا لجليل فضله وعظيم نعمته ومصليًا ومسلمًا على أشرف خلقه ورسول رحمته سيدنا محمد وعلى آله وصحابته

وجزى الله ناظمتها صاحبة الفضيلة

الشيخة د. نورا بنت علي بن حلمي أميرة الشعر العربي

غفرانًا وقبولًا ورضوانًا بواسع رحمته وجوار نبيه صلى الله عليه وسلم ورفقته وشفاعته والناظرين آمين سنة ١٤٤٤ هجرية

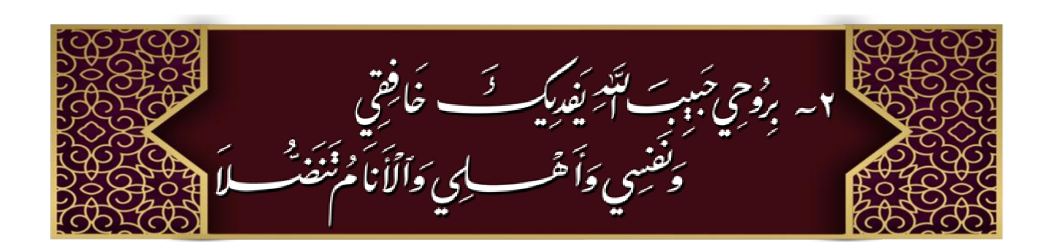

المُقَدِّمَة :



المعنى: بدأت ببسم الله نظم سيرة النبي الكريم سيدنا محمد - ﷺ- مستعينةً بالله سبحانه، وأبدأ ببسم الله على قلمي حتى يكتب كما يليق بالنبي ﷺ، وببسم الله على قلبي حتى يشعر كما ينبغي تجاه الحبيب فيعود الشعور بالبركات مضاعفا مُسَخَّرًا للوفاء بحقه العظيم، وأبدأ ببسم الله على فكري حتى يترتب وتنساب منه الفوائد كما يحب ربُّنا ويرتضي ثم كما يحبُّ نبينا ﷺ وبه تقر عينه وعني يرضى، ولي يشفع عند ربي وسيِّدي، وببسم الله أبدأ والرجاء ملء قلبي وبالدعاء رفعت يدي أن يخلص ربي العمل لوجهه ويوفقني فيه ويعينني، ويتقبله صدقةً منه عليّ وهو خير المتصدقين.

* وقلبي من الأشواق جاء مهلِّلا قبل نظمه والآن قبل شرحه أشعر بأنه جاء كطير أخضر مهلل مستبشر بما سيلقاه من حبٍّ ونور، وجلال وجمال في ظل سيرة

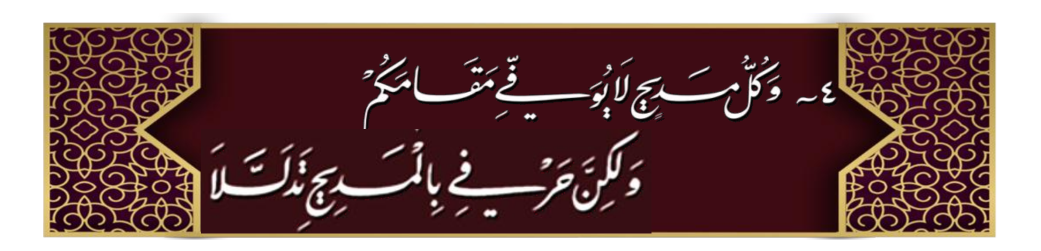
المصطفى المختار ﷺ، وكيف لا وهو أعظم الخلق وخاتم المرسلين وحبيب ربّ العالمين، وإن القراءة في سيرته أو الاستماع لها لمن النعيم فما بال نظمها أو شرحها، فاللهم كما أنعمت على أمتك الفقيرة بهذا النعيم لا تحرمها رفقة حبيبك ﷺ في جنات النعيم، وانشر على كل قارئ وقارئة من أحباب رسولك ﷺ من رحمتك وبركاتك واجعل لهم مثلما سألتك لنفسي في هذا النظم وشرحه.



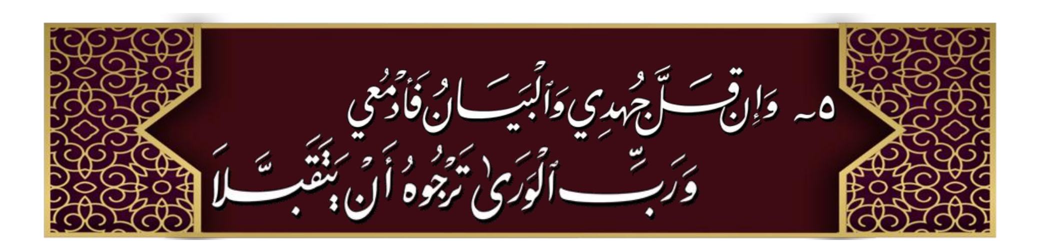
المعنى: أخاطب النبي ﷺ بشوق يتوارى خلف التوقير وقد بعث له من قلبي رسولا من الشعر يبلغه - ﷺ - بأني أفديه ويفديه قلبي بروحي ونفسي وأهلي وبكل الخلق تنضُّلًا وبذلا لحقه علينا ولمحبته العظيمة في النفس.



المعنى: لن آتي بما يليق بك من أبيات مهما كتبت فأنت الذي تتزين القصائد بذكره، ولن أبلغ عنق ذلك المديح لأزينه بما يليق بك لرفعة مستوى مديحك الذي هو بقدر رفعة الممدوح، ولو نُظِمَت نِفاسُ الكلمات عقدا لتُحَلّى به جِيدُ مدحك لَتَلَألأ في واسطتها اسمُك، وكانت عين المدح ذكرك، ولكني أصوغ الحرف في مدحك تجمَّلا بالمدح وتشرفا بسيرتك الْعَطِرة وحبًّا فيك.



المعنى: لن أوفيكم حقكم بأي مديح لرفعة قدركم وعلو مقامكم وشأنكم الذي هو فوق كل مديح من البشر، ولكن حروفي وأبياتي هي التي تتدلل وتزهو بشريف مدحكم.



المعنى: هذا جهد المقل وعلى بساطته كلي تبتل ورجاء لربّ الورى أن يتقبل عملي برحمته، وجاء القسم بربِّ الورى في البيت ثم عطفت المعنى بعده عليه لأنه آخر مذكور وذلك عندما قلت: "ترجوه" فهاء الضمير هنا تعود على الله عز وجل أي أن أدمعي ترجوه أن يتقبل، والقبول ينبغي أن يحرص عليه كلُّ من عمل عملا يرجو به وجه الله فقد قال سيدنا علي - رضي الله عنه -: "كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل، ألم تسمعوا لقول الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ﴾ [المائدة: ٢٧]". قال ابن عطية: "المراد بالتقوى: اتقاء الشرك بإجماع أهل السنة، فمن اتقاه وهو موحد فأعماله التي تصدق فيها نيته مقبولة". وأما المتقي للشرك والمعاصي فله الدرجة العليا من القبول، والختم بالرحمة عُلم ذلك

بأخبار الله تعالى. (١)

والدعاء قبل وبعد العمل من أسباب قبول العمل، قال تعالى عن نبي الله إبراهيم:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

---

(١) تفسير القرطبي (٧/ ٤١١).

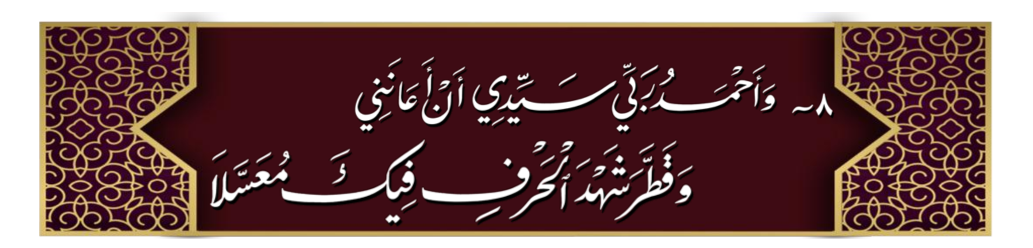


المعنى: هنا مصارحة بالشعور ووقوع على حقيقته التي كانت سببا للمجيء وكتابة النظم، وذلك بعد التمهل الذي بدأ به الكلام عن المديح؛ حيث أن محبة النبي ﷺ كانت هي الباعث لكتابة هذه المنظومة، فكم كُتبت قبلها منظومات وكم كُتبت كتب في السيرة النبوية وامتلأت بها المكتبات!.. ولكن محبته ﷺ هي التي دفعتني بتوفيق الله وفضله، وحوله وقوته لأن أقدِم على هذا العمل ولا أشعر معه بأي جهد أو وقت وكأن وقت كتابة المنظومة قد مر بين غمضة عين وانتباهتها، أو كأني كنت في حلم جميل، وكيف لا وإن الصعب لَيَهون إن كان اقتداءً به أو سيرا له، وإن مِن المؤمنين مَن لا يستبشر بوقت راحته إلا طمعا في رؤيا النبي ﷺ في منامه، وكل ما كان منتهاه قرب النبي ﷺ هانت لأجله الدنيا وما فيها.

* وكم خامر الشوق عظاما أقامها هديك وأقامتها سنتُك في محراب الطاعة حتى فاض شعوري بالامتنان واستوجب المديح الذي جئته بالشوق لأنهل منه لذيذ الإيناس بذكرك وأتعطر به من شذا سيرتك الشريفة.



المعنى: أي جئت في هذه المنظومة أيضا لأعبر بها عن شيء من شوقي لصحبتك ودعائك لي وكلامك، وكل ما تنعّم به الصحابة الأولون وحرمنا نحن منه في غربتنا راجين أن يعوضنا الله بنعيم رفقتك في الفردوس الأعلى من الجنة؛ فطمعت أن أعيش بعضا من ذلك وتحفني نسائمه في رياض السيرة المطهرة، وجئت لأرتجي من الله بها وفيها أن يحببني إليك بعد حبه سبحانه وأن يجعلك راضيا عني يا رسول الله بعد رضاه سبحانه تفضُّلًا من الله على أمته الفقيرة.



المعنى: وأحمد ربي: الربُّ هو الذي يقوم به كل شيء وبه تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا، وهو القائم على صلاح حال المربوب، وهو المربي ومالك الملك، وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله-: "أن هذا الاسم الكريم (الرب) له الجمع الجامع لجميع المخلوقات، فهو رب كل شيء، وخالقه، والقادر عليه، لا يخرج شيء عن ربوبيته، وكل من في السموات، والأرض عبد له في قبضته، وتحت قهره" (١).

❋ فالله - سبحانه - هو الرب المتكفل بخلق الموجودات، وإنشائها، وهو المنظم لمعايشها، وأحوالها وأقواتها، وما يصلحها وفيه تدبير أمورها، قال تعالى:﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ

(١) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد، وإياك نستعين (١/ ٥٨).

يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف:٥٤]

* ومن هنا يتضح سبب حمدي لله بهذا الاسم الكريم قبل قولي: (أن أعانني) لأنه الرب الذي قامت به هذه المنظومة وقام به كل شيء من أمور صاحبتها، وليشعر القارئ معي بحلاوة طعم العبودية في هذا المحل الذي أتجرد فيه من حولي وقوتي وأخلع فيه عن نفسي أوصاف الربوبية لأن الله الذي تكفَّل بكل شيء هو المعبود وحده، ومن أقر بتوحيد الربوبية أقر بتوحيد الألوهية وبدعوة الرسل عامة وبرسالة النبي ﷺ خاصة والتي نستعد للولوج في رياض الحديث عنها بهذه الإشارة البسيطة التي ترسخ في قلب القارئ توحيد الربوبية وتستوجب توحيد الألوهية والإيمان بدعوة الرسل وبرسالة خاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ قبل أن نبدأ في سيرته العطرة الشريفة.

والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى باسمه الرب فيه دعاء مسألة وفيه دعاء عبودية، والمسألة تكمن في الاعتراف بالفقر إليه سبحانه فالنطق بكلمة الرب تعني الاعتراف بالحاجة إليه سبحانه ليتكفل دوما بصلاح الحال وبالقبول وبكل مسألة يعلمها في القلب حتى وإن كانت بقولي فقط أحمدك ربي فهي تعني أني أحمدك يا من يقوم بك أمري وعليك صلاح حالي وشأني، أحمدك يا رب لترضى عني وتقربني إليك وتتقبل عملي، وفي ذلك مسألة؛ فالنطق بكلمة الرب كفيل بكل ذلك بالإضافة لمجيئه بعد سؤال اشتملت عليه الأبيات السابقة، كما أتى في قول الله تعالى الدعاء بهذا الاسم العظيم، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

* وفيه طيات النطق باسم الله الرب يتجلى كذلك دعاء العبودية بمجيء الحمد قبله ومجيء اسم الله السيد بعده مما يثبت أوصاف العظمة لله وحده ويفرده بالعلو

والكبرياء ويكسو القلب بمظاهر العبودية مما يعطيه براءة من منازعة ربه في أوصافه وإفراده لخالقه بالربوبية والعظمة، ووجود ياء النسب في الاسمين أبدت الحب لهما بروح التبتل فغدا النطق بهما عبادةً وحبًّا يزيد في النفس اعتصامها بالله سبحانه واعتزازها بالعبودية له، قال تعالى:

﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢- ١٦٣].

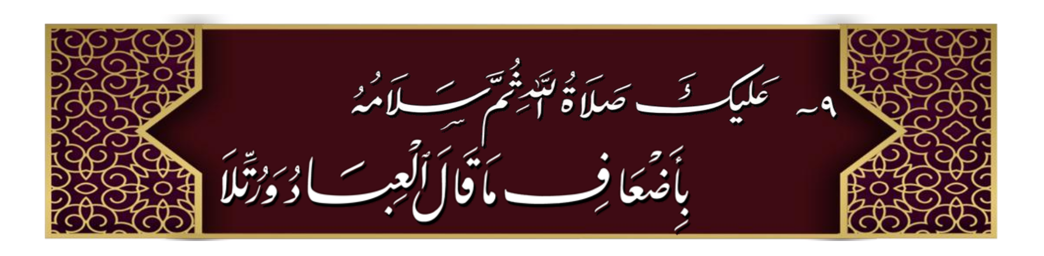
* فالحمد لله الذي قام كل شيء بربوبيته، وتواضع كل شيء لعظمته وخضع كل شيء لملكه، وذل كل شيء لعزته واستسلم كل شيء لقدرته.

واسم الله السيِّد: هو مالك الملك والخلائق ومَن تحق له السيادة المطلقة لأنه ليس للخلق مالك سواه.

* **قال ابنُ القيمِ:** «وأما وَصْفُ الرَّبِّ تعالى بأنه السَّيِّدُ فذلك وَصْفٌ لربِّهِ على الإطلاقِ فإِنَّ سَيِّدَ الخلْقِ هو مَالِكُ أمرِهِمْ؛ الذي إليه يرجعون، وبأمرِه يعملون،

وعن قولِه يَصْدُرونَ، فإذا كانتِ الملائكةُ والإنسُ والجِنُّ إليه؛ خَلْقًا له سبحانه وتعالى، ومِلْكًا له، ليس لهم غِنًى عنه طرفةَ عينٍ، وكلُّ رغباتِهم إليه، وكلُّ حوائجِهم إليه، كان هو سبحانه وتعالى السَّيِّدَ على الحقيقةِ»(١).

* وقد حمدت ربي سيدي على معونته وفضله وعلى أنه أذاقني شهد الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ؛ فكانت حلاوة كل حرف في قلبي كالعسل الْمُصَفَّى.



المعنى: أي أسأل الله أن يصلي ويسلم عليك يا رسول الله صلاة وسلاما مضاعفَين أضعاف ما ترتَّل وقيل في الأزمان من كل العباد.

* قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

---

[١] تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم (ص: ١٢٦).

* وعنْ عبدالله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهُمَا أنَّهُ سمِع رسُول الله ﷺ يقُولُ: مَنْ صلَّى عليَّ صلاةً، صلَّى الله عليّهِ بِهَا عشْرًا. (١)

* **وعن ابن مسْعُودٍ أنَّ رسُول اللهِ ﷺ قَالَ: أَوْلى النَّاسِ بِي يوْمَ الْقِيامةِ أَكْثَرُهُم عَليَّ صَلاةً.** (٢)

والصلاة من الله ثناؤه على عبده في الملإ الأعلى ورحمته إياه، وأنَّه يَرحَمُه رحمةً بعدَ رحمةٍ حتى يبلغ ذلك العدد المضاعف مع كل صلاة. ومن صيغ الصلاة على النبي ﷺ أن تقول: اللهم صل وسلم على نبينا محمد، أو أن تقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، ويشرع لنا الإكثار من ذلك في كل وقت ولاسيما بعد الدعاء وفي كل مجلس، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: "ما

(١) رواهُ مسلم.

(٢) رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

جَلَس قومٌ مجلسًا لم يذكروا اللهَ فيه ولم يُصلُّوا على نبيِّهم إلَّا كان عليهم تِرةٌ فإن شاءَ عذَّبَهم وإن شاءَ غفَرَ لهم". (١)

* وكذلك بعد الأذان، فبعد إجابته تصلي على النبي ﷺ ثم تقول: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد، فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يقول النبي ﷺ: إذا سَمِعْتُمُ المُؤَذِّنَ، فَقُولوا مِثْلَ ما يقولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فإنَّه مَن صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللهُ عليه بها عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الوَسِيلَةَ، فإنَّها مَنْزِلَةٌ في الجَنَّةِ، لا تَنْبَغِي إلَّا لِعَبْدٍ مِن عِبادِ اللهِ، وأَرْجُو أنْ أكُونَ أنا هُوَ، فمَن سَأَلَ لي الوَسِيلَةَ حَلَّتْ له الشَّفاعَةُ. (٢)

* وينبغي الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ بِرًّا وحُبًّا ووفاءً له، وحرصا على الثواب وجميع أبواب الخير؛ لأن مَن طَلَب منَ اللهِ سبحانه وتَعالَى الثَّناءَ على

---

(١) حديث صحيح أخرجه أبو داود (٤٨٥٦)، والترمذي (٣٣٨٠) واللفظ له، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١٠٢٣٨)، وأحمد (٩٥٨٣).

(٢) صحيح مسلم: (٣٨٤).

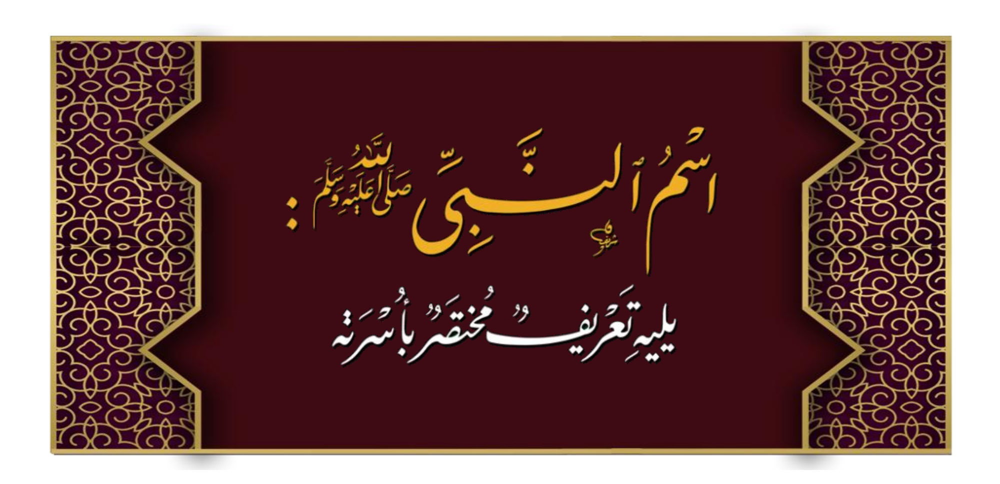
رَسولِه ﷺ جَزاه اللهُ من جِنسِ عَمَلِه بأن يُثنيَ عليه ويُحِبُّه، ويَزيدَ تَشريفَه وتَكريمَه، ويسعد قلبه بما سأل من الخير ويقضي حاجته، ويغفر ذنبه، ويكشف همه، ويُضاعف اللهُ الجزاءَ للمُصلِّي على النَّبيِّ ﷺ عَشرَ مرَّاتٍ، ومن بركات الصلاة على النبي ﷺ والتي يصلي الله بها على العبد: إقبالُ الله على الْمُصَلِّي بعَطفِه وإخراجُه من الظلمات إلى النُورِ والعزِّ والرفعة، كما قال سُبحانَه:

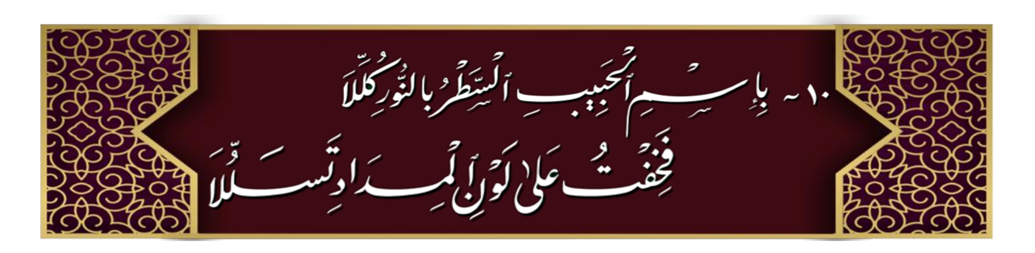
﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣].

فاللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، وصل اللهم وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين عدد وملء كل شيء للحي القيوم إلى يوم الدين صلاةً وسلاما كاملَين دائمَين خالدَين مع خلودك لا منتهى لهما دون علمك، ولا منتهى لهما دون

مشيئتك، ولا آخر لنا بعدهما إلا حبك وحبه، وقربك وجواره، وعفوك وعافيتك في الدنيا والآخرة، ورضاك والجنة، وصل اللهم وسلم وبارك عليه عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك حتى ترضى، وصل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبة أجمعين عدد كل معلوم لك إلى يوم الدين حتى يرضى، وصل وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين صلاة وسلاما مضاعفين أضعافا دائمة بدوام ملك الله حتى نرتوي من شهد دوامها وقلوبنا من شهدها ترضى.


اسم النبي صلى الله عليه وسلم :
يليه تعريف مختصر بأسرته



المعنى: لقد تكلَّل السطر بنور النبي ﷺ لما ذكرتُه في أبيات هذه المنظومة حتى أنني خفت على لون المداد من شدة النور أن يختفي وألا يتضح، صلوات ربي على الحبيب وآله تَعُمُّ أنوارُها قلوبَ أمَّتِهِ وتحلُّ بأسرارها علينا شفاعته.



المعنى: أي أنه وإن اختفى المداد من نور ذكري للحبيب ﷺ لَدَلَّلَ النورُ بغير كلام ولا مداد على أن المذكور هو سيدنا رسول الله ﷺ فأثر ذكره وبركة الحديث عنه لا تخفى على قلب الْمُحِبِّين.



اسم النبي ﷺ والنسب الشريف

١٢- مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ مِنْ عَبْدِ مُطَّلِبْ
وَمِنْ هَاشِمٍ عَبْدِ الْمَنَافِ تَطَلَّلَا

١٣- قُصَيٍّ حَكِيمٍ[1] ثُمَّ مُرَّةَ كَعْبِهِمْ
لُؤَيِّ بْنِ غَالِبْ فِهْرَ مَالِكَ فَاعْقِلَا

١٤- وَنَضْرِ كِنَانَةٍ مِنْ خُزَيْمَةَ مُدْرِكَةْ
وَإِلْيَاسَ مُضَرٍ مِنْ نِزَارٍ تَنَبَّلَا

١٥- مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانِ لِوُلْدِ الْخَلِيلِ قَدْ
أَتَى نَسَبُ الْهَادِي بِعِزٍّ تَنَقَّلَا

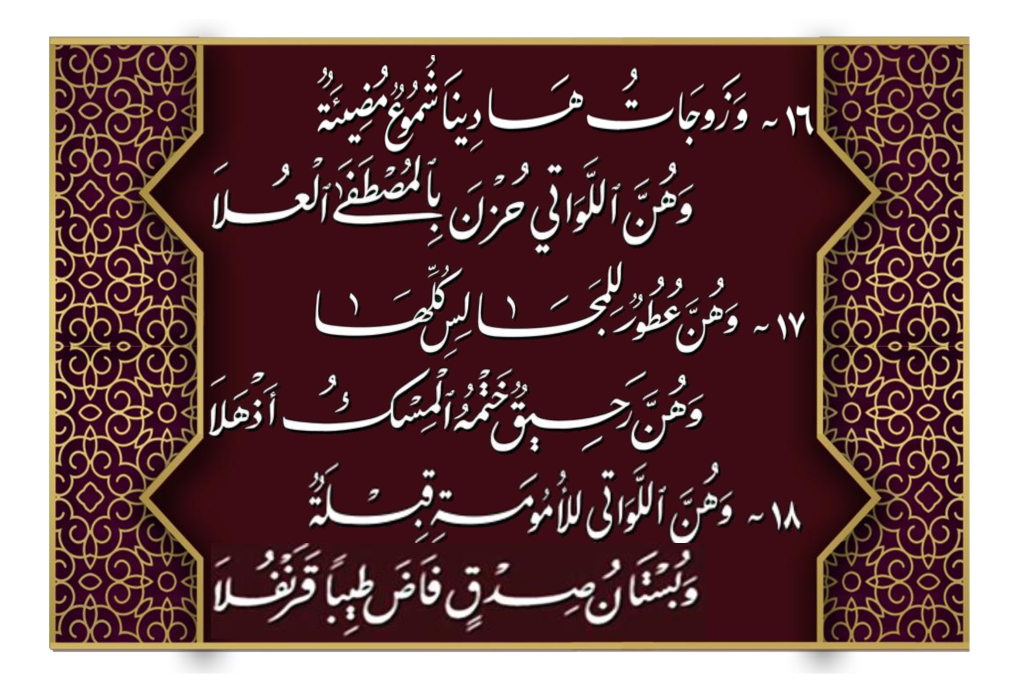
المعنى: ذكرت في هذه الأبيات اسم النبي ﷺ ونسبه الشريف الذي ختمته بوصفي أنه أتاكم بعزٍّ تَنَبَّلَ أي تَعَظَّمَ.

واسم النبي الكريم ﷺ هو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم.

النسب الشريف للنبي ﷺ من محمد ﷺ إلى آدم عليه السلام:

* محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، واسم عبد المطلب: شيبة بن هاشم واسم هاشم: عمرو بن عبد مناف واسم عبد مناف: الْمُغِيرَةُ بن قُصَيٍّ، (واسم قصي: زيد) بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة، واسم مدركة: عامر بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أَدٍّ، ويقال: (أُدَدَ) بن مُقَوِّم بن ناحور بن تَيْرَح بن يَعْرُب بن يَشْجُب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم - خليل الرحمن - بن تارح، وهو آزر بن ناحور بن ساروغ بن راعو بن فالخ بن عيبر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن

مَتُوشلَخَ بن أخنوخ ، وهو إدريس النبي فيما يزعمون والله أعلم، وكان أول بني آدم أعطى النبوة، وخط بالقلم – ابن يرد بن مهليل بن قَيْنَن بن يَانِش بن شيث بن آدم ﷺ (١).



المعنى: هنا بدأتُ الحديث عن زوجات النبي ﷺ أمهات المؤمنين وصفوة نساء الأرض ورياحين الأزمان؛ لنستنشق من ذكرهنَّ مسك الشمائل ونستلهم بسمُوِّهِنَّ شريف الفضائل التي أزهرت في رياض الرحمة المحمدية واستقت من

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج١ ص١

نبع المكارم النبوية فأجملت ما معناه أن زوجات النبي ﷺ شموعٌ مضيئة وهنَّ اللواتي قد حزن بزواجهن من سيدنا رسول الله ﷺ العز والشرف والرفعة؛ ففاحت سيرتهن بالمكرمات وبلغن قمم الفضل والمكارم كلها، وهن عطور للمجالس كلها بسيرتهنّ النَّدِيَّة الزَّكِيَّة، وَهُنَّ رحيقٌ ختامه مسكٌ، وهاتيك بركات تترى لكل من اقتدى بِهِنَّ ليشارف بمسك ذكرهن سُدَّة الطهر والفضل، والشرف والعطاء، فهنَّ اللواتي للأمومة قبلة بأنهن أمهات للمؤمنين جميعا وأخلاقهن بستان مكرمات فاض الصدقُ فيه طيبا قرنفلا، وشذا يتنفسه التاريخ عبر القرون، وتبثه كتب ومجالس السِّيرة كأنفاس الصباح في كل الأجيال بكل البلدان، من أثرٍ لهن تخلَّد فنبت في النفوس منبت الياسمين والعنبر والريحان.



١٩ - خديجةُ، سَوْدَة، عائشٌ، حفصةٌ تلت
وبنتُ خزيمٍ زينبٌ فتأمّلا

٢٠ - وزينبُ قالوا بنتُ جحشٍ، جويريّةٌ
ورملةُ حازتْ مع صفيّةَ موئلا

٢١ - وهندٌ وميمونةٌ هنا تمّ وانتهى
عليهنّ رضوانُ الجليلِ تنزّلا

٢٢ - وملكُ يمينِ المصطفى هي ماريةٌ
وريحانةٌ اختارتْ محمّدَ معقلا

المعنى: هنا ذكرت زوجات الرّسول الكريم ﷺ وعددَهنّ إحدى عشرة امرأةً، وأيضًا كان للرسول ﷺ السّراري أو الجواري اللاتي تسرّى بهنّ أيْ: دخل بهنّ، وهنّ اثنتانِ معروفتانِ؛ ماريّة القبطيّة، وريحانة بنتُ زيدٍ النّضريّة، وسأعرِضُ

نبذةً عن إحدى عشرة امرأةً كانت له زوجةً، وعن الجاريتين اللتين دخلَ بهما سيدنا رسول الله ﷺ:

١- السيدة خديجةُ بنتُ خويلد رضي الله عنها **:** السيّدة خديجةُ بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى، هي أولى أمهات المؤمنين وزوجةُ الرّسول الكريم ﷺ، وواسطة العقد الشريف في نساء أهل البيت وأم أولاده ﷺ، تزوّج بها أوّل واحدةٍ، وقد كانت أكبر منه بخمس عشرة سنةً، وهي من أشرافِ مكّة العُظماء، عاشت وترعرت في بيئةٍ شريفةٍ ميسورةٍ ذاتَ مال، وقد كانت ثريّة من بطون العرب، لم تدركها الفاقة أبداً، حيثُ تألّقت في التجارة والعروض الواسعة، تزوّجت من اثنين قبلَ الرّسول ﷺ، حيثُ كان لها من الأوّل بنتًا، ومن الثّاني غلامًا، وبقيت بعد وفاةِ زوجَيها ترعى أولادها من مال تجارتِها، فقد كانت تستأجر الرّجال الصّادقين المخلصين في تجارتِها للشّام، في حين كان النبيّ ﷺ في ريعان شبابِه، فخرج في تجارتِها مع قافلة الشّام، وبعدما عرفت من نبل أخلاقِه وجميل أمانتِه وصفاتِه، طلبته لنفسِها،

فجاءَ النبيّ ﷺ مع أعمامِه في طلبِ خديجةَ لمحمّد، وهكذا تزوّجا، وقد أنجبت له الولد؛ القاسم، وعبد الله، ورقية، وزينب، وفاطمة، وأم كلثوم، وكانت معه في كلّ عسرٍ ويسرٍ؛ فآمنت به وصدّقته حينما بُعِث، وآزرته بمالِها ونفسِها وحنانِها، فكانت حاضِنة الإسلام الأولى، وكان النبيّ ﷺ يحبّها كثيراً، ويذكرها في سائِر حياتِه، وهي أول الخلق إسلاما وصِدِّيقة المؤمنات الأولى التي خصَّها الله بالسلام على لسان جبريل عليه السلام وبشرها ببيت في الجنة من قصب، وقد توفّيت رضي الله عنها في مكّة قبل الهجرة بثلاثِ سنوات.

٢- السيدة سَوْدَةُ بنتُ زمعة رضي الله عنها : ثاني زوجات النبي ﷺ التي دخلت خدر أمهات المؤمنين بعد السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها هي السيدة سودة بنتُ زُمعة القُرشيّة، أمّ المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها، تزوّجها النبيّ ﷺ بعد خديجة، وذلِك قبل عقدِها على عائشةَ رضي الله عنهنّ جمعيهنّ، وهي سيدة نبيلة كريمة طيبة القلب والنَّفْس وكانت تُؤثِر رضى الله تعالى ورضى رسولِه عليه الصّلاة والسلام على كلّ

شيءٍ؛ فقد آثرت أن تهب ليلتَها لعائِشة، في حين تبقى على ذمّة النبيّ ﷺ، حبـًا لـه وقربـًا من مقامِه الشريف، وهي التي أسلمت مع زوجها السكران بن عمرو في الهجرة للحبشةِ؛ فلمّا توفّي عنها، تزوّجها النبيّ عليه الصّلاة والسّلام تكرمةً لها وصيانةً لدينها ونفسِها، وهي من أصحاب الهجرتين لأنها هاجرت إلى الحبشة وهاجرت إلى المدينة، وروت خمسة أحاديث شريفة، وتوفيت في المدينة في آخر زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين.

٣- السيدة عائشة بنت أبي بكرٍ رضي الله عنها **:** هي أمّ المؤمنين الدَّوْحَةُ الباسِقَة الصّديقة بنت الصّديق رضي الله عنها وعن أبيها، إحدى بنات الصحابة اللاتي وُلدن في الإسلام، وهي أصغر من السيدة فاطمة بثماني سنين، تزوّجها النبيّ ﷺ بعد سودة، وهي الزوجة الوحيدة التي تزوّجها بكراً، وهي أعلمُ زوجاته وأفقههنّ، وأميزهنّ أدبـًا وخُلقًا، وقد كانت أحبّ زوجاته إليه بعد السيدة خديجة رضي الله عنها ؛ وكانت امرأة بيضاء جميلة يقال لها: "الْحُمَيراء"، ليس في النساء امرأة - بعد شأو السيدة

خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الذي لا يُدَانى – أعظم منها، وروت السيدة عائشة – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – عن النبيّ الكريم الأحاديث الكثيرة الصحيحة؛ فهي روايةُ زمانِها، ومن الرّواةِ الخمسةِ المكثرين، وهي الْمُبَرَّأة من فوق سبع سماوات نزلت في عفّتها وبراءتِها آياتٌ تتلى ليوم القيامةِ، وقد خيّرها النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الله ورسولِه وبين زخرف الحياة الدّنيا؛ فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، ومرض النبي مرض موتِه في حجرتِها، ومات ودفن في بيتها، وقد جمعت كل صفات البر واقتعدت سُدَّة العلم والطهر وصاحبت النورانية حياتها المباركة حتى توفّيت في عامّ السّابع والخمسين للهجرة ودفنت في بقيعِ المدينة.

وهذه قصيدة كنتُ قد كتبتُها في شرف الدفاع عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعن أبيها؛ فقلتُ على لسانها:

دَبِيبُ الْإِفْكِ

كَمَا الْعُرْوَةِ الْوُثْقَى عَظِيمُ الْبِنَايَةِ ... بِقَلْبِ الْحَبِيبِ الْحُبُّ لِي بِحَفَاوَةِ

فَكَمْ قُلْتُ كَيْفَ الْحَالُ وَالْعُقْدَةُ ... وَقَبْلَ تَمَامِ السُّؤْلِ يُدْلِي: كَحَالَتِي

حَبِيبَةُ خَيْرِ الرُّسْلِ وَابْنَةُ خِلِّهِ ... وَزَوَّجَنِي الْمَوْلَى لَهُ لِكَرَامَتِي

بِوَحْيٍ رَآنِي فِي الْمَنَامِ لِخِطْبَتِي ... بِقِطْعِ الْحَرِيرِ الْتَفَّ سَمْتِي وَهَامَتِي

فَمَا لَاحَ فِي جَوِّ السَّمَاءِ كَكَوْكَبِي ... بِكَفِّ مَلَاكٍ قَدْ أَرَاهُ أَمَارَتِي

بِعَائِشَ نَادَانِي لِفَرْطِ مَحَبَّتِي ... وَبِاسْمِي مَعَ الصِّدِّيقِ أَبْدَى مَكَانَتِي

وَدَلَّلَنِي حَتَّى عُرِفْتُ بِأَنَّنِي ... حُمَيْرَاءُ خَجْلَى وَالْحَيَاءُ عَبَاءَتِي

بِبَيْتِي وَفِي حِجْرِي أَنَا اخْتَارَ مَوْتَهُ ... كَأَنِّي لَهُ الدُّنْيَا؛ بِرُوحِي وَرَاحَتِي

وَقَدْ أَحْسَنَ الْمَثْوَى لِيَ اللهُ مُذْ بَدَتْ ... عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا شُمُوسُ نَشَاءَتِي

وَذُو الْحِقْدِ إِنْ يَفْشَلْ أَنَافَ لِسِيرَتِي ... وَلَيْسَ يَضُرُّ السُّحْبَ نَبْحُ قُضَاعَةِ

فَتَاللهِ لَوْ أَنَّ الطَّهَارَةَ أَعْرَبَتْ ... عَنِ الْأَصْلِ فِيهَا لَاسْتَقَرَّتْ بِرَاحَتِي

جُبِلْتُ عَلَى التَّقْوَى بِسِتْرٍ وَمِنْعَةٍ ... وَطَرْفُ ثِيَابِي لَمْ يَطَأْ دَارَ جَارَتِي

وَذُو الشَّكِّ وَالتَّخْوِينِ يَحْسَبُ دَاءَهُ ... بِمَاءِ السَّمَا، وَالدَّاءَ أَبْدَتْ طَهَارَتِي

وَدَافَعَ رَبُّ النَّاسِ عَنِّي بِآيِهِ ... وَفِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ أَرْسَى بَرَاءَتِي

أَلَا خِبْتَ يَا شَانِي الْحَبِيبِ وَآلِهِ ... وَإِنِّي لَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ بِآيَتِي

وَإِنِّـــي الْمَصُـــونُ الْمُسْتَضَـــاءُ بِهَـــدْيِهَا وَإِنْ غَاضَ هَدْيُ النَّاسِ فَاضَتْ هِدَايَتِي

وَطَرْفِي غَضِيضٌ فِي مُحَيَّايَ نَاسِكٌ مَحِـــلَّ سُـــجُودِي مُنْتَهَـــاهُ كَعَـــادَتِي

وَصِـــدِّيقَةٌ بَـــيْنَ النِّسَـــاءِ كَرِيمَـــةٌ وَإِنِّـــي حَصَـــانٌ لَـــيْسَ يُرْقَـــى لِسَـــاحَتِي

أَتَيْـــتَ مِـــنَ الـــذَّلَّاتِ إِدًّا وَفِرْيَـــةً تَهُـــدُّ الرَّوَاسِـــي مِـــنْ عَظِـــيمِ الْجِنَايَـــةِ

فَأَشْـعَلْتَ قَلْـبَ الْمُـؤْمِنِينَ بِجَمْـرَةٍ مِـنَ الْخُبْـثِ لَا تَخْبُـو بِغَيْـرِ حِمَـايَتِي

وَإِنَّ دَبِيـبَ الْإِفْـكِ فِـي جَنْـبِ صَـوْلَةٍ مِـنَ الْحَـقِّ لَا يَبْـدُو، وَصَـالَتْ مَقَـالَتِي

* رضي الله عن أمنا عائشة وعن جميع أمهات المؤمنين وجمعنا بهم مع سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ في أعلى عليين.

٤- السيدة حفصة بنتُ عمر رضي الله عنهما : هي الكريمة ابنة الكريم، وارثة الصحيفة وجامعة الكتاب، أم المؤمنين الْمُحَدِّثَة الواعية الصَّوَّامة القوَّامة: حفصةُ بنت عمر بن الخطاب، أمّ المؤمنين، صحابيّة جليلة وصالحة فقيهة من عالمات النساء في عصر النبوة، عُرفت بصيامِها وقيامِها عند الله تعالى، وتميّزت الزاهدة ابنة الخليفة الزاهد بالقوّة والصّلابة في شخصيّتها، وذلِك من أبيها رضي الله عنهما الذي عُرِف بطيبِ

عرف عودِه والثابت أصله في الحسب والنسب، وكانت حارسة للقرآن الكريم ولها أثر في جمعه، وكانت من الكاتبات، وقد تزوّجت قبل الإسلام برجل يدعى خنيس بن حذافة؛ ثمّ أسلما وهاجرا معـًا؛ فلمّا ترمّلت ومات عنها؛ تزوّجها النبيّ ﷺ وخطبها لنفسه، كانت قد حفظِت المصحف الشريف في بيتِها في زمن عثمان رضي الله عنه ، وفي زواجها كان قد طلّقها النبيّ عليه الصّلاة والسلام لحادثةٍ وقعت، ولكن لفضلِها ومكانتِها عند الله أمره بأن يرُاجِعها، وبذلت من الحكمة والرصانة والتقوى ما أحلَّها مَحِلًّا كريما لدى النبي ﷺ فعاشت في عصمته وإحسانه ورعايته يغدق عليها من عطفه وودّه ومحبته، وروت عنه - ﷺ - وعن أبيها ستين حديثا، وعاشت بعد وفاة النبي - ﷺ - مرعية الجانب مرضية المكانة مشهودة الفضائل من الخلفاء والصحابة - رضوان الله عليهم - وتوفيت في المدينة ٤٥ هجرية، وقد بلغت من العمر ستين سنة على أغلب الروايات.

وهذه قصيدتي من ديواني المحمدي الرابع كتبتها على لسان أم المؤمنين السيدة حفصة رضي الله عنها وأرضاها:

أُمُّ الْمَوَاهِبِ

عَلَـى هَامَـةِ الْجَـوْزَاءِ تَعْلُـو مَنَـاقِبِي ... وَفِـي مَعْبَـدِ الْأَزْمَـانِ قَامَـتْ كَرَاهِـبِ

وَأَثْنَـى عَلَـيَّ الْفَخْـرُ وَالْكَـوْنُ شَـاهِدٌ ... وَيَمْـدَحُنِي دَهْـرِي بِـأُذْنِ الْكَوَاكِـبِ

أَنَـا ابْنَـةُ فَـارُوقِ الزَّمَـانِ وَإِنَّنِـي ... لَـزَوْجُ رَسُـولِ اللهِ نُـورِ الْغَيَاهِـبِ

أَسَـالَ عَلَـيَّ الْهَـدْيُ سُـقْيَاهُ مُـذْ مَضَـى ... أَبِـي مُسْـلِمًا فَاعْتَـدْتُ سُـقْيَاهُ مِـنْ أَبِـي

وَأَلْقَـتْ شُـمُوسُ الـذِّكْرِ فَـوْقِي دِثَارَهَـا ... فَـدُثِّرْتُ مِـنْ شِـرْكٍ بِأَرْضِـيَ سَـارِبِ

يَقُولُـونَ عَنِّـي ضُـرَّةُ الشَّـمْسِ فِطْنَـةً ... مِـنَ الْكَاتِبَـاتِ الْعَالِمَـاتِ النَّجَائِـبِ

مِـنَ السَّـابِقَاتِ الْمُؤْمِنَـاتِ فَقِيهَـةٌ ... ضُـحًى وَجْهُهَـا بِـالْعِلْمِ لَـيْسَ بِغَـارِبِ

لِسَـانُ سَـجَايَاهَا وَقَـارٌ وَرِفْعَـةٌ ... بِهَـا الْعَطْـفُ تِرْيَـاقٌ كَعَـوْدَةِ غَائِـبِ

كَغَيْـثٍ أَجَـشٍّ يَنْتَهِـي بَعْـدَهُ الظَّمَـا ... وَيُرْضِـعُ أَوْلَادَ الـدُّنَا بِالْوَهَائِـبِ

تَرَى فِي نَوَاصِي رَأْيِهَا الرُّشْدَ وَالتُّقَى ... لَعَمْـرُكَ مَعْقُـودًا بِكُـلِّ الْمَـذَاهِبِ

إِذَا أَذْكَتِ الْفِكْرَ انْجَلَى الصُّبْحُ لِلْوَرَى ... وَفِـي لُبِّهَـا الْـوَاعِي مَرَايَـا الْعَوَاقِـبِ

وَقَـالُوا صَـفَاءٌ صَـفْحَتِي، وَصَـحِيفَتِي ... نَقَـاءٌ، مِـنَ الـدُّنْيَا بَـرَاءٌ حَقَـائِبِي

وَإِنْ حَـلَّ ذِكْـرِي بِـالْفَلَاةِ تَخَضَّـرَتْ ... تَخَضُّـرَ رَوْضٍ مِـنْ طَهُـورِ الْمَشَـارِبِ

مُكَحَّلَـةٌ بِالنُّبْـلِ وَالطُّهْـرُ نَشْـأَتِي ... كَـأَنَّ الْفُرَاتَ انْسَالَ مِـنْ لِـينِ جَانِبِي

تَزَوَّجْـتُ وَالْأَقْـدَارُ صَـاغَتْ تَرَمُّلِـي كَـأَنِّي تِبْـرٌ سَـبْكُهُ بِالتَّجَـارُبِ

فَهَـبَّ أَبِـي بَعْـدَ افْتِقَـادِي خُنَيْسَ كَـي يُزَوِّجَنِـي زَيْـنَ النُّجُـومِ الثَّوَاقِـبِ

وَنَـادَى أَبَـا بَكْـرٍ وَعُثْمَـانَ قَبْلَـهُ وَلَكِـنْ أَرَادَ اللهُ لِـي خَيْـرَ خَاطِـبِ

فَزُوِّجْـتُ مِـنْ خَيْـرِ الْأَنَـامِ مُحَمَّـدٍ وَنُجِّيـتُ مِـنْ أَحْـزَانِ فَقْـدٍ قَوَاضِـبِ

عَلَـيَّ مَـعَ الْآلِ الْكِـرَامِ مَقَالِـدٌ مِنَ السَّعْدِ مُذْ أَسْمَى النُّجُومَ أَقَارِبِي

وَهَـذَا بَيَـانِي أَمْـرَ مَارِيَـةٍ وَذَا زَوَالُ غِطَـاءِ اللَّيْـلِ، صُـبْحُ مَـآرِبِي

أَنَـا إِنْ لِفَـرْطِ الْحُـبِّ بُحْـتُ لِعَـائِشٍ وَبِـي نَعَـتِ السِّـرَّ الشَّـرِيفَ مَنَـادِبِي

وَإِنْ أَدْمُعِـي بَلَّـتْ رِدَائِـيَ غَيْـرَةً فَهَـذَا لِأَنَّ الْحُـبَّ لَـيْسَ بِكَـاذِبِ

وَلَـيْسَ كَشِـرْكٍ فِـي الْحَبِيـبِ مُصِـيبَةٌ تُنَبِّيـكَ عَـنْ حَـالِ الْفَتَـى فِـي النَّوَائِـبِ

هُـوَ الـدَّهْرُ بِالصَّبْرِ الْمَفَـرُّ وَقَـدْ مَضَـى لِعِلْـمِ رَسُـولِ اللهِ بِـالْأَمْرِ قَـارِبِي

وَلَمَّـا أَتَـى الْهَـادِي وَعَرَّفَنِـي بِـهِ تَسَـاءَلْتُ مَـنْ أَنْبَـاكَ إِيَّـاهُ صَـاحِبِي؟

فَـرَدَّدَ أَنْبَـانِي الْعَلِـيمُ الْخَبِيـرُ مَـا فَعَلْـتِ فَقُلْـتُ الْعُـذْرَ وَالتَّـوْبُ وَاجِبِـي

وَغَـادَرَنِي خَـوْفِي وَعَـادَ تَجَلُّـدِي وَعُـدْتُ بِقَلْـبٍ مَسَّـهُ الصَّـبْرُ تَائِـبِ

أَنَـا عِنْـدَ زَوْجِـي فِـي سُـوَيْدَاءِ قَلْبِـهِ وَعِنْـدَ أَبِـي كُحْـلٌ لِطَـرْفٍ وَحَاجِـبِ

وَقَـدْ زَانَنِـي اللهُ الْكَـرِيمُ بِخِلْعَـةٍ مِـنَ الْعِـزِّ وَالْإِنْعَـامِ وَارَتْ مَتَـاعِبِي

وَإِنِّـي لَأُمُّ الْمُـؤْمِنِينَ بِـأَمْرِهِ وَجِبْرِيـلُ بِالْبُشْـرَى أَتَـمَّ رَغَـائِبِي

صَـــوُومٌ قَـــوُومٌ بِالْمُقَامَـــةِ زَوْجَـــةٌ لِأَحْمَدَ ذِي بُشْرَى الْأَمِينِ الْمُصَاحِبِ

لِسِـتِّينَ مِـنْ شَـهْدٍ مُصَـفًّى تَرَشُّـفِي بِحِفْظِـي أَحَادِيـثِ الْحَبِيـبِ الْحَبَائِـبِ

وَعَـائِشُ عَنِّـي لَـوْ تَقُـولُ: هِـيَ الَّتِـي بِقَـدْرِي تُسَـامِينِي لِكُـلِّ مُخَاطَـبِ

فَذَا فَضْلُ رَبِّي غَالِبُ الضَّعْفِ بِالْهُدَى وَلَـوْ جِئْـتُ ذَنْبًـا مَعْـهُ لَـيْسَ بِغَالِـبِ

وَعَنِّـــي مَقَـــالُ الْأَصْـــبَهَانِي وَغَيْـــرِهِ لَصَـــوَّامَةٌ قَوَّامَـــةٌ ذِي عَجَائِـــبِ

وَوَارِثَـةُ الصُّـحْفِ الشَّـرِيفَةِ حَفْصَـةٌ وَجَامِعَـــةُ الْقُـــرْآنِ أُمُّ الْمَوَاهِـــبِ

وَفَضَّــتْ عُقُــودَ الْحُسْــنِ دُرًّا بِخُطْبَــةٍ بِهَـا قَـدْ قَضَـتْ حَـقَّ الْبَيَـانِ الْمُطَالَـبِ

سَقَى الْفَضْـلُ أَيَّامِي وَغَرْسِـي وَمَنْبَعِـي وَلِـي حَـرَسَ الْمَجْـدُ الرَّفِيـعُ مَـوَاكِبِي

وَمُنْــذُ وَفَــاتِي صَــالِحُ الْخَلْــقِ نَــاطِقٌ عَلَيَّ مِنَ الرِّضْوَانِ فَيْضُ سَحَائِبِ (١)

٥- السيدة زينب بنت خزيمة رضي الله عنها : هي أمّ المؤمنين العابدة الزاهدة النقيّة زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله الهلاليّة، كانت تُلقّب بأمّ المساكين رضي الله عنها وأرضاها وكانت من أرحم وأرقّ النساء؛ وذلِك لما عُرف عنها من رحمتِها وحبّها ورعايتِها للمساكين والمحتاجين في الجاهلية، وازدادت برًّا وإحسانا في بيت النبوة الطاهر، وازدادت عنايتها بالمساكين كما قد غمرت بالبر والعطف أهل الصُّفَّة –

---

(١) قصيدة أم المواهب من ديوان نورا حلمي المحمدي الرابع.

الذين انقطعوا للعبادة بالمسجد النبوي الشريف وعملوا على حراسة النبي ﷺ - وأفاضت عليهم من كرمها وإحسانها؛ وكانت قد تزوّجت قبل النبيّ عليه الصلاة والسلام بالصحابيّ الجليل عبد الله بن جحشٍ، ولكنّه توفي عنها في استشهادِه في أُحد، فتزوّجت النبيّ ﷺ بعده، ولم تلبث عنده طويلاً إلى أن جاء أجلُها فقد توفّيت بعد زواجِها من النبيّ ﷺ بشهرين أو أكثر بقليل، وكانت أولى نساء النبي - ﷺ - موتًا بالمدينة، ولم يمت في حياته بالمدينة من زوجاته غيرها، وقد فازت بوفاتها في حياته - ﷺ - وصلاته عليها ودعائه لها، جزاها ربي بالإحسان إحسانا ورضي عنها وعن جميع أمهات المؤمنين.

٦- السيدة زينبُ بنتُ جحشٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا **:** الحسيبة النبيلة العابدة، الراضية الصوّامة القوَّامة، الأَوَّاهة الخاشعة المتضرعة، السابقة إلى الْمَبَرَّات، السبَّاقة إلى الخيرات أمّ المؤمنين زينب بنت جحشٍ، المؤمنة بنص القرآن الكريم كما وصفها رب العالمين فيه، وبسببها نزلت آية الحجاب، قد زوّجها الله تعالى لرسولِه عليه

الصّلاة والسّلام من فوقِ سبع سموات بعد زيد بن حارثة، وبنى بها النبي عليه الصلاة والسلام في ذي القعدة، وبزواجها من النبيّ ﷺ أبطل الله تعالى عادة التبنّي التي كانت سائدة في الجاهليّة قبل الإسلام، وكانت من على نساء قريش ومن فضليات النساء في مكة، أنعم الله عليها بالجمال والحسب الرفيع والنسب الأصيل، خَضَّلَ رحيق الإيمان قلبها فأزهر بالمكرمات التي رفعته مكانا عليًّا في مقام الصلاح فكانت أطول نساءِ النبي يدًا ومن سادة نساء الدنيا في الدين والورع والجود والإحسان، فكانت كثيرةُ التّصدق والإنفاق، وهي من راوّيات الحديث النبوي عاشت ثلاثـًا وخمسين سنة وتوفيت سنة عشرين من الهجرة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، وأمر سيدنا عمر رضي الله عنه أن يُضرب فسطاط بالبقيع على قبرها لشدة الحرِّ فكان أول فسطاط ضرب على قبرٍ بالبقيع حيث دُفنت، رضي الله عنها وعن جميع أمهات المؤمنين.

٧- السيدة جويريةُ بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : المباركة القانتة الشاكرة، التَّقِيَّة النَّقِيَّة، العالمة الْمُحَدِّثة أمّ المؤمنين جويريَة بنت الحارث، أبوها سيّد قومِه في الجاهليّة، سُبيت من غزوةِ بني المصطلق، وكانت من نصيب الأنصاريّ ثابت بن قيس، فوفّى النبيّ عنها المكاتبةَ ثمّ عرض عليها الزواج وتزوّجها، وكانت تسمّى برّة قبل إسلامِها؛ فسمّاها النبيّ ﷺ جويرية، وكانت ذات أدبٍ وخُلقٍ حسنٍ، وخَلق جميل، زيّنها الله بالفضائل والمكارم، وكانت كما وصفتها أمّنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : " حلوة ملّاحة" ، وتغلغل الإيمان في قلبها ورسخ في نفسها فجعلها رزينة هادئة راغبة في العلياء زاهدة في رغائب الأرض، وروت عن النبيّ الأحاديث الصّحيحة، وامتدت حياتها إلى خلافة سيدنا معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وقد بلغت سبعين سنة وتوفيت في المدينة، وصلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة المنورة حينها، ودفنت في بقيعها سنة خمسين من الهجرة النبوية الشريفة، رضي الله عن أمنا زينب بنت جحش وعن جميع أمهات المؤمنين.

٨- السـيدة أمّ حبيبـةَ بنـت أبـي سـفيان ﵂ **:** الـدُّرَّة العابـدة مشـكاة الإرادة وصاحبة اليقين المتين أمّ المؤمنين رملة بنت أبي سفيان، أسلمت وهاجرت مع زوجها عبيد الله بـن جحشٍ إلـى الحبشـة، فتركهـا وأصبح نصرانيًّا، وبقيت على الإسلام ثابتةً راسخةً، فأرسل النبيّ عليه الصلاة والسّلام في زواجِها مـن النجاشـيّ بتوكيل منه، فتزوّجها وعـادت إلـى المدينـة في السـنة السـابعة للهجـرةِ، وكانـت مـن سادة وسيدات النسـاء، وعلـى جانـب كبير مـن رجاحـة العقـل والفصاحة وجزالـة الـرأي وقـوة الإرادة، وإن الأقـدار التـي تجـري في أعنّتهـا رفعـت مـن قـدر أمّ حبيبـة وجعلتها في هذه المكانة السامية لتكون الوحيدة التي يتزوجها النبي ﷺ وهي نائية الدار ويعقد عليها وهي بالحبشـة، وجعلتهـا أكثر زوجـات النبـي ﷺ صـداقًا كمـا كانت أقربهن نسـبا لـه ونـزل بحقِّهـا قـرآن يتلـى، عُرفـت بالبلاغـة وحسـن الخطـاب والذكاء، وأكرمها الله بـالعلم ورواية الحـديث فَـرَوت خمسة وستين حـديثا، ولـم يسبقها في الحفظ والرواية مـن أمهـات المـؤمنين إلا أمّنـا عائشـة وإلا أمنـا أم سـلمة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، ثم تأتي أم المؤمنين رملة في المرتبة الثالثة بين أمهات المؤمنين ونساء البيت الطاهر الكريم في الحفظ والرواية، وكانت شديدة التمسك بالسُّنّة وبهدي الرسول ﷺ، ولعلها في حياتها بعد الرسول ﷺ كانت لا تريمُ قيدَ أنملة عمّا حكاه وعاش عليه وأوصى به، فكانت تروي الحديث وتفقه حكمه وتعمل به، وتحدّث به وتوصي بالعمل بما جاء فيه، وكانت موصولة القلب بالله عز وجل ومن الذاكرين الله كثيرا والذاكرات، وصلت ليلها بنهارها، ونهارها بليلها في الصلوات والطاعات، وتوفيت في خلافة أخيها معاوية في سنة أربع وأربعين للهجرةِ، في الدار التي كانت لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المدينة المنورة، رضي الله عن أمّنا أمّ حبيبة وعن جميع أمهات المؤمنين.

٩- السيدة صفية بنتُ حُيَىّ بن أخطب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **:** الصادقة الصِّدِّيقة، العاقلة التَّقِيَّة، الْوَرِعَة الزاهدة، الْوَفِيَّة الوقورة الشَّريفة أمّ المؤمنين صفيّة بنت حييّ بن الأخطب، كانت سريّة أيْ جاريةً؛ فأعتقها النبيّ عليه الصلاة والسلام، فأسلمت وأدّى

صداقها ثمّ تزوّجها، وكان أبوها من بني النّضير، بنى بها النبي في السنة السابعة للهجرة، وقال لها النبي ﷺ: " إنك لابنة نبي، وإن عمّك لنبي، وإنك لتحت نبي"، وأقسَم ﷺ وقال عنها لزوجاته: "والله إنها لصادقة"؛ فاحتلت مكانة عليا بين نساء رسول الله ﷺ في مقام الصدق، وكان رسول الله ﷺ يَعرِف قدرَها ويكرمها ويعاملها غاية في الرفق، فكان يخرج من المسجد تكرمةً لها متى زارته في معتكفه.

* وكانت امرأة حليمة عاقلةً زيّنها الله من فرات الجمال والملاحة، فكانت جميلة فاضلة ولما دخلت في عقد أمهات المؤمنين أخذت تنهل من العلم وتحفظ من القرآن ما يسره الله لها، وكانت من راويات الحديث النبوي الشريف، وقد ورد لها من حفظها عشرة أحاديث روتها عن النبي ﷺ، وهي ممّا أفاء الله تعالى على نبيّه؛ فكان عتقها سنةً للأمّة، أنّه يجوز عتقُ الجارية بمهرها أو صداقِها ثمّ تصبحُ زوجةً، وعُرفَت أم المؤمنين صفية - رضي الله عنها - بأن الأموال لا تستقر على كفِّها إلا عابرات سبيل إلى أماكنها، وكانت لا تقيم لعرض الدنيا وزنا وتصدّقت بدارٍ لها في حياتها

ابتغاء رضوان الله، ومكثت قرابة أربعين سنة بعد وفاة النبي ﷺ قضتها في الطاعات والقربات بين الصيام والصلوات تنهل من العلم والعبادات، وعاشت عصر الخلفاء الراشدين كله وشهدت أحداثه، وتوفيت في المدينة ودفنت في البقيع في عهد معاوية في سنة خمسين للهجرةِ راضية مرضية، وقد شيّع جثمانها عدد من كبار الصحابة رضوان الله عليهم، ورضي الله عن أمّنا صفية وعن جميع أمهات المؤمنين.

١٠- السيدة أمّ سلَمة هند بنتُ أبي أميّة رضي الله عنها : الفقيهة العابدة العالمة القارئة الأديبة أم سلمة هند بنت أبي أميّة هي الصّحابية الجليلة، أمّ المؤمنين الحكيمة التي اشتهرت بحصافة الرأي وبسعيها دوما لمرضاة الله ورسوله ﷺ، أسلمت وزوجها أبو سلمةَ باكرًا وهاجرا، وقد أبدلها الله تعالى خيرا منه لما استشهد عنها، أبدلها بالنبيّ ﷺ، وكانت امرأة ذات عقلٍ ورأي، واشتهرت مشورتُها للنبيّ عليه الصلاة والسلام يوم الحديبية ولا تخفى على أحدٍ فطنتُها، وكانت تحظى بمكانة رفيعة عند النبي – ﷺ – وكان يصلي في بيتها، ولها مرويّات عن النبيّ الكريم وقيل

أنها روت ٣٧٨حديثا، وقد توفيت في المدينة ودفنت في بقيعها، وهي آخرُ أمهات المؤمنين وفاةً، وعاشت أكثر من ثمانين سنة، رضي الله عنها وعن جميع أمهات المؤمنين.

١١- السيدة ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها : التَّقِيَّة صافية السريرة، عظيمة الإيمان النبيلة الْمُحَدِّثة، صاحبة الأصل الحسيب والنسب الرفيع أمّ المؤمنين ميمونة رضي الله عنها وأرضاها، دُرَّةٌ في عقد نساء البيت النبوي الطاهر وواحدة من سادة النساء، كانت آخر زوجاتِ النبيّ ﷺ، تزوّجها في ذي القعدة سنة السّابعة للهجرة، ونزل القرآن يحكي قصتها فهي من وهبت نفسها للنبيّ الكريم في الآيةِ الشريفة؛ فقال تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة الأحزاب:٥٠].

أضاء الإيمان جوانب نفسها فشهد لها سيدنا رسول الله ﷺ بالإيمان وعرِفت بالخصال الحميدة التي تغذّت روحها برحيقها؛ ففاح عبير التقوى والزهد والورع من سمتها وفعالها، وعرفت بصلة الرحم وكانت كثيرةَ القربِ من ربّها تعالى ومن

حافظات الحديث الشريف المتقنات المكثرات لرواية الحديث الشريف، وكانت شديدة التمسك بالهدي النبوي، وبالفضائل والشمائل المحمدية، وهي آخر امرأة تزوجها رسول الله ﷺ (ممن دخل بهن)، وآخر حبات العقد النبوي الطاهر المنظوم من سيدات نساء العالمين وأمهات المؤمنين، وأمها أكرم عجوز في الأرض أصهارا؛ فمن أصهارها سيدنا رسول الله ﷺ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وأسد الرحمن حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، والعباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وصنو أبيه، والشهيد جعفر بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ، ومن أحفادها: حبر الأمة عبد الله بن عباس، وسيف الله المسلول خالد بن الوليد عليهم جميعا سحائب الرضوان.

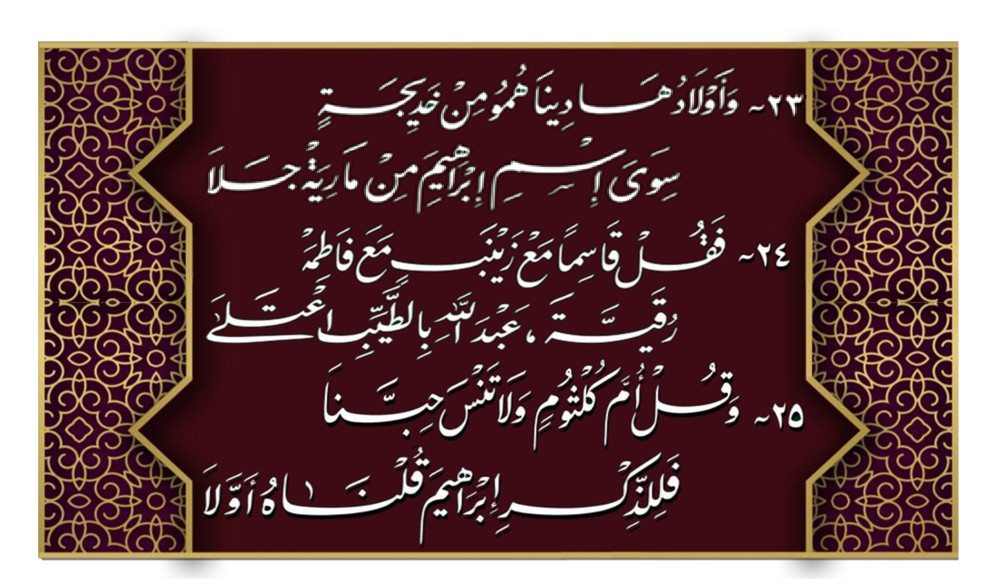
* وتوفيت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث - رضي الله عنها - في الموضع الذي تزوجت فيه من النبيّ ﷺ بسرف قرب مكة، سنةَ إحدى وخمسين للهجرةِ، رضي الله عن أمّنا ميمونة بنت الحارث وعن جميع أمهات المؤمنين.

١٢- السيدة ماريّة القبطيّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **:** الصابرة الطاهرة التَّقِيَّة النَّقِيَّة الكريمة سريَّة النبي ﷺ وأم ولده إبراهيم مارية بنت شمعون القبطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، دُرّةٌ استقرت بظلال البيت النبوي الطاهر فكُتِب لاسمها الخلود ولازمتها الكرامة والرفعة، وهي الجارية الثانية والتي لها منزلة كريمة عند النبي ﷺ ونعِمَت برعايته واختارها لنفسه ﷺ، وكان قد قدّمها للنبيّ ﷺ هديةً عظيم الأقباط بمصرَ؛ وكانت جميلة الطلعة بيضاء وبقيت في بيت النبيّ عليه الصلاة والسلام ملكًا لليمين؛ حتى حملت بإبراهيم فغدت أمًّا لولدٍ محرّرة وحظيت بالمكانة الكبيرة في البيت النبوي الطاهر، وأوصى النبي ﷺ بالأقباط خيرا إكراما لمارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وتوفيت في العام السادس عشر للهجرةِ في المدينة المنورة وعطر سيرتها تشهد به المجالس وتتعطّر به الأسماع في كل الأزمان، ورؤِيَ سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يدعو الناس لشهود الصلاة عليها، وصلى عليها وشهد الجنازة عدد كبير من الصحابة رضوان الله عليهم، ودفنت بالبقيع إلى جانب نساء أهل البيت الطاهر وإلى جانب ابنها إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، رضي الله عنها وأرضاها وعن جميع نساء البيت النبوي الطاهر الشريف.

١٣- السيدة ريحانة بنت زيد ﵂ **:** العاقلة التَّقِيَّة النَّقِيَّة الحامدة الشاكرة ريحانة بنت زيد - ﵂ - هي من نساء أهل البيت النبوي الطاهر الكريم، وإحدى الجاريتَين اللّتين دخل بهما النبيّ ﷺ، قد خيّرها عليه الصّلاة والسلام بين أن تسلِم ويختارها النبي ﷺ لنفسه، وبين أن تبقى على يهوديّتها؛ فكُشِفَت لها أنوار اليقين وحقيقة الخلود واختارت الله ورسوله ﷺ، وأسلمت في أواخر العام الخامِس للهجرةِ، فنُظِمَت في نساء البيت الطاهر وحظيت بالمكانة النبيلة عند رسول الله ﷺ لا تسأله شيئا إلا أعطاها، ونعِمَت بضعَ سنين في ظلال البيت النبوي الطاهر، ولامس السماءَ فؤادُها لمَّا حظيت بالكرامة والرفعة في جنب رسول الله ﷺ واستضاءت نفسها بنور الإسلام والإيمان، والتَذَّ قلبها في ليلها ونهارها بقولها: الحمد لله رب العالمين، ولقيت وجه ربها في حياة النبي ﷺ عندما رجع من حجة الوداع في العام العاشِر للهجرةِ، ودفنها في البقيع إلى جوار نساء أهل البيت النبوي الشريف، رضي الله عنها وأرضاها.





٢٣- وأولادها دينا هُمُو من خديجة
سوى إسم إبراهيم من مارية جلا

٢٤- فقل قاسمًا مع زينب مع فاطمة
رقية، عبد الله بالطيب اعتلى

٢٥- وقل أم كلثوم ولا تنس حبنا
فللذكر إبراهيم قلناه أولا

المعني: هنا قلت أن أولاد الرسول ﷺ هم من السيدة خديجة رضي الله عنها ما عدا ولده إبراهيم عليه السلام فهو من ساريته الكريمة مارية القبطية.

أولاد وبنات النبي ﷺ بالترتيب حسب ولادتهم الشريفة هم:

(القاسم، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، وعبد الله، وإبراهيم)

أما ترتيب أسمائهم الشريفة في المنظومة أتى كالتالي:

(القاسم، وزينب، وفاطمة، ورقية، وعبد الله، وأم كلثوم، وإبراهيم) رضي الله عنهم جميعا وأرضاهم.

وهذه قطرة من رحيق سِيَرِهم الْمِسْكِيَّة الطاهرة نتعطر بذكرها في إيجاز:

١- سيدنا القاسم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **:** كان القاسم أوَّل أبناء النَّبيِّ -ﷺ- وهو أوَّل مولودٍ يولد له، وأمُّه هي السيدة خديجة بنت خويلد -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-، وُلد القاسم في مكَّة المكرَّمة قبيل بعثة النَّبيِّ بشيءٍ يسيرٍ وأدرك البعثة، إلَّا أنَّه مات صغيراً، وقيل كان القاسم يحبو ويركب الدَّابة عندما توفي.

وكان لرسول الله - ﷺ - أربعةٌ من البنات، كلهنّ من السيّدة خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، وهنّ:**

١- السيدة زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **:** وُلدت زينب بعد القاسم، وهي كبرى بنات النَّبيِّ -ﷺ- وأولى حبّات العقد النفيس في البيت النبوي الطاهر، وقد وُلدت في مكَّة المكرَّمة، وعاشت بين أكرم أبوين في الدنيا، وزوَّجها سيدنا رسول الله ﷺ لابن خالتها هالة بنت خويلد، وزوجها هو أبو العاص بن أبي الربيع - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وسبْقُها إلى دوحة الإيمان والإسلام لا يحتاج لنص أو دليل، وهاجرت مع خير مَن قيل له يا أبي -

ﷺ- إلى المدينة، وإن كنا لسنا بصدد الحديث بتوسع عن سيرتها الطاهرة لكن لا يفوتني أن أنثر بعض العبير من ذكر قلادتها التي كان لها أثر في حياة النبي؛ فما إن تعلم بأمرها حتى تترقرق بالدمع عيناك قبل أن يبلغ طرفها أنه قد ترقرقت بالدمع عين النبي ﷺ وما إن تكمل الخبر حتى تعيش ما حدث بقلبك فيا لِرقة ما حدث، ويا لأمر تلك القلادة.

* لما أبى زوج السيدة زينب رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن يدخل في الإسلام وتضرعت لأجله ودعت ربها أن يزيح عن زوجها رجس الجاهلية لينعم في رياض الإيمان ويكون من فرسان مدرسة النبوة، وكان زوجها يحبها حبا شديدا ويُجِلُّ أباها، ولكنه كان يخشى من كلام المشركين والكفار، وكان يقول لها بكلام ينضح بالدفء وصدق اللهجة: "والله ما أبوك عندي بمتَّهم، وليس أحبّ إليّ من أن أسلك معكِ يا حبيبة في شعْبٍ واحد، ولكني أكره أن يُقَال: إنّ زوجك خذل قومه وكفر بآبائه إرضاءً لامرأته."

* وقبل إسلام زوجها كان قد وقع في الأسر لما خرج مع المشركين لقتال المسلمين - وأغلب الظنّ أنه قد خرج كارها متأثرا بقومه - فبعثت السيدة زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى أبيها مَن يفتدي منه زوجها، وكان من أهل زوجها واسمه عمرو بن الربيع فقدم إلى رسول الله ﷺ ووضع بين يديه مالًا وقلادة للسيدة زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وتلك القلادة كانت قد أهدتها السيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لابنتها السيدة زينب وأدخلتها بها على أبي العاص حين بنى بها في مكة حتى تتحلى بها، فلما رأى سيدنا رسول الله ﷺ القلادة ترقرق الدمع في عينيه الشريفتين لأن القلادة ذكرته بالسيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مؤنسة قلبه وسيدة نساء الدنيا، وكان ذلك مبعثا لذكرياته معها، كما دل على رِقّة السيدة زينب وعلى وفائها لزوجها فأثّر في النبي ﷺ ورَقَّ لها رِقّةً شديدة، وذكر خديجة ودعا لها، وتوجه متلطفا لأصحابه رضوان الله عليهم وطلب منهم بأسلوب رقيق سرى في حنايا نفوسهم النبيلة وحثّهم على العطاء بغير أن يسلبهم حقهم في الفداء، وقال لهم: "إن رأيتم أن تطلِقوا لها أسيرها وترُدُّوا عليها الذي لها فافعلوا"، قالوا: نعم يا رسول الله، وخرج أبو العاص وهو في شوقٍ لزوجته الوفيّة

التي افتدته بأعزّ قلادة عرفتها الدنيا، ولقد ردّ النبي ﷺ ابنته زينب على أبي العاص بن الربيع عندما أسلم زمن الحديبية، وأسلمت هي من أول البعثة، فبين إسلامها وإسلامه أكثر من ثماني عشرة سنة، واجتمع شملهما بعد فراق طال قرابة سنواتٍ ست، حيث أنه كان بين هجرتها وإسلامه ست سنين عددا، وماتت في حياة والدها ﷺ في السَّنة الثّامنة للهجرة، ودفنت في البقيع، رضي الله عنها وأرضاها وعن نساء البيت الطاهر الشريف وعن آل البيت جميعا.

٢- السيدة فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : بحسب ترتيب الأسماء الشريفة في المنظومة المنورة يتفاوح الآن عبيرُ ذكرِ أمِّ الفضائل الشريفة الباهرة، والْبَضْعَة النبوية الكريمة الطاهرة، سيدة نساء أهل الجنة السيدة فاطمة أصغر بنات النَّبيِّ -ﷺ- وأحبَّهنَّ إلى قلبه وابْنَة أحبّ أزواجه إليه ﷺ، إنها الجوهرة النفيسة التي اختصّت بما لم تختص به أي امرأة في أي زمان، وإن لِسيرتها تَحِنّ نوافجُ المسك وترِقُّ أوراقُ الياسمين ويودّ المسك لو أنه خَطَّ على الياسمين مقالتي في ريحانة البيت الطاهر، ولكني أقف عند اسمها الشريف وقفة يسيرة لا يسعني فيها أن أبثَّ رحيق سيرتها

الطاهرة لأنها تحتاج كتابا وحدها كتابا من أوراق الورد تحفّه بشدوها البلابل والعنادل، وتحمله على فُرُش الْفَخَار مدى الزمان بِيضُ الحمائم.

كانت السيدة فاطمة تكنّى بالزّهراء، وكفى من مناقبها أن نذكر أنها: أمُّ أبيها رضي الله عنها وأرضاها وصلى وسلم على أبيها إمام المتقين وسيد ولد آدم وخاتم المرسلين، ورضي عن أمِّها سيدة نساء الدنيا، ففي دوحة البيت المحمدي الطاهر تفتّحَت هذه الزهرة الرقيقة ببستان التُّقَى والطُّهر والصلوات، وربى رياض أزكى القلوب التي استقت رحيق الذكر والآيات، وفي جنّة الإيمان نمت الزهرة الطاهرة نُمُوَّ تعبُّدٍ وصفاء ببَهِيِّ الصفات وصَفِيّ المحاسن والهبات، ورحيق أخلاقها يفيض بالحياء والهدوء، والرِّقَّة والوقار؛ فهي سليلة الشرف الذي لا يبارى والطُّهر الذي لا يُجَارَى.

* وتزوَّجت عليّ بن أبي طالب -كرّم الله وجهه- في السَّنة الثَّانية للهجرة، وأنجبت له الحسن، والحسين، ومحسن، وزينب، وأم كلثوم، وكانت صابرةً ديِّنَة خيِّرَةً

صَيِّنة، وقد قال رسول الله ﷺ: " أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة"(١).

ومن فضائل الزهراء رضي الله عنها أن سيدنا عليًّا رضي الله عنه لم يتزوج عليها حتى ماتت، وكانت وفاتها بعد وفاة أبيها سيدنا محمَّد - ﷺ - بستّة أشهر، وذلك في شهر جمادى الأولى من السَّنة الحادية عشرة للهجرة، رضي الله عنها وعن جميع آل البيت النبوي الشريف الطاهر.

٣- السيدة رقيّة رضي الله عنها **:** هي ذات الهجرتين وجوهرة نفيسة من حبّات العقد الفريد والدرّ النضيد لنساء آل البيت المحمدي المنير، رُزق سيدنا محمَّد - ﷺ بها وله من العمر ثلاثٌ وثلاثون سنةً، وقد وُلدت في مكَّة المكرَّمة، وكانت السيدة رقية قد خطبها عتبة بن أبي لهب وخطب أختها أم كلثوم أخوه عتيبة بن أبي لهب، ولكن الله عز وجل قد حفظ البيت النبوي الطاهر من شر هذا الزواج وجعل المقادير تجري لصالح السيدة رقية رضي الله عنها وصرف عنها ابن أبي لهب، وتزوَّجت السيدة رقيَّة رضي الله عنها من الصّحابي الجليل سيدنا عثمان بن عفّان - رضي الله عنه -، وكانت

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣٨٦٨).

هي وزوجها من الصّحابة الذين هاجروا إلى الحبشة، وضربت أروع الأمثلة في الصبر والانقياد لأوامر الحق سبحانه وتعالى، وأنجبت السيدة رقيَّة ولدًا أسموه "عبد الله"، وكان يكنَّى به عثمان، إلَّا أنَّها مرضت مرضًا شديدًا في السّنة الثّانية للهجرة بالتَّزامن مع واقعة بدر، ثمَّ توفّيت على إثر هذا المرض، وكانت السيدة رقية رضي الله عنها أولى بنات النبي ﷺ وفاةً بالمدينة المنورة ودفنت بالبقيع، رضي الله عنها وعن جميع آل البيت النبوي الشريف الطاهر.

٤- سيدنا عبد الله - رضي الله عنه - ابن النبي ﷺ: وهو ثاني أبناء النبيِّ من الذُّكور من السَّيدة خديجة -رضي الله عنها-، وُلد بعد بعثة النَّبيِّ -عليه الصلاة والسّلام- في مكَّة المكرَّمة، ومات فيها، ولم يعمِّر عبد الله طويلاً فقد مات كأخيه القاسم في سنِّ الطُّفولة، ولقَّبه النَّبيُّ بالطّيب الطّاهر، ولمَّا مات عبد الله ظنَّ المشركون أنّ نسل محمّد قد انقطع وعيَّروه بأنَّه لم يبق له أحدٌ، فنزلت بذلك سورة الكوثر لتردَّ عليهم، رضي الله عن آل البيت الأطهار جميعا.

٥- السيدة أم كلثوم رَضِيَ اللهُ عَنْهَا **:** الْخَيِّرَة سليلة النسب العريق الطاهرة، صاحبة المكانة والشرف الصابرة، السيدة أمّ كلثوم هي إحدى بنات النَّبيِّ -ﷺ- واسمها أميَّة، لها من المكارم والصفات الفاضلة ما أحلها مكانا عليًّا فهي التي وصفها الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى: " الْخَيِّرَة"، وورد أنه صلى الله عليه قال في رفعة مكانتها: (يتزوج حفصة مَن خير من عثمان، ويتزوج عثمان مَن هي خير مِن حفصه)، وذلك لأنها بنت النبي ﷺ وأمها السيدة خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا سيدة نساء العالمين، واستقت من خير أبوين شهد التقى والصلاح فسرى في وريدها ما لم يَسْرِ في أوردة مَن لم تنل نوالها.

وعن أم عياش - وكانت أمَةً لرقية بنت رسول الله ﷺ- قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: (ما زوّجتُ عثمان أمّ كلثوم إلا بوحي من السماء) (١).

* وزوَّجها رسول الله من عثمان بن عفَّان بعد وفاة أختها رقيَّة، وتُوفِّيت في حياة أبيها في السَّنة التَّاسعة للهجرة، وغسَّلتها أم عطية الأنصاريَّة، وأسماء بنت عميس

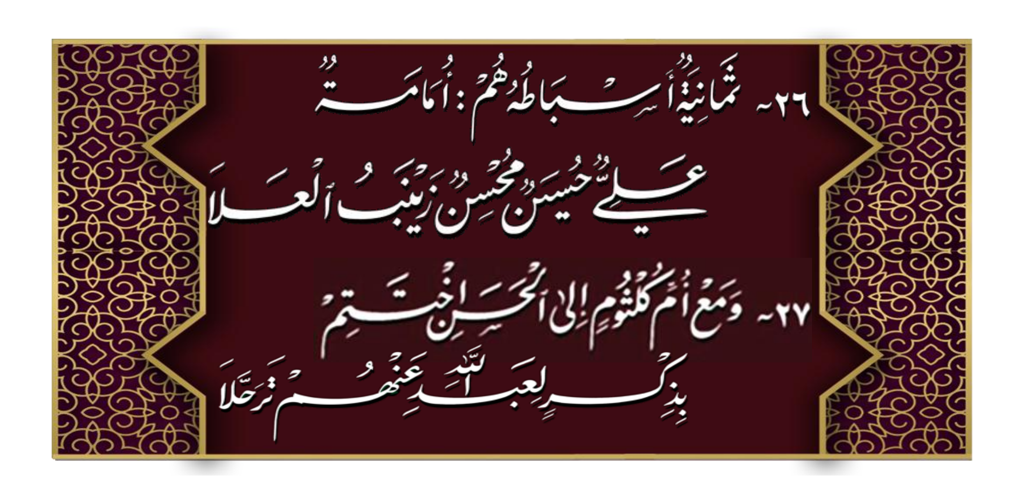
(١) مختصر تاريخ دمشق (١٢١/١٦)

وصفيه بنت عبد المطلب، ودفنت في البقيع، عليها سحائب الرضوان وعلى جميع آل البيت المحمدي الشريف الطاهر.

٦- سيدنا إبراهيم - رضي الله عنه - ابن سيدنا رسول الله ﷺ: وُلد إبراهيم لرسول الله -ﷺ- في المدينة المنوَّرة بعد الهجرة، وذلك في شهر ذي الحجَّة من السَّنة الثّامنة للهجرة، وأمه هي سارية رسول الله ﷺ: مارية القبطية التي كانت أمةً أرسلها ملك مصر هديةً لرسول الله، وكانت آية في الجمال ومكارم الأخلاق، وقد فرح رسول الله بمولد ولده إبراهيم عليه السلام، وأهدى من بشَّره به عبدًا، وعاش إبراهيم سنةً ونصف ثمَّ مات في المدينة المنورة، وقد حزن رسول الله -ﷺ- حزنًا شديدًا لوفاته وبكى عليه، وقال: «إنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، والقَلْبَ يَحْزَنُ، ولَا نَقُولُ إلَّا ما يَرْضَى رَبُّنَا، وإنَّا بفِرَاقِكَ يا إبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»، أسعد الله مهجتنا برؤياه في الجنة وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى جميع آل بيته الطاهر الشريف.



أسباط النبي ﷺ



المعنى: أحفاد النبي ﷺ ثمانية، خمسة منهم لابنته السيدة **فاطمة الزهراء** رضي الله عنها **وزوجها سيدنا علي بن أبي طالب** رضي الله عنه، وهم:

الحسن، والحسين، ومحسن، وأم كلثوم، وزينب، وقد توفي محسن في صغره.

* واثنان من أحفاد النبي ﷺ لابنته السيدة **زينب وزوجها أبي العاص** عليهما سحائب الرضوان، وهما: **عليٌّ وأمامة، وقد توفي علي** رضي الله عنه **في صغره.**

* وحفيد واحد للنبي ﷺ من ابنته **السيدة رقيّة وزوجها عثمان بن عفان** رضي الله عنهما، واسمه عبد الله، وتوفي في السادسة من عمره، وكان يُكنّى به سيدنا عثمان رضي الله عنه.

وهـذه قطـرة مـن رحيـق التعريـف بهـم بحسـب تـرتيبهم فـي المنظومة:

١- السيدة أمامة بنت أبي العاص ﵂ : هي حفيدة النبي ﷺ من ابنته السيدة زينب - ﵂ - ، وكان النبي ﷺ يُسُرُّ بحفيدته أمامه ويحملها على عاتقه إذا صلى ويرفق بها، وكان يحبها ويلاعبها كثيرا.

❋ وكان تذكرُّ جدها ﷺ بأمها السيدة زينب ﵂ وكان هو - بأبي وأمي - يعوضها عن رحيل أمها ويدلِّلها، ويغدق عليه من حنانه وعطفه، ويحيطها باهتمامه ورعايته، وحديث حمل النبي - ﷺ - لها في الصلاة مشهور ومدلوله الذي يفيض عطفا وحنانا عليها واضح ومشهود، كما أنه قد أُهدِيَ إلى رسول الله ﷺ قلادة من جزعٍ ملمعة بالذهب فقال أمام نسائه جميعا: " والله لأضعنها في رقبة أحب أهل البيت إليّ" فأقبل بها - ﷺ - حتى وضعها في رقبة أمامه بنت أبي العاص.

* وكانت السيدة فاطمة الزهراء قد أوصت سيدنا علي بن أبي طالب أن يتزوج أمامه، فتزوجها الإمام علي - كرم الله وجهه - بعد وفاة السيدة فاطمة رضي الله عنها في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولما توفي سيدنا علي وقضت العدة تزوجها المغيرة بن نوفل وماتت عنده، وكانت وفاتها في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وعنها وعن جميع آل البيت الكرام الأشراف الأطهار.

٢- سيدنا علي بن أبي العاص رضي الله عنه **:** حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن السيدة زينب - رضي الله عنها - بنت سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعليٌ توفي في صغره كما ذكرتُ آنفا.

٣- سيدنا الحسين بن علي الشهيد رضي الله عنهما **:** محبوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبطه وريحانته من الدنيا: أبو عبد الله الحسين ابن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي(١).

* عن علي قال: الحسين أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من صدره إلى قدميه.

(١) حديث حسن. أخرجه الترمذي (٣٧٨١).

* وعن ابن عمر أنه قال عن الحسن والحسين رضي الله عنهم جميعا: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " هما ريحانتاي من الدنيا"(١).

* وعن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال: " حسين مني وأنا من حسين، أحبَّ اللهُ مَن أحبَّ حسينا، حسينٌ سبط من الأسباط"(٢).

* ولقد أكرم الله الإمام الشريف الحسين بالشهادة في سبيله بأرض بابل بعد حدوث الفتنة آنذاك، فأهان الله بذلك مَن قتله أو أشار أو رضي بقتله، والحسن والحسين وإنْ فرَّط في حقهما أهل الإسلام فإنهما سيِّدا شباب أهل الجنة، ومَن أحبهما فقد أحب رسول الله - ﷺ - ومَن أبغضهما فقد أبغض رسول الله ﷺ.

٤- سيدنا محسن بن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما : حفيد رسول الله ﷺ وابن السيدة فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - بنت سيدنا رسول الله - ﷺ - ومحسن توفي في صغره كما ذكرتُ آنفا.

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري (٧/٧٧).

(٢) حديث صحيح، الترمذي (٣٨٦٤).

٥- السيدة الْحَوْرَاء زينب بنت علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : هي الملقبة بزينب الكبرى بنت السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله ﷺ، وهي كبرى بنتيهما والأخت الشقيقة للسبطين الحسن والحسين، عليهم جميعا سحائب الرضوان.

* وقد ذُكر أنها - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - كانت تعلم النساء تفسير القرآن في فترة خلافة أمير المؤمنين - عليه السلام - في الكوفة، وشاركت أخاها الإمام الحسين في واقعت الطف وكان لها دورا مشهودا في أحداثها، وألقت خطبة شهيرة في الكوفة وأخرى في الشام كان لها عظيم الأثر، وكانت صابرة على المصائب عابدة زاهدة، قدوة للنساء، عليها رضوان الله وعلى جميع آل البيت الكرام الأشراف الأطهار.

٦- السيدة أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : الصحابية أم كلثوم - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - حفيدة الرسول ﷺ بنت الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - وبنت السيدة فاطمة الزهراء - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بنت سيدنا رسول الله - ﷺ -، ولدت قبل وفاة النبي - ﷺ - وتزوجت من سيدنا عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في زمن خلافته وأنجبت له زيد بن عمر ورقية بنت عمر رضي الله عنهم جميعا، ولما مات سيدنا

عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - تزوجت أم كلثوم - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - من محمد بن جعفر بن أبي طالب، ولكنه مات عنها، فتزوجت من بعده بعون بن جعفر، وكانت شديدة التمسك بهدي النبي ﷺ ولم تقبل أن تأخذ صدقة قدمها لها عطاء بن السائب، وكانت - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - كريمة النفس معطاءة نبيلة لا تتأخر عن المساعدة ولها موقف مشهود في مساعدة امرأة مقطوعة في مخاضها، وخطبت خطبة قوية مسموعة على إثر مقتل شقيقها الحسين بن علي، وتوفيت مع ولدها زيد بن عمر الأكبر في نفس اليوم، عليهم جميعا سحائب الرضوان وعلى جميع آل البيت الكرام الأشراف الأطهار.

٧- سيدنا الحسن بن علي الشهيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة(١).

❋ الحسن بن علي بن أبي طالب، ريحانة رسول الله ﷺ وسبطه، أشبه الناس بالنبي ﷺ خلقا، وحجّ كثيرا ماشيا من المدينة إلى مكة، وقيل أنه حج خمس عشرة مرة،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٨١).

وكان الحسن عاقلا رزينا، جوادا خيّرا، دَيِّنًا، ورعا، كبير الشأن (١).

* سمع الحسن بن علي رجلا إلى جنبه يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم فانصرف فبعث بها إليه.

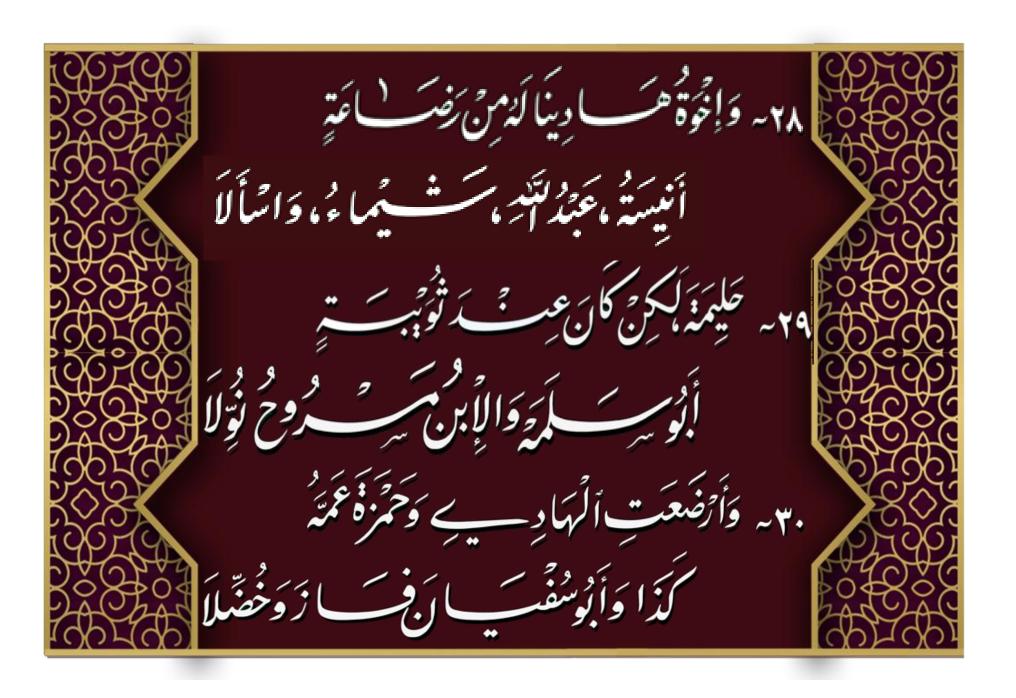
* ومن مناقبه - رضي الله عنه - : أن أبا بكرة - رضي الله عنه - قال: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المنبر، والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى، ويقول: "إن ابني هذا سيّدٌ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين(٢).

٨ - سيدنا عبد الله بن عثمان بن عفان رضي الله عنهما : حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن السيدة رقيّة - رضي الله عنها - بنت سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعبد الله توفي في السادسة من عمره كما ذكرتُ آنفا، رضي الله عنهم وعن جميع آل البيت الكرام الطيبين الأشراف الأطهار.

(١) سيرة آل بيت النبي الأطهار/ المكتبة التوفيقية

(٢) البخاري (٢٧٠٤)، والترمذي (٣٧٧٥).

إخوة النبي ﷺ من الرضاعة




المعني: إخوة النبي ﷺ من الرضاعة:

١ – أنيسة بنت الحارث (من جهة حليمة).

٢ – عبد الله بن الحارث (من جهة حليمة).

٣– خِذَامَة (وقيل: جِذَامَة) بنت الحارث المعروفة بالشيماء. (أخته من جهة أمها حليمة).

٤- حمزة بن عبد المطلب (من جهة حليمة ومن جهة ثويبة).

٥- أبو سلمة (من جهة ثويبة).

٦- مسروح بن ثويبة (من جهة أمه ثويبة).

٧- أبو سفيان بن الحارث (من جهة حليمة).

* أقول هنا أن إخوة هادينا سيدنا محمد - ﷺ - من الرضاعة بترتيب المنظومة: أنيسة بنت الحارث وعبد الله بن الحارث وشيماء: قصدت الشيماء واسمها خِذَامَة (وقيل: جِذامة) بنت الحارث بن عبد العزى بن رفاعة، وتعرف في قومها بالشيماء، عاشت مع الرسول - ﷺ - عامين كاملين في بادية بني ساعدة، وكانت تداعب النبي - ﷺ - وهو صغير وتقول:

يا ربنا أبق لنا محمدا ... حتى أراه يافعا وأمردا

ثم أراه سيِّدًا مُسَوَّدَا ... وأكبت أعاديه معا والْحُسَّدَا

وأعطه عزًّا يدوم أبدا

فكان أبو عروة الأزدي إذا أنشد هذا يقول: ما أحسن ما أجاب الله دعاءها (١).

وكان الرسول ﷺ يصلها ويكرمها ويبسط لها رداءه عندما تفد إليه، ويزوِّدها بما تقر به عينها؛ فهي التي كانت تحتضنه مع أمه.

وقلتُ في النظم: (واسأل حليمة) أي أن هؤلاء إخوة النبي ﷺ من الرضاعة من السيدة حليمة، واسمها حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر، وينتهي نسبها إلى سعد بن بكر بن هوازن، وأبوهم الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدي زوج السيدة حليمة التي قال عنها المنذري: أمه - ﷺ - من الرضاعة: "حليمة السعدية" أسلمت وجاءت إليه وروت عنه ﷺ وروى عنها عبد الله بن جعفر، وقد أرضعت النبي ﷺ مع أبنائها الثلاثة، وأرضعت معه حمزة بن عبد المطلب وأبا سفيان بن الحارث، وعاشت حليمة السعدية حتى قدمت على النبي ﷺ، وأحسن إليها وأكرم وفادتها، وتوفيت بالمدينة ودفنت في البقيع، رضي الله عنها وأرضاها.

(١) الإصابة (٨/١٢٤)

ومن إخوته من الرضاعة من ثويبة: أبو سلمة واسمه: عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي، وهو ابن عمته برة بنت عبد المطلب، ومن السابقين إلى الإسلام، شهد بدرا ومات في حياة النبي ﷺ، ولأبي سلمة من الولد سَلَمَة وعمر وزينب ودرة من زوجته أم سلمة، وتزوج النبي ﷺ بعده بزوجته أم سلمة، ومن إخوة النبي ﷺ من الرضاعة مسروح بن ثويبة الذي رضع معه.

وأيضا من إخوته من الرضاعة: سيدنا حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وكان حمزة عم النبي - ﷺ - مسترضعا في بني سعد بن بكر، فأرضعت أمه رسول الله - ﷺ - يوما وهو عند أمه حليمة، فكان حمزة رضيع رسول الله - ﷺ - من جهتين، من جهة ثويبة ومن جهة السعدية(١).

* وعندما طلب الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - من سيدنا رسول الله - ﷺ - أن يتزوج بنت عمهما حمزة، أخبره النبي - ﷺ - أنها لا تحل له؛ لأنها

(١) زاد المعاد (١٩/ ١)

بنت أخيه من الرضاعة، فإنه – ﷺ – وعمه حمزة قد رضعا من ثويبة وهي مولاة لأبي لهب، فصار أخاه من الرضاعة، وهو عم ابنته، ويحرم بسبب الرضاع، ما يحرم مثله من الولادة، وقال رسول الله ﷺ في بنت حمزة: "لَا تَحِلُّ لِي يَحْرُمُ من الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ من النَّسَبِ وهي ابنة أَخِي من الرَّضاعة"(١).

ومن إخوته - ﷺ - من الرضاعة: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله – ﷺ – (هو ابن عم النبي – ﷺ– المغيرة ابن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، أخو نوفل وربيعة، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، ولزم هو والعباس رسول الله يوم حنين إذ فر الناس، وأخذ بلجام البغلة وثبت معه، وكان أخا النبي – ﷺ – من الرضاعة أرضعتهما حليمة، ويقال: إنه ما رفع رأسه إلى رسول الله – ﷺ – حياءً منه).

والدليل على أنّه أخوه من الرضاعة ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن أم حبيبة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا **:** "أَنَّهَا قالَتْ: يا رَسولَ اللهِ، انْكِحْ أُخْتي بنْتَ أبِي

---

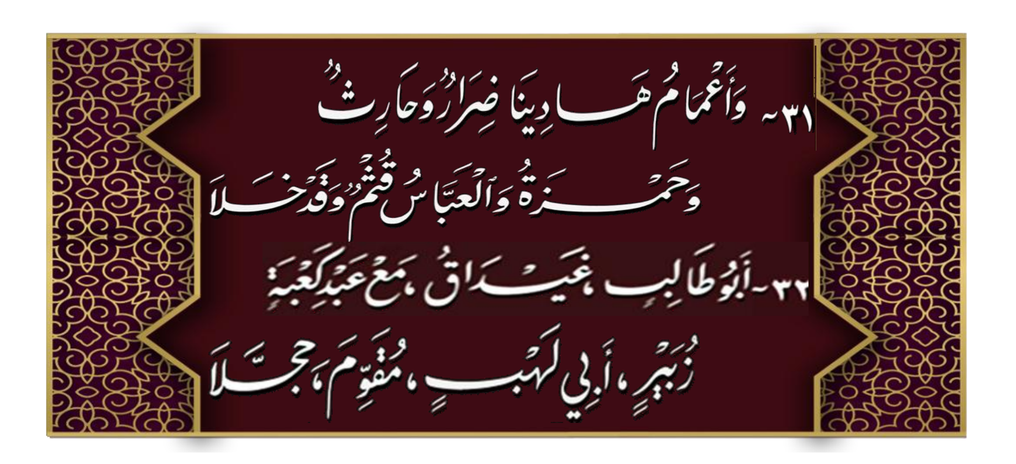
(١) صحيح متفق عليه.

سُفْيَانَ، فَقالَ: أَوَتُحِبِّينَ ذَلِكِ؟! فَقُلتُ: نَعَمْ، لَسْتُ لكَ بمُخْلِيَةٍ، وأَحَبُّ مَن شَارَكَنِي فِي خَيْرٍ أُخْتِي، فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ: إنَّ ذَلِكِ لا يَحِلُّ لِي. قُلتُ: فإنَّا نُحَدَّثُ أنَّكَ تُرِيدُ أنْ تَنْكِحَ بنْتَ أبِي سَلَمَةَ، قالَ: بنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ؟ قُلتُ: نَعَمْ، فَقالَ: لو أنَّهَا لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتي فِي حَجْرِي ما حَلَّتْ لِي؛ إنَّهَا لَابْنَةُ أخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ، أرْضَعَتْنِي وأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ، فلا تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ ولَا أخَوَاتِكُنَّ. قالَ عُرْوَةُ: وثُوَيْبَةُ مَوْلَاةٌ لأبِي لَهَبٍ؛ كانَ أبو لَهَبٍ أعْتَقَهَا، فأرْضَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا مَاتَ أبو لَهَبٍ أُرِيَهُ بَعْضُ أهْلِهِ بشَرِّ حِيبَةٍ، قالَ له: مَاذَا لَقِيتَ؟ قالَ أبو لَهَبٍ: لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ غيرَ أنِّي سُقِيتُ في هذِه بعَتَاقَتي ثُوَيْبَةَ (١).




(١) صحيح البخاري. الصفحة أو الرقم: (٥١٠١).





المعنى: نصل مع الأبيات لذكر أعمام النبي - ﷺ - الذين لم يسلم منهم سوى سيدنا حمزة بن عبد المطلب وسيدنا العباس رضي الله عنهما ، وهم بترتيب الأسماء في المنظومة:

(ضرار، الحارث، سيدنا حمزة، سيدنا العباس، قثم، أبو طالب، الغيداق، عبد الكعبة، الزبير، أبو لهب، المقوّم، حجل)

١- ضرار وهو شقيق العباس: وتوفي أيام أن أوحي إلى النبي ﷺ، ولم يسلم، وقيل أنه مات قبل الإسلام، وكان من أكثر فتيان قريش جمالا وسخاء، وكان يقول الشعر، ولا عقب له.

٢- الحارث بن عبد المطلب بن هاشم: أولاده: أبو سفيان، ونوفل، وربيعة، وعبدالله، والمغيرة، وأروى، وهند.

٣-حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي: ولقبه أسد الله وأسد رسوله، وقد كُنّي بأبي عمارة أو أبي يعلى، نسبة إلى ابنيه، والبطل الضرغام والشهيد القرشي البدري صحابي من صحابة سيدنا رسول الله ﷺ، وعمُّه وأخوه من الرضاعة، وهو أسنُّ من الرسولِ ﷺ بسنتين، كما أنه قريبٌ له من جهة أمه، فأمه هي هالة بنت وهيب بن عبد مناف، ابنة عم آمنة بنت وهب بن عبد مناف أمِّ الرسولِ ﷺ، وهو أحد وزرائه الأربعة عشر، وكان سيدنا حمزة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في الجاهلية سيدا شجاعًا نبيلا سمحًا، وكان أشدَّ فتيان قريش وأعزَّهم شكيمة، وشهد في الجاهلية حرب الفجار التي دارت بين قبيلتي كنانة وقيس عيلان، وأسلم سيدنا حمزة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في السنة الثانية أو السّنة السّادسة من بعثة النبي ﷺ.

* وعندما علمت قريش بإسلامه أدركت أن النبي - ﷺ - قد عز وامتنع وأن حمزة

سيدافع عنه ويزيد من حمايته ونصرته، فهابوا وكفّوا عن بعض أذاهم وكيدهم، وهاجر سيدنا حمزة - رضي الله عنه - إلى المدينة المنورة، وآخى النبي - صلى الله عليه وسلم - بينه وبين سيدنا زيد بن حارثة - رضي الله عنه - وكان أول لواء عقده الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو اللواءَ الذي عقده لحمزة، وشهد سيدنا حمزة - رضي الله عنه - غزوة بدر، وقتَلَ فيها كثيرًا من المشركين، كما شهد غزوة أحد وأبلى فيها بلاء حسنا ثم استشهد بعد أن قتَل بها واحدًا وثلاثين نفسًا، وقاتِلُ سيدنا حمزة - رضي الله عنه - هو وحشي بن حرب الحبشي غلام جبير بن مطعم، وقد مثَّل به المشركون وحمل وحشيٌّ كبده لهند بنت عتبة في نذر نذرته حين قتل أباها في بدر، ولما خرج الرسول يلتمس أسد الإسلام حمزة وجده ببطن الوادي قد مُثِّل به، فلم ير منظرًا كان أوجع لقلبه منه فقال: "رحمك الله، أي عم، فلقد كنت وصولًا للرحم فعولًا للخيرات"، ودفن حمزة وابن أخته عبدالله بن جحش في قبر واحد، رضي الله عنهما وعن جميع آل وأصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤- العباس بن عبد المطلب القرشي: يُكَنَّى بأبي الفضل، كان شريفا مهيبا، بهيًّا مليحا جهير الصوت، ذا نُبلٍ وسؤدد، ومروءة وحلم وسخاء، وكان أكبر من رسول الله ﷺ بسنتين أو ثلاث، وأمه هي نتيلة بنت جناب بن كلب، وقد ورد أنه أسلم رضي الله عنه، إذ لم يسلم أحد من أعمامه ﷺ إلا هو وأخوه حمزة، وهو صحابي من صحابة رسول الله محمد بن عبد الله، وهو ثاني من أسلم من أعمامه العشرة إذ لم يسلم منهم سواه وحمزة، كما أنه عديله فزوجة النبي - ﷺ - السيدة ميمونة بنت الحارث - رضي الله عنها - هي أخت زوجته: لبابة الكبرى بنت الحارث وهي أم الفضل بنت الحارث الهلالية، خالة سيدنا خالد بن الوليد - رضي الله عنه - وأخت السيدة أسماء بنت عميس - رضي الله عنها - لأمها وعرفت أم الفضل بالجود والسخاء كسيدنا العباس رضي الله عنه، وأُمّه هي أم ضرار نتيلة بنت جناب النمرية، ومن أبنائه سيدنا عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - حبر الأمة وترجمان القرآن الكريم.

* ولد سيدنا العباس في مكة المكرمة قبل عام الفيل بثلاث سنين، وثبت يوم حنين، وقت الهزيمة آخذا بلجام بغلة النبي - ﷺ - حتى جاء نصر الله، ولما وقع

أحد الأنصار في أب للعباس في الجاهلية، لطمه العباس فهبّ قوم الأنصاري يريدون لطم سيدنا العباس – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – وقالوا: "والله لنلطمه كما لطمه"، ولبسوا سلاحهم فبلغ ذلك النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فصعد المنبر وقال: " أيها الناس، أي أهل الأرض أكرم على الله؟". فقالوا: أنت. قال: " فإن العباس مني وأنا منه، لا تسبوا أمواتنا فتؤذى أحياؤنا" "وإن عم الرجل صنو أبيه، من آذى العباس فقد آذاني"(١)

فجاء القوم فقالوا: "نعوذ بالله من غضبك يا رسول الله".

* وكان الرسول – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يرى للعباس ما يرى الولد لوالده، ويعظّمُ حقَّه، ويُجِلُّ قدره، وكان كذلك الصحابة – رضوان الله عليهم – حيث استسقى الفاروق عام الرمادة بالعباس، وقال: " اللهم هذا عم نبيك، وإنا كنا إذا قحطنا على عهد نبيك توسلنا به، وإنا نستسقي إليك بعم نبيك العباس"(٢).

* **فقال العباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **:** "اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكانتي من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا

---

(١) حديث صحيح. أخرجه ابن سعد (٤/٢٤).

(٢) حديث صحيح. أخرجه البخاري (٢/٤١٣).

إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث".

فنزل الماء من السماء مدرارا واستجاب الله دعاءه، وقد توفي في المدينة وصلى عليه الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ودفن في البقيع، رضي الله عنه وعن جميع أصحاب سيدنا رسوله الله وآل بيته الكرام الأشراف الأطهار.

٥- قثم بن عبد المطلب: أمه صفيه بنت جنيدب أم الحارث بن عبد المطلب، وقيل أن "قثم" توفي قبل مولد النبي - صلى الله عليه وسلم - بثلاث سنين، ودَرَجَ صغيرا وهو ابن تسع سنين.

٦-أبو طالب بن عبد المطلب: واسمه عبد مناف لكنه اشتهر بأبي طالب، وهو أكبر من رسول الله بكثير؛ إذ إنه رعاه واعتنى به بعد وفاة جده، وقد كان من المدافعين عن رسول الله وعن رسالته، فقد صدقه لكنه أصر على كفره ولم يسلم.

٧- الغيداق بن عبد المطلب: واسمه مصعب وقيل نوفل، وكان من أكثر أهل قريش مالًا، وسمي بالغيداق لأنه كان أجود قريش وأكثرهم طعاما وإكراما، وأمه ممنعة بنت عمرو الخزاعية، وكان الغيداق من رجالات قريش ومن أكابر ولد عبد

المطلب ومات بعد وفاة أبيه بخمس سنين.

٨- عبد الكعبة بن عبد المطلب: عم النبي - ﷺ - وعم الإمام علي رضي الله عنه ، وقيل أن عبد الكعبة مات ولم يدرك الإسلام.

٩- الزبير بن عبد المطلب الهاشمي القرشي: هو شقيق والد النبي عبد الله من أبيه وأمّه، وهو أكبر أعمام النبي ﷺ، وهو كبير بني هاشم بعد أبيه وسيدهم في حرب الفجار، وكان نبيلا نقيًّا ذا مروءة وفضل؛ فقد ساهم في إنشاء حلف الفضول وهو أول من نادى به ودعا إليه، وتوفي قبل أن يدرك البعثة النبوية.

١٠-أبو لهب واسمه عبد العزّى: وكنيته أبو عتبة نسبة لابنه الأكبر عتبة، واشتهر بأبي لهب ولقبه بذلك أبوه عبد المطلب، وهو أخ غير شقيق لعبد الله بن عبد المطلب والد النبي ﷺ، وهو أول من جهر برفضه للإسلام وكاد للنبي - ﷺ - وآذاه أشد الأذي، وكان من شدة عداوته للنبي ﷺ أن النبي - ﷺ - كان قد زوّج بنتين من بناته وهما: " أم كلثوم ورقية " إلى ولدين من أولاد أبي لهب قبل البعثة النبوية، فكانت السيدة رقية عند عتبة وكانت السيدة أم كلثوم عند عتيبة، فلما نزل

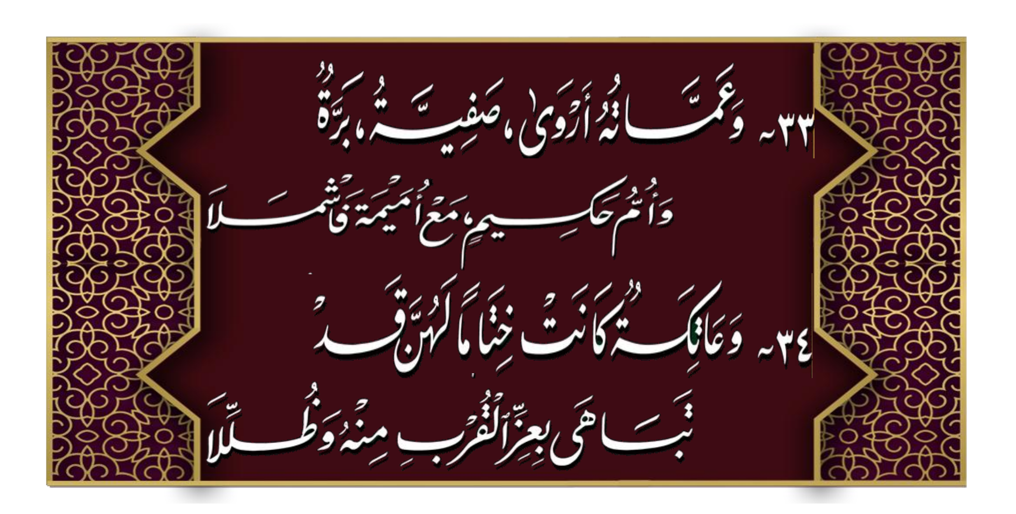
الوحي على سيدنا رسول الله – ﷺ – أمر أبو لهب ولديه بطلاق بنتي النبي ﷺ فتبت يداه بما فعل، وقد أنزل الله فيه وفي زوجته سورة المسد لبيان عاقبتهما المخزية، وقد مات هو وزوجته على الكفر.

١١- المقوّم بن عبد المطلب: وقد كان شقيقًا لحمزة رضي الله عنه ، ومات ولم يدرك البعثة النبوية، وقد اختلف في شأنه، فذكر البعض أنه هو عبد الكعبة، ونفى البعض الآخر ذلك.

١٢- أبو قُرَة حجل بن عبد المطلب الهاشمي القرشي: وحجل لقبه، واسمه: المغيرة بن عبد المطلب، وله ابن واحد اسمه قُرَة وبه يُكَنّى، والمغيرة هو شقيق سيدنا حمزة – رضي الله عنه – والسيدة صفية بنت عبد المطلب، وأمهم هالة بنت أهيب القرشية، وتوفي قبل البعثة النبوية.





المعنى: عمات الرسول ﷺ هن ست عمات بالإجماع، وترتيبهن بحسب ما ذكرتُ في المنظومة كالآتي:

١- أروى بنت عبد المطلب الهاشمية: تزوجها عمير بن طليب، فولدت له طليبًا، ثم تزوجها أرطأة، فولدت له فاطمة، وقد أورد ذكرها ابن عبد البر والعقيلي من ضمن الصحابة، وقال ابن سعد إنها أسلمت وهاجرت إلى المدينة، وأسلم ابنها طليب مبكرا في دار الأرقم ابن الأرقم، وقال ابن سعد: أسلمت، وهاجرت إلى

المدينة، وذكر محمد ابن سعد أن أروى - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - رثت النبي - ﷺ - وأنشدت

له:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا بَرًّا ولم تك جافيا

كأن على قلبي لذكر محمدٍ وما جمعت بعد النبي المجاويا

ولم تذكر سنة وفاتها (١).

٢- صفية بنت عبد المطلب الهاشمية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا **:** هي أم الزبير بن العوام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وشقيقة سيدنا حمزة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وأمها من بني زهرة، وتزوجها الحارث أخو أبي سفيان وتوفي عنها فتزوجها العوام أخو السيدة خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ؛ فولدت له الزبير، والسائب، وعبد الكعبة.

* وقد أسلمت السيدة صفيه - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - وهاجرت إلى المدينة، فهي من أولى المهاجرات، وعرفت بالمروءة والنبل والشجاعة، ومن صور إقدامها وبسالتها قتلها لأحد المشركين في غزوة الأحزاب بالعمود في رأسه، وعن أم المؤمنين

(١) سيرة ابن هشام (١/ ١٧٣)، سيرة آل بيت النبي الأطهار(٥٩٤).

عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت: لما نزلت: (وأنذر عشيرتك الأقربين) قام النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: " يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئا، سلوني من مالي ما شئتم"(١).

* وفي ذلك دليل على مكانتها من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفضلها إذ اصطفاها بالذكر بعد السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنهما وأرضاهما، وعاشت السيدة صفية حتى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وتوفاها الله في سنة عشرين ودفنت في البقيع، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعن جميع آل البيت الأبرار الطيبين الأطهار.

٣- برّة بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية: هي أم الصحابي المشهور أبي سلمة عبد الله المخزومي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كان قد تزوجها عبد الأسد بن هلال فولدت له أبو سلمة الذي كان زوجا لأم سلمة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وشهد بدرا، وبعد عبد الأسد

(١) حديث صحيح. أخرجه مسلم (٢٠٥).

المخزومي تزوج برّة عمة النبي - ﷺ - أبو رُهم بن عبد العزى؛ فولدت له أبا

سبرة بن أبي رُهم، وقد شهد بدرا، وقال الذهبي عن برة: لم تدرك المبعث.

٤- البيضاء بنت عبد المطلب: هي أم الحكيم، وهي شقيقة والد النبي ﷺ، وقال

عنها الذهبي: ما أظنها أدركت نبوة المصطفى.

* تزوجها في الجاهلية كريز بن ربيعة فولدت له عامرا، وأروى، وطلحة، وأم

طلحة كما جاء في طبقات ابن سعد، وفي السير، ثم تزوج ابنتها أروى عفان ابن أبي

العاص، فولدت له عثمان بن عفان، ثم تزوجها عقبة بن أبي معيط فولدت له

الوليد، وخالدا، وأم كلثوم بني عقبة.

٥- أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، القرشية: أمها فاطمة بنت عمرو، تزوجها

في الجاهلية جحش بن رئاب، فولدت له ولد اسمه عبد الله بن جحش بن المجدع،

وشهد بدا، كما ولدت عبيد الله، وعبدا، والسيدة زينب بنت جحش زوج رسول

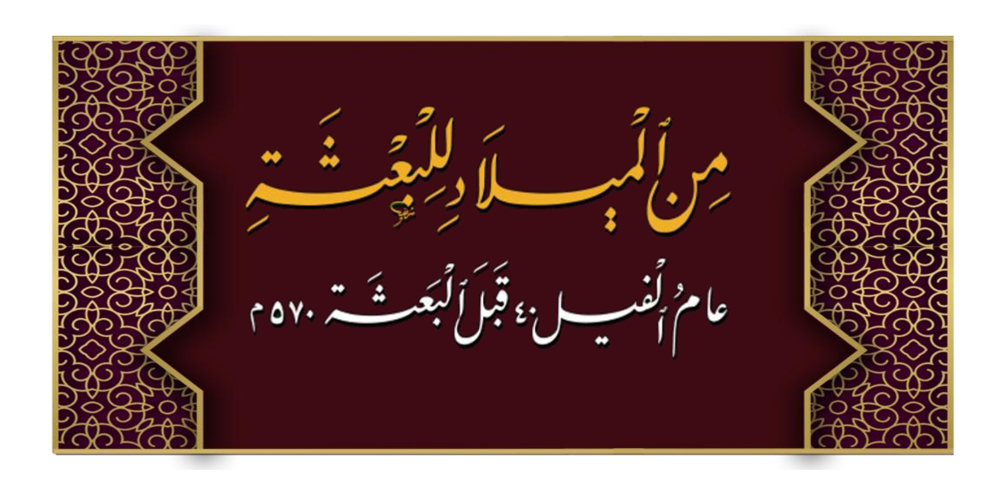
الله - ﷺ -، وحمنة بنت جحش.

قال الذهبي: أسلمت وهاجرت، وقيل أن الرسول ﷺ أطعمها أربعين وسقًا من تمر في خيبر، ولكن قيل أن التي أسلمت وهاجرت وأطعمها النبي - ﷺ - هي أميمة بنت ربيعة بن الحارث، ابن عم النبي - ﷺ؛ لذا اختلف في إسلام أميمة الكبرى عمة النبي ﷺ.

٦- عاتكة بنت عبد المطلب الهاشمية: أمها فاطمة بنت عمرو بن عائذ، واختلف في إسلامها، وقد رأت رؤيا عن مهلك أهل بدر، وقد استنكرها أبو جهل، ولكن أخافت غيره من المشركين وأشفقوا منها؛ فتحدثوا برؤيا عاتكة وفشا حديثها في الناس.

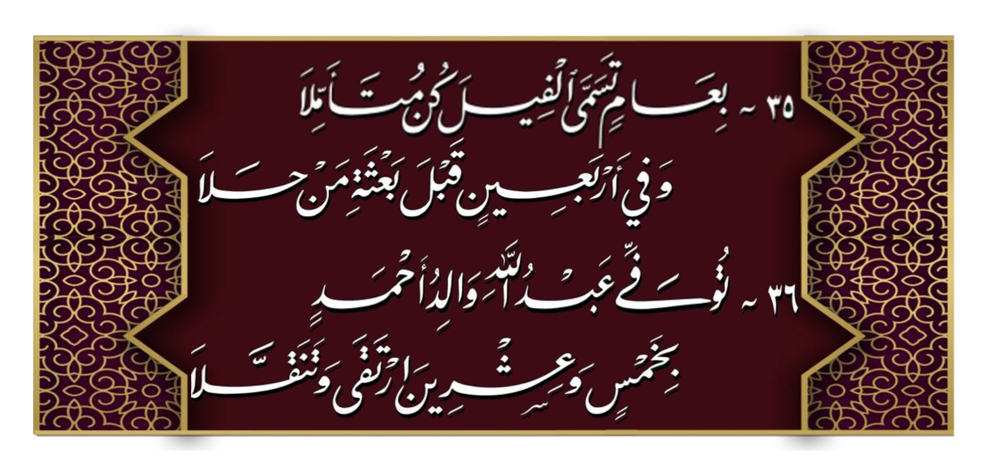
* وقد تزوج عاتكة أبو أمية بن المغيرة، والد أم سلمة - رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ، وولدت له عبد الله وقريبة، وغيرهما، واختلف في إسلامها، وقال ابن سعد: " أسلمت عاتكة بمكة، وهاجرت إلى المدينة"(١).

(١) الإصابة (٨/ ١٣٧، ١٣٨)


مِنَ الْمِيلَادِ لِلْبِعْثَةِ
عام الفيل: ٤٠ قبل البعثة ٥٧٠م



عام الفيل



معنى البيتين: في العام الذي تَسمَّى بعام الفيل في أربعين قبل بعثة زين الملاح وبدر البدور وغُرَّة الإصباح سيد ولد آدم سيدنا محمد ﷺ تُوفي عبد الله والده في الخامسة والعشرين من عمره، وقولي: ارتقى وتنقلا أي مات وانتقل للدار الآخرة.

تَنَسَّمْ من نسائم سيرته ﷺ عبيرَ ما يلي:

* كان النبي – ﷺ– جنينًا في بطن أُمه، وعمره شهرين، وجاء عن عمّه أبي طالب قوله: (فإنه ابنُ أَخِي مات أَبُوهُ وأُمُّهُ حُبْلَى به)، وكانت وفاة عبد الله وهو عائد من

الشام حيث كان في تجارةٍ لِقُريش، وفي طريق عودته ووصولهم للمدينة أصابه المرض والتعب، فظل عند أخواله من بني عدي بن النّجّار شهرًا، وعند وصول القافلة إلى مكة سألهم عبد المُطلب عن ابنه عبد الله؛ فأخبروه بمرضه ومكوثه عند أخواله، فبعث بابنه الأكبر الحارث إلى المدينة ليطمئن عليه، ولما وصل وَجَدَه قد توفّي، ودُفن عبد الله في دار النّابغة، وهو أحد رجال قبيلة أخواله، وأخبروا الحارث بما حصل حال مرضه، وأنهم قاموا على رعايته أثناء مرضه حتى مات، ودفنوه عندهم، ورجع الحارث وأخبر أباه بما عَلِم، فحزن عليه أبوه وإخوته وأخواته حزنًا شديدًا، فقد كان عبد الله بن عبد المطلب مِن أحب ولد أبيه إليه وقيل أنه لما نجا من الذّبح وفداه عبد المطلب بمائة من الإبل زوّجَه من أفضل وأشرف نساء مكة نسبا ومكانة، وهي السيدة آمنة بنت وهبٍ، فحملت منه وتوفي عبد الله ليتولى الله رعاية نبيه في ظلال الحكمة الإلهية التي جعلت من يتم الحبيب ﷺ آية وبرهان على نبوة النبي ﷺ، وحفرت بهذا اليتم عميق الصلة بين النبي - ﷺ - وربه الذي

لم يكله إلى أب ولا إلى أم قد يُشَوِّشُ العجب بهما في مرآة قلبه الصافية على إخباته وإنابته وجلاء بصيرته للرسالة القادمة والتي يقترب سناها شيئا فشيئا كلما كبر، فزواج عبد الله بن عبد المطلب من السيدة آمنة لم يكن بداية هذا الضياء وإنما بدأ سناه من زمن الخليل حيث قال رسول الله – ﷺ – لما سئل عن أول بدء أمره: " أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه يخرج منها نورٌ أضاءت منه قصورُ الشام"(١).

* ودعوة إبراهيم – عليه السلام – هي قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٢٩]

* وبشرى عيسى – عليه السلام -: ﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ﴾ [سُورَةُ الصَّفِّ: ٦]

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٦٢).

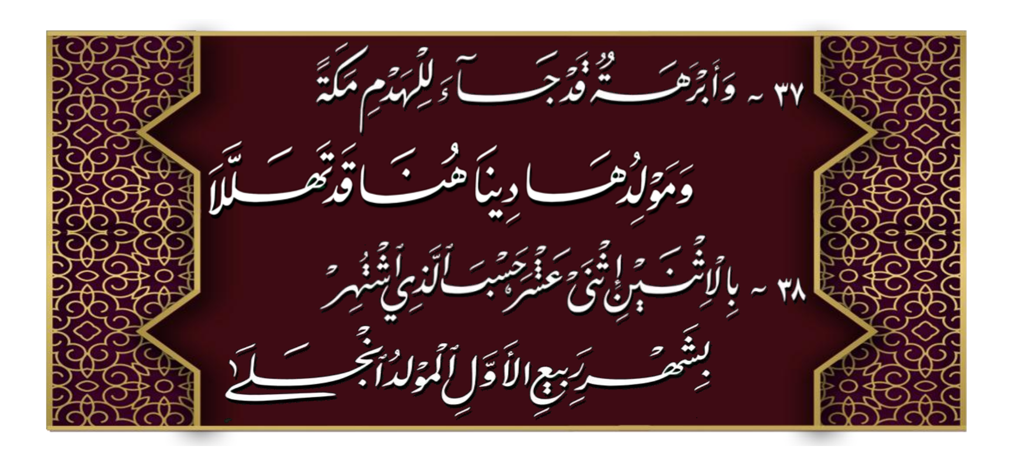
* وخروج النور الذي تضاء منه قصور الشام يشير لوصول دعوته للشام التي ستكون مقر الدين يوم نزول سيدنا عيسى ابن مريم - عليه السلام - فيها بآخر الزمان، والنور نور الهداية فرب العزّة سبحانه قد أعز نبيه - ﷺ - بما يفسّر ويؤكد دلالة النور في رؤيا السيدة آمنة إذ قال سبحانه: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ: ١٥]

* وقال سبحانه: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [سُورَةُ الأَحزَابِ: ٤٦]

الحكمة من يتم النبي ﷺ:

* وكان من الحكمة في يتم النبي - ﷺ - إذعان قريش عند تأملهم للنبي ﷺ خَلقا وخُلُقًا وهو يتيم؛ فيُسَلِّمُوا باصطفائه وما ينطق به ولا يرجع أحد الفضل في تأهيله ظاهرا وباطنا إلا لله الذي أظله بسحائب النور وأغدق منها على فؤاده حتى أشرق بهديه الكون؛ فأذاب نورُ محياه قيدَ الظلمات وانفك أسر الأرواح من الشرك وقبح الباطل والضلال لتحلّقَ في سماء التوحيد وجمال الحق والكمال.

ميلاد النبي ﷺ



معني البيتين: وفي عام الفيل جاء أبرهة لهدم الكعبة وفي نفس العام أشرقت جنبات مكة بمولد الحبيب ﷺ.

تَنَسَّمْ من نسائم سيرته - ﷺ - عبير ما يلي:

* تسمى العام الذي ولد فيه النبي – ﷺ – بعام الفيل لوقوع حادثة الفيل فيه قبل ميلاد النبي – ﷺ – بخمسين أو بخمسة وخمسين يوما، وهذه الحادثة وقعت في شهر الله المحرم لأبرهة بن الصباح الحبشي وهو النائب العام عن النجاشي على بلاد اليمن، والذي اشتد غيظه لما رأى العرب يحجون الكعبة فبنى كنيسة بصنعاء

ليصرف حج العرب إليها، ثم علم بمكره رجل من بني كنانة فدخلها وأفسد قبلتها؛ فاشتد غضب أبرهة وغيظه، وسار إلى الكعبة بجيش هائل ليهدمها، واختار لنفسه فيلا من أكبر الفيلة التي كان عددها في جيشه تسعة فيلة ويقال ثلاثة عشر فيلا، وسار بجيشه نحو مكة حتى وصل وادي مُحَسِّر بين المزدلفة ومنى برك الفيل وأبى أن يقدم إلى الكعبة، ووجدوه يهرول كلما وجهوه لأي جهة وإذا وجهوه إلى الكعبة برك وبينما هم في محاولاتهم أرسل الله عليهم طيرا أبابيل كالخطاطيف ترميهم بحجارة من سجيل ومع كل طائر ثلاثة أحجار كالحمص تهلك من تصيبه وتقطع أعضاءه، ويحمل الطائر هذه الحجارة في منقاره وفي رجليه، وقد أصابت بعضهم والبعض الآخر هربوا في هلع وفزع، وتساقطوا بالطريق وهلكوا، وبعث الله على أبرهة داءً تساقطت بسببه أنامله، ووصل إلى صنعاء مصابا ممزق الْجَنَانِ، مُزَلزَل الأركان، متصدع البنيان وهلك، ولهذه الواقعة حكمة قبل ميلاد النبي - ﷺ - وقد لفتت أنظار العالم وأشارت لشرف بيت الله؛ فيتعين بذلك أنه إن قام

فيهم من يدعو إلى الله وظهرت نبوته فيقتضي ذلك تصديقه والخوف من عقاب الله الذي حمى بيته بما شهدوا وعاينوا.

* وبعد ذلك ولد النبي - ﷺ - في شهر ربيع الأول عام الفيل، ويوم ميلاده هو يوم الاثنين الذي اختلف في تاريخه فقد قيل أنه ولد للَيلَتين خلتا من ربيع الأول، وقيل ثمانية، وقيل عشرة، وقيل: ثنتي عشرة، وهذا أشهر الأقوال.

* وقد وُلد النبي - ﷺ - في دار جده عبد المطلب وهي بفم شعب بني هاشم وهي الآن مكتبة عامة ومجمع للمكتبات الوقفية، ومكانها بجوار المسجد الحرام، وبعد التوسعات تعتبر في إحدى ساحات الحرم المكي الشريف عند الخروج من الصفا والمروة، وكان قد قسَّم جَدُّ النبي - ﷺ - هذه الدار بين أولاده في حياته فكان لوالد رسول الله - ﷺ - نصيبه منها، وورث هذا النصيب رسول الله ﷺ، ثم انتقلت إلى يد ابن عمه عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه ، وورثها أبناؤه إلى أن باعوها إلى محمد بن يوسف الثقفي، وهو أخو الحجاج، ثم اشترتها من ورثته زوجة الخليفة

المهدي وأم هارون الرشيد، وجعلتها مسجدًا وسمي الزقاق المجاور للدار بزقاق المولد، وجَدَّدَها الملوك على مر السنوات، وأطلق أهل مكة على موضعها: "المولد النبوي"، ثم أصبح مكتبة على يد الشيخ عباس يوسف قطان عام ١٣٧٠هـ.

* وكانت حاضنة النبي ﷺ هي أَمَة أبيه واسمها: أم أيمن بركة الحبشية.

* وقبل رضاعته - ﷺ - من السيدة حليمة السعدية (١) كانت أول من أرضعته - ﷺ - بعد أمه بأسبوع هي ثُوَيْبَةُ مولاة أبي لهب بلبن ابن لها اسمه: مَسْرُوح، وقد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي.

---

(١) قد مَرَّ التعريف بالسيدة حليمة السعدية وذكر إخوته - ﷺ - من الرضاعة والحديث الذي روته أم حبيبة بنت أبي سفيان - رضي الله عنها - ، وكذلك التماس السيد عبد المطلب لرسول الله - ﷺ - المراضع كعادة أشراف العرب أن يلتمسوا المراضع لأولادهم في البادية ليكتسب الولد الفصاحة والشجاعة ويصير مُتَّقِدَ الذهن قوي الشكيمة، وقد استرضع له امرأة من بني سعد ابن بكر وهي حليمة السعدية ومرّ ذكر إخوة النبي ﷺ من الرضاعة منها. انظر شرح البيتين (٢٩، ٣٠).

وقد رأت السيدة حليمة السعدية من أسرار بركته ﷺ عجبا فعن حَليمة بنت الحارثِ أنَّها قالتْ: قدِمتُ مكَّةَ في نِسْوةٍ -وذكَرَ الواقديُّ بإسنادِه أنَّهنَّ كنَّ عشْرَ نِسْوةٍ مِن بني سَعدِ بنِ بَكْرٍ، يَلْتمسْنَ بها الرُّضَعاءَ- مِن بني سَعدٍ نَلْتمِسُ بها الرُّضَعاءَ في سنةٍ شَهْباءَ، فقدِمتُ على أتانٍ لي قَمْراءَ، كانتْ أذَمَّتْ بالرَّكْبِ، ومعي صبيٌّ لنا، وشارفٌ لنا، واللهِ ما تبِضُّ بقَطْرةٍ، وما ننامُ ليلَتَنا ذلكَ أجمَعَ مع صَبيِّنا ذاكَ، ما نَجِدُ في ثَدْييَّ ما يُغْنيه، ولا في شارِفِنا ما يُغذِّيه، ولكنَّا كنَّا نَرْجو الغَيثَ والفرَجَ، فخرَجتُ على أتاني تلكَ، فلقد أذَمَّتْ بالرَّكْبِ؛ حتى شَقَّ ذلكَ عليهم؛ ضَعفًا وعَجَفًا، فقدِمْنا مكَّةَ، فواللهِ ما علِمتُ منَّا امرأةً إلَّا وقد عُرِضَ عليها رسولُ اللهِ ﷺ، فتَأْباه، إذا قيل: إنَّه يَتيمٌ ترَكْناه. قُلْنا: ماذا عسى أنْ تصنَعَ إلينا أُمُّه، إنَّما نَرْجو المعروفَ مِن أبي الولَدِ، فأمَّا أُمُّه فماذا عسى أنْ تصنَعَ إلينا، فواللهِ ما بقِيَ مِن صَواحِبي امرأةٌ إلَّا أخَذتْ رَضيعًا غَيري، فلمَّا لم نَجِدْ غَيرَه، وأجمَعْنا الانطلاقَ قلتُ لزَوجي الحارثِ بنِ عبدِ العُزَّى: واللهِ إنِّي لأكرَهُ أنْ أرجِعَ مِن بينِ صَواحبي ليسَ معي رَضيعٌ،

لأنطَلِقنَّ إلى ذلكَ اليَتيمِ، فلآخُذَنَّه، فقال: لا عليكِ أنْ تَفْعلي، فعسى أنْ يجعَلَ اللهُ لنا فيه بَرَكةً. فذهَبتُ فأخَذتُه، فواللهِ ما أخَذتُه إلَّا أنِّي لم أجِدْ غيرَه، فما هو إلَّا أنْ أخَذتُه فجِئتُ به رَحْلي، فأقبَلَ عليه ثَدْيايَ بما شاء مِن لَبنٍ، فشرِبَ حتى رَوِيَ، وشرِبَ أخوه حتى رَوِيَ وقام صاحبي إلى شارِفِنا تلكَ، فإذا إنَّها لحافلٌ، فحلَبَ ما شرِبَ وشرِبتُ حتى رَوينا، فبِتْنا بخَيرِ ليلةٍ، فقال صاحبي حينَ أصبَحْنا: يا حَليمةُ، واللهِ إنِّي لأراكِ قد أخَذتِ نَسَمةً مباركةً، ألم ترَيْ ما بِتْنا به الليلةَ مِن الخَيرِ والبَرَكةِ حينَ أخَذْناه؟ فلم يزَلِ اللهُ عزَّ وجلَّ يَزيدُنا خَيرًا، ثمَّ خرَجْنا راجعينَ إلى بلادِنا، فواللهِ لقطَعتْ أتاني بالرَّكْبِ حتى ما يتعلَّقُ بها حِمارٌ، حتى إن صَواحبي ليَقُلنَ: وَيْلَكِ يا بنتَ أبي ذُؤيبٍ، هذه أَتانُكِ التي خرَجتِ عليها معنا؟ فأقولُ: نعَمْ، واللهِ إنَّها لهي. فقُلْنَ: واللهِ إنَّ لها لشأنًا، حتى قدِمْنا أرضَ بني سَعدٍ، وما أعلَمُ أرضًا مِن أرضِ اللهِ أجدَبَ منها، فإنْ كانت غَنَمي لتَسرَحُ، ثمَّ تَروحُ شِباعًا لبنًا، فنحلُبُ ما شِئْنا، وما حوالَيْنا أو حَوْلَنا أحَدٌ تبِضُّ له شاةٌ بقَطْرةِ لَبنٍ، وإنَّ أَغْنامَهم لتَروحُ

جِياعًا؛ حتى إنَّهم ليَقولونَ لرُعاتِهم -أو لرُعْيانِهم-: وَيْحَكم، انظُروا حيثُ تَسرَحُ غَنَمُ بنتِ أبي ذُؤيبٍ، فاسرَحوا معهم، فيَسرَحونَ مع غَنَمي حيثُ تَسرَحُ، فتروحُ أَغْنامُهم جِياعًا، ما فيها قَطْرةُ لَبنٍ، وتَروحُ أَغْنامي شِباعًا لَبنًا، نحلُبُ ما شِئْنا، فلم يزَلِ اللهُ يُرينا البَرَكةَ نتعرَّفُها؛ حتى بلَغَ سَنَتينِ، فكان يشِبُّ شَبابًا لا تشِبُّه الغِلْمانُ، فواللهِ ما بلَغَ السَّنَتينِ حتى كان غُلامًا جَفْرًا، فقدِمْنا به على أُمِّه ونحنُ أضَنُّ شيءٍ به؛ ممَّا رأَيْنا فيه مِن البَرَكةِ، فلمَّا رأَتْه أُمُّه قلتُ لها: دَعينا نرجِعُ بابنِنا هذه السَّنةَ الأخرى؛ فإنَّا نَخْشى عليه وَباءَ مكَّةَ. فواللهِ ما زِلْنا بها حتى قالتْ: نعَمْ. فسرَّحَتْه معنا، فأَقَمْنا به شَهْرينِ أو ثلاثةً، فبينَما هو خَلْفَ بُيوتِنا مع أخٍ له مِن الرَّضاعةِ في بَهْمٍ لنا جاءَ أخوه ذلكَ يشتَدُّ فقال: ذاكَ أخي القُرَشيُّ جاءَه رجُلانِ عليهما ثيابٌ بِيضٌ، فأَضْجَعاه، فشَقَّا بَطْنَه. فخرَجتُ أنا وأبوه نشتَدُّ نحوَه، فنَجِدُه قائمًا مُنتقِعًا لَونُه، فاعتَنَقَه أبوه، وقال: يا بُنيَّ، ما شأنُكَ؟ قال: جاءَني رجُلانِ عليهما ثيابٌ بِيضٌ، أَضْجَعاني وشَقَّا بَطْنِي، ثمَّ استَخْرَجا منه شيئًا، فطرَحاه، ثمَّ رَدَّاه كما كان، فرجَعْنا به

معنا فقال أبوه: يا حَليمةُ، لقد خَشيتُ أنْ يكونَ ابني قد أُصيبَ، فانطَلِقي بنا نرُدُّه إلى أَهْلِه قبلَ أنْ يظهَرَ به ما نتخوَّفُ. قالتْ حَليمةُ: فاحتَمَلْناه، فلم تُرَعْ أُمُّه إلَّا به، فقدِمْنا به عليها، فقالتْ: ما رَدَّكما به يا ظِئرُ، فقد كنتُما عليه حَريصَينِ؟ فقالا: لا واللهِ، إلَّا أنَّ اللهَ قد أدَّى عنَّا، وقَضَيْنا الذي علينا، وقُلْنا: نَخْشى الإتلافَ والإحداثَ، نرُدُّه إلى أَهْلِه. فقالتْ: ما ذاكَ بكما فاصْدُقاني شَأْنَكما. فلم تدَعْنا حتى أخبَرْناها خبَرَه، فقالتْ: أَخَشيتُما عليه الشَّيطانَ؟! كلا واللهِ، ما للشَّيطانِ عليه مِن سبيلٍ، واللهِ إنَّه لكائنٌ لابني هذا شأنٌ، ألَا أُخبِرُكما خبَرَه؟! قُلْنا: بلى. قالتْ: حمَلتُ به، فما حمَلتُ حَملًا قَطُّ أخفَّ منه، فأُريتُ في النَّومِ حينَ حمَلتُ به كأنَّه خرَجَ منِّي نورٌ أضاءَتْ له قُصورُ الشامِ، ثمَّ وقَعَ حينَ ولَدتُه وُقوعًا ما يقَعُه المولودُ مُعتمِدًا على يدَيْه، رافعًا رأسَه إلى السماءِ، فدعاه عنكما. (١)

(١) البداية والنهاية (٢/ ٢٥٤).

حادثة شق صدر النبي ﷺ



المعنـي: هنا في الأبيات أتت الإشارة لحادثة شَقِّ صدر النبي ﷺ والتي وقعت بحسب ما اشتهر وعمره أربع سنوات وهُوَ فِي بَادِيَةِ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، وقد ورد ذكر ذلك فيما رواه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك: "أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ أتاهُ جِبْرِيلُ ﷺ وهو يَلْعَبُ مع الغِلْمانِ، فأخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عن قَلْبِهِ، فاسْتَخْرَجَ القَلْبَ، فاسْتَخْرَجَ منه عَلَقَةً، فقالَ: هذا حَظُّ الشَّيْطانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ في طَسْتٍ مِن

ذَهَبٍ بماءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لأَمَهُ، ثُمَّ أعادَهُ في مَكانِهِ، وجاء صَدْرِهِ (انْ يَسْعَوْنَ إلى أُمِّهِ، يَعْنِي ظِئْرَهُ، فقالوا: إنَّ مُحَمَّدًا قدْ قُتِلَ، فاسْتَقْبَلُوهُ وهو مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ، قالَ أَنَسٌ: وقدْ كُنْتُ أرَى أثَرَ ذلكَ المِخْيَطِ في صَدْرِهِ(١).

* ويروي أحمد وأبو نعيم في الدلائل عن عتبة بن عبد: أن رجلا سأل النبي ﷺ فقال: كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟

قال: "كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر، فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا، ولم نأخذ معنا زادا، فقلت: يا أخي! اذهب فائتنا بزاد من عند أمنا، فانطلق أخي وكنت عند البهم، فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ فقال: نعم، فأقبلا يبتدراني، فأخذاني فبطحاني للقفا، فشقا بطني، ثم استخرجا قلبي فشقاه، فأخرجا من علقتين سوداوين، فقال أحدهما لصاحبه: ائتني بماء وثلج، فغسلا به جوفي، ثم قال: ائتني بماء برد، فغسلا به قلبي، ثم قال: ائتني بالسكينة، فذرها في قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبه: خطه، فخاطه، وختم على

(١) صحيح مسلم (١٦٢).

قلبي بخاتم النبوة، فقال أحدهما لصاحبه: اجعله في كفه، واجعل ألفا من أمته في كفة، فإذا أنا أنظر إلى الألف فوق، أشفق أن يخر عليَّ بعضهم، فقال: لو أن أمته وزنت به لمال بهم، ثم انطلقا فتركاني، وفرقت فرقا شديدا، ثم انطلقت إلى أمي "حليمة" فأخبرتها بالذي لقيت، فأشفقت أن يكون قد لبس بي، فقالت: أعيذك بالله، فرحلت بعيرا لها، وحملتني على الرحل، وركبت خلفي، حتى بلغنا إلى أمي، فقالت: أديت أمانتي وذمتي، وحدثتها بالذي لقيت، فلم يرعها، وقالت: إني رأيت نورا خرج مني أضاء قصور الشام" (١).

❋ وبعد حادثة شق الصدر وعودة النبي - ﷺ - إلى أمه توجهت به إلى المدينة لزيارة أخوال أبيه بني عَدِيٍّ بن النجار، فأدركتها المنيّة أثناء عودتها وماتت ودُفِنَت بالأبواء بين مكة والمدينة.

(١) تهذيب ابن عساكر (ج١ ص٣٩)، والحاكم في المستدرك (ج٢ ص٦١٦، ٦١٧)، وقال: صحيح على شرط مسلم.





٤٢ - وَبَعْدَ وَفَاةِ الأُمِّ جَدُّ الحَبِيبِ قَدْ
تَوَلَّى شُئُونَ المُصْطَفَى وَتَكَفَّلا

٤٣ - بِتِسْعٍ بُعَيْدَ الفِيلِ جَدُّكَ سَيِّدِي
تُوُفِّيَ وَأَنْتَ ابْنُ الثَّمَانِي تَحَمُّلا

٤٤ - وَمُذْ مَاتَ عَبْدُ المُطَّلِبِ جَدُّ أَحْمَدٍ
أَبُو طَالِبٍ عَمُّ الحَبِيبِ تَدَخَّلا

٤٥ - وَمَعْ عَمِّهِ لِلشَّامِ قَدْ خَرَجَ النَّبِي
صَغِيرًا بِاثْنَيْ عَشْرَ مِنْ عُمْرِهِ خَلا

٤٦ - رَآهُ بُحَيْرَى فَاسْتَنَارَ جَبِينُهُ
وَقَالَ: رَسُولُ اللهِ هَذَا وَهَلَّلا

معنى الأبيات: بعد وفاة السيدة آمنة تولى جده رعايته، وتوفي السيد عبد المطلب في العام التاسع بعد عام الفيل وكان عمر النبي ﷺ ثماني سنوات ثم تكفل عمه أبو طالب برعايته، وخرج النبي ﷺ للشام مع عمه لما بلغ اثنتي عشرة سنة، وحينها رآه بحيرى الراهب الذي استنار جبينه وعرف أنه النبي المنتظر.

تَنَسَّمْ من نسائم سيرته ﷺ عبيرَ ما يلي:

* عندما ماتت السيدة آمنة كان عمر النبي - ﷺ - ست سنوات حينها، وعاد جد الحبيب ﷺ به إلى مكة وهو يغمره بمحبته ويظهر له حرصه على شعوره وخوفه، ويُسدِل على جروحه ﷺ بعد مصابه الجديد من بلسم شفقته ولطفه، ويحيطه بعنايته ورعايته وعطفه، وبحفاوةٍ يجلسه على فراشه، ويمسح ظهرَه بكفوفه، ويسره ما يراه يصنع ويمدحه أمام ضيوفه، وقد روى عبد الرازق في مصنفه عن مَعْمَرٍ عن الزُّهري قال: "ثم توفيت أمه فيُتِّم في حجر جده، فكان - وهو غلام - يأتي وسادة جده فيجلس عليها، فيخرج جده، فتقول الجارية التي تقوده: انزل عن

وسادة جدك؛ فيقول عبد المطلب: دعي ابني فإنه يحس بخير. ثم توفي جده ورسول الله - ﷺ - غلام (١).

* وقد عهد السيد عبد المطلب قبل وفاته بكفالة النبي - ﷺ - إلى عمه أبي طالب، وتوفي الجد العطوف وعمر النبي - ﷺ - ثماني سنوات وشهرين وعشرة أيام، فضَمّه العم أبو طالب إلى ولده وخصه بمزيد عناية وعطف، وظل النبي - ﷺ - في رعاية عمه أربعين سنة مصون الجانب تربت على فؤاده رآفةُ أبي طالب ومروءته، وليساعد النبي - ﷺ - عمه عمل برعي الغنم، فعن أبي هريرة أن النبي - ﷺ - قال: ما بعثَ اللهُ نبيًّا إلَّا راعيَ غنَمٍ، قالَ لَهُ أصحابُهُ: وأنتَ يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: وأَنا كُنتُ أرعاها لأَهْلِ مَكَّةَ بالقَراريط قالَ سُوَيْدٌ: يعني كلَّ شاةٍ بقيراطٍ (٢).

* وارتحل أبو طالب بالنبي الأكرم ﷺ إلى الشام تاجرا لما بلغ النبي ﷺ اثنتي عشرة سنة، ولما وصل إلى بُصْرَى أتاهم راهب اسمه جرجيس ويقال له بحيرى في

---

(١) مصنف عبد الرازق (٥/ ٣١٨).

(٢) صحيح ابن ماجه (١٧٥٩).

ثـوبٍ مـن الدهشـة تكسـوه البشـرى ويقطـر مـن محيـاه أمـام النبـي ﷺ الإجـلال والمهابة، وقد التفت كل كيان بحيرى للنبي ﷺ لما خرج إلى الركب فور نـزولهم، ولم يكن بحيرى يخرج إليهم قبل ذلك، فتخللهم حتى أخذ بيد النبي ﷺ وقال: "هذا سيد العـالمين، هـذا رسـول رب العـالمين، هـذا يبعثـه الله رحمـة للعـالمين"؛ فقالوا له: وما علمك بذلك؟ فقال أنه قد رأى كل الحجر والشجر يسجد له، وهـذا لا يحدث إلا لنبي كما أنه قد عرفه من خاتم النبوة، وهو أسفل مـن غضـروف كتفـه كالتفاحة، وأخبرهم أن هذه هي أمارة النبي في كتبهم، ثم أكـرمهم بحيـرى بالضـيافة وأوصى عمه ألا يقدم به للشام خوفا عليه من الروم واليهود فردّه عمه إلى مكة مع بعض غلمانه، بعد أن أجـرى الله علـى لسـان بحيـرى دلالـة مـن دلالات النبـوة لمـا استنار جبينـه بنـور النبـي ﷺ ومنـه اسـتنارت بصـيرته فجـرى بـالنور قولـه وتجلـت شـهادته في حـق النبـي ﷺ لحكمـة أرادهـا الله سـبحانه وتعـالى في نفـس النبـي ﷺ ونفس من شهدوا الكلام أو علموا به حينها، وفي أنفس كل من يصـلهم ذلـك الأثـر

عبر القرون والأزمان ولتظل له مدى الحياة برهانا وحجة وعِزًّا من الحي الذي لا يموت.

* وعن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري، عن أبيه، قال: «خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي ﷺ في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت».

قال: " فهم يحلون رحالهم، فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ ، فقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين "، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك، فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة، ثم رجع فصنع لهم طعاما، فلما أتاهم به وكان هو في رعية الإبل، قال: أرسلوا إليه، فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا من

القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه، قال: فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه، فالتفت فإذا بسبعة قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا، إن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس وإنا قد أخبرنا خبره فبعثنا إلى طريقك هذا، فقال: هل خلفكم أحد هو خير منكم؟ قالوا: إنما أخبرنا خبره بطريقك هذا.

قال: أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا، قال: فبايعوه وأقاموا معه قال: أنشدكم بالله أيكم وليه؟ قالوا: أبو طالب، فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت ":

«هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه» (١).

(١) سنن الترمذي (٣٦٢٠).

 **وهذه قصيدة لي، وفيها عدد من الأحداث التي مر ذكرها، وهي من ديواني المحمدي الثالث، أقول فيها:**



الْقِنْدِيلُ

دَنَتِ النُّجُومُ مِنَ الْوَلِيدِ تَقُولُ   وُلِدَ النَّبِيُّ وَفِي الدُّنُوِّ دَلِيلُ

بُشْرَى ابْنُ مَرْيَمَ وَالْخَلِيلُ دُعَاؤُهُ   فِي دَارِ آمِنَةٍ وَذَاكَ رَسُولُ

لَا تَفْزَعِي يَا بِنْتَ وَهْبٍ إِنَّنَا   نُورٌ وَيَدْنُو لِلْمَثِيلِ مَثِيلُ

دِينُ الثُّرَيَّا أَنْ تَحُفَّ الْبَدْرَ وَالْ   بَدْرُ الْمُنِيرُ هُنَا لَدَيْكِ نَزِيلُ

مَا كَانَ ثِقْلًا حَمْلُهُ لَكِنَّمَا   حَارَتْ بِثِقْلِ الشَّأْنِ فِيهِ عُقُولُ

وَأَضَاءَ بِالشَّامِ الْقُصُورَ جَبِينُهُ   هَزَمَ الظَّلَامَ بِنُورِهِ الْقِنْدِيلُ

مِنْ كَفِّ عَلْيَاءِ السَّمَاءِ وَزَمْزَمٍ   غَسَلَ الْفُؤَادَ لِأَحْمَدٍ جِبْرِيلُ

لَمَّا أَتَى وَبِطَسْتِ مِنْ ذَهَبٍ مَحَا   حَظَّ الشَّيَاطِينِ ابْتَدَا التَّأْهِيلُ

وَأَلَاحَ لِلْكَوْنِ اصْطِفَاءُ مُحَمَّدٍ   وَعَلَيْهِ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى إِكْلِيلُ

فَرَأَى بُحَيْرَى شَاهِدًا لَمَّا بَدَا   بِأَمَارَةِ الرُّسْلِ الْحَبِيبُ يَجُولُ

بُشْرَاكَ وَرْقَةُ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ   بِالصِّدْقِ ضَوَّعَ مِسْكَهَا الْإِنْجِيلُ

لَوْلَا الظَّلَامُ لَمَا بَدَا بَدْرُ الدُّجَى   وَضِيَا الْحَبِيبِ بِيُتْمِهِ تَدْلِيلُ

فَالْيُتْمُ قِسْمَةُ أَحْمَدٍ كَيْ لَا يُرَى   فَضْلٌ لِغَيْرِ اللهِ وَهْوَ كَفِيلُ

يَأَيُّهَا الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ قُلْ لَهُ ... جَفْنُ الْمَدِيحِ مُذِ الْتَقَاكَ كَحِيلُ

تَرِبَتْ يَدَاهُ بِوَصْفِ نُورِ الْمُصْطَفَى ... مَدْحٌ تَضَاءَلَ مِنْ عُلَاهُ نَخِيلُ

إِنَّ الْحَبِيبَ إِذَا رَأَتْهُ عِدَاهُ لَا ... يَخْفَى بِأَعْيُنِهِمْ لَهُ تَبْجِيلُ

أَرْسَتْ خُطَاهُ الرُّشْدَ فِي الْأَرْضِ الَّتِي ... كَادَتْ بِجَهْلٍ عَنْ هُدَاهُ تَمِيلُ

بِعَجَائِبٍ قُدْسِيَّةٍ أَسْرَى بِهِ ... رَبُّ الْعَجَائِبِ وَالْحَدِيثُ يَطُولُ

وَأَظَلَّ يَوْمَ الْفَتْحِ مَكَّةَ عَفْوُهُ ... وَالْعَفْوُ عِنْدَ جَنَابِهِ مَأْمُولُ

يَا أَوَّلَ الْعُبَّادِ حُزْتَ كَرَامَةً ... حَارَتْ بِهَا الْأَوْصَافُ وَالتَّأْوِيلُ

وَتَزَيَّنَتْ مِنْ حَلْيِهَا جِيدُ الدُّنَى ... كَالدُّرِّ جَاءَ بِحُسْنِهَا التَّنْزِيلُ

لَكَ بَاحَةُ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ وَعَرْشُهُ ... وَبِكَ الْفَخَارُ وَحَالُنَا التَّهْلِيلُ

حَظٌّ لَنَا الْهَادِي وَنَبْعٌ لِلتُّقَى ... مِنْ طُهْرِهِ لِلشَّارِبِينَ مَسِيلُ

بِالْخَمْسِ يُشْهَدُ بِاسْمِهِ وَتَقَدَّسَتْ ... كَلِمَاتُ رَبِّي مَا لَهَا تَبْدِيلُ

تَاللهِ مِثْلَكَ لَا تَرَى عَيْنُ ابْنِ أُنْ ... ثَى فَالدُّنَى قُبْحٌ وَأَنْتَ جَمِيلُ

وَتَرَى الشِّفَاءَ بِكَفِّ عِيسَى مُدَّةً ... وَمَدَى الزَّمَانِ هُدَى الْحَبِيبِ بُلُولُ

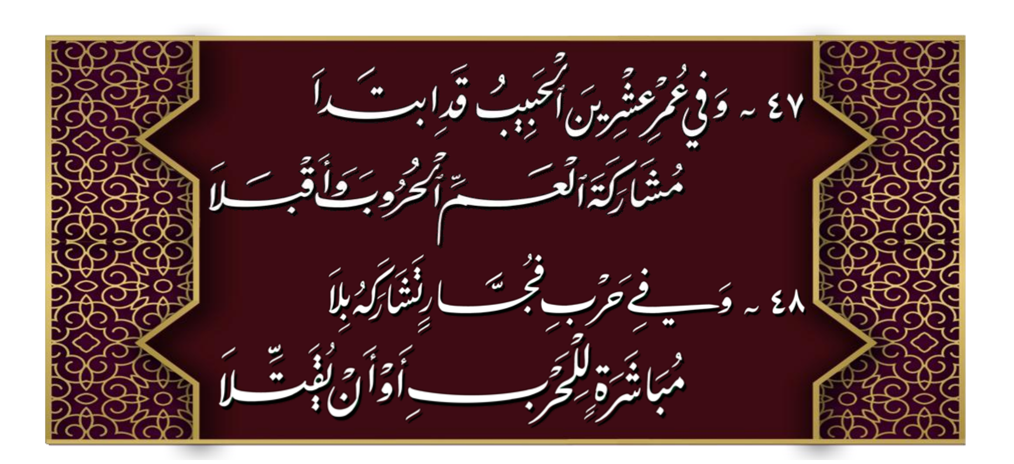
يَا سَاعِدَ الْهَدْيِ الَّذِي بِمَجِيئِهِ ... شُقَّتْ لِهَدْيِ الْعَالَمِينَ سَبِيلُ

قَدْ سَالَمَ الدُّنْيَا لَنَا سَمْتٌ بِهِ ... صَافِي الْبَهَا سَاجِي الطِّبَاعِ جَلِيلُ

هَذَا الْحَبِيبُ تَحِيَّةً لِعَبِيرِهِ ... فَالطِّيبُ مِنْ ذِكْرَاهُ لَيْسَ يَزُولُ

وَعَلَيْهِ صَلَّى بِالتَّحَايَا رَبُّنَا ... مَا نَاحَ قُمْرِيٌّ وَطَابَ هَدِيلُ

حرب الفجار



 **معنى البيتين:** في عمر العشرين شارك النبي ﷺ في الدفاع عن أعمامه في حرب الفجار برد النبال عنهم، ولم يباشر الحرب ولم يقتل أحدا من الكفار، وقد رُوِي أنه ﷺ قال: "كنت أنبل على أعمامي في يوم الفجار"(١). أي أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها وقيل أجهز لهم النبل.



نبذة عن حرب الفجار:

* هي من أشهر أيام (حروب) العرب وكانت عبارة عن أربع جولات بين القبائل،

(١) السيرة لابن هشام (١٤٠/١)، وابن سعد في الطبقات (١٢٦/١)، وذكرها ابن كثير في البداية والنهاية (٢٩٢/٢)، وذكره بن الأثير في غريب الحديث (١٠/٥).

وقيل إن النبي ﷺ شارك مع أعمامه في الجولة الأخيرة بغير مباشرة للقتال.

جولات الحرب:

* الفِجَار الأول كان بين كنانة وهوازن، والثاني بين قريش وكنانة، والثالث بين كنانة وبني نضر بن معاوية، والأخير بين قريش وكنانة كلها وبين هوازن، وقيل إن النبيَّ ﷺ شهد الفجار الأخير.

سبب تسميتها بحرب الفجار:

* يقال أن اسمها الْفِجَار كالقتال والمقاتلة، ويُقال الْفُجار: لأنَّ الحرب وقعت في الأشهر الحرم والقتال مُحَرَّمٌ عند العرب فيها.

سببها:

* كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة يبعث كلَّ عامٍ لطيمةً (قافلة من الإبل محملة بالحرير والطيب للتجارة) إلى سوق عكاظ، وقال في مجلسه لرجلين هما: البراض بن قيس بن رافع الكناني، وقد كان رجلًا خليعًا فاتكًا قد خلعه قومه، والثاني هو عروة بن عتبة بن جعفر من قبيلة قيس، والمعروف بالرحَّالة لكثرة ترحاله مع

الملوك، فقال النعمان من يُجيز لطيمتي هذه حتى يُبْلِغَها عكاظ (أي يحميها من قطاع الطرق)؟

فردَّ عليه البراض: أنا أُجيزها على كنانة، فقال النعمان: أريد من يُجيزها على كنانة وقيس؟

فقال عروة: ويحك أكلب خليع يُجيزها لك، أنا أُجيزها لك على أهل الشيخ والقيصوم، وهذا مثل يَقْصُد به أنَّه يحميها من كلِّ العرب، وساق عروة بالإبل وانطلق إلى سوق عكاظ فتبعه البراض، وفي غفلةٍ من عروة قتله البراض بالقرب من عكاظ، وساق البراض الإبل إلى عكاظ.

أحداث حرب الفجار:

* كانت كلُّ القبائل العربيَّة تجتمع في سوق عكاظ للتجارة وتبادل المنفعة، فلمَّا قتل البراضُ عروةَ بعث رجلًا من بني أسد بن خزيمة إلى كنانة في سوق عكاظ ليُخبرهم أنَّ البراض قد قتل عروة الرحَّال، ويُحذِّرهم من قبيلة قيس، ولمَّا وصلت أنباء قتل عروة إلى عكاظ انطلقت كنانة إلى مكة لتحتمي داخل الحرم

فتبعتها قيس، وكان القتال في الحرم معظَّمًا عند العرب حتى في الجاهلية، فتواعد أبناء القبيلتين أن يقتتلوا، وقالت قيس: إنَّا لا نترك دم عروة وموعدنا عكاظ في العام المقبل، ويُقال أن القتال وقع بينهم في الأشهر الحرم، ودام القتال بينهم خمس أو ست سنوات.

* وفي الجولة الأولى كانت الغلبة لقبيلة قيس، ثم استنجدت كنانة بقريش، فصارت الغلبة لكنانة وقريش، وظلَّت الحرب بينهم حتى أتاهم **عروة بن ربيعة القرشي** وهم يقتتلون **وقال** لهم: على ما تقتتلون؟!

فالتفتوا إليه **وقالوا:** ماذا تريد؟

فقال عروة: أُريد صلحًا، **قالوا:** وما الصلح؟

قال عروة: نفتدي قتلاكم (أي يدفعوا لهم الدية) ونعفو عن قتلانا؛ **فاصطلحوا** على أن يعدُّوا القتلى من الجانبين، فعدُّوا القتلى فوجدوا أنَّ قتلى قيس يزيدون عن قتلى قريش وكنانة بعشرين رجلًا، فترك حرب بن أميَّة ابنه أبا سفيان رهينة، كما ترك بعض السادات أبناءهم حتى دفعوا الدية، وبهذا انتهت الحرب ووضعت

أوزارها.

* **قال ابن إسحاق:** هاجت حرب الفجار ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة، وإنما سمي يوم الفجار بما استحل فيه هذان الحيان - كنانة وقيس عيلان - من المحارم بينهم.

* وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شمس، وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة، حتى إذا كان وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس.

* **وقال ابن هشام:** فلما بلغ رسول الله ﷺ أربع عشرة سنة - أو خمس عشرة سنة - فيما حدثني به أبو عبيدة النحوي، عن أبي عمرو بن العلاء: هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معها من كنانة، وبين قيس عيلان، وكان الذي هاجها أن عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن أجاز لطيمة - أي تجارة - للنعمان بن المنذر؛ فقال له البراض بن قيس - أحد بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة-: أتجيزها على كنانة؟

قال: نعم، وعلى الخلق. فخرج فيها عروة الرحال، وخرج البراض يطلب غفلته،

حتى إذا كان بتيمن ذي طلال بالعالية، غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله في الشهر الحرام، فلذلك سمي الفجار، **وقال البراض في ذلك:**

وداهيـــة تهـــم النـــاس قبلـــي   شـــددت لهـــا بنـــي بكـــر ضـــلوعي
هـــدمت بهـــا بيـــوت بنـــي كـــلاب   وأرضـــعت المـــوالي بالضـــروع
رفعـــت لـــه بـــذي طـــلال كفـــي   فخـــر يميـــد كالجـــذع الصـــريع

وقال لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب:

وأبلـــغ - إن عرضـــت - بنـــي كـــلاب   وعـــامر والخطـــوب لهـــا مـــوالي
وأبلـــغ - إن عرضـــت - بنـــي نميـــر   وأخـــوال القتيـــل بنـــي هـــلال
بـــأن الوافـــد الرحـــال أمســـى   مقيمـــا عنـــد تـــيمن ذي طـــلال

* **قال ابن هشام:** فأتى آت قريشا، فقال: إن البراض قد قتل عروة، وهو في الشهر الحرام بعكاظ، فارتحلوا وهوازن لا تشعر بهم، ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم، فاقتتلوا حتى جاء الليل، فدخلوا الحرم فأمسكت هوازن عنهم، ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما، والقوم متساندون على كل قبيل من قريش وكنانة رئيس منهم، وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم.

قال: وشهد رسول الله ﷺ بعض أيامهم، أخرجه أعمامه معهم، وقال رسول الله ﷺ: "كنت أنبل على أعمامي" أي: أرد عليهم نبل عدوهم، إذا رموهم بها.

* **قال ابن هشام:** وحديث الفجار طويل، هو أطول مما ذكرت، وإنما منعني من استقصائه قطعه حديث سيرة رسول الله ﷺ.

* **وقال السهيلي:** والفجار بكسر الفاء، على وزن: قتال، وكانت الفجارات في العرب أربعة، ذكرهن المسعودي، وآخرهن فجار البرض هذا. وكان القتال فيه في أربعة أيام: يوم شمطة، ويوم العبلاء، وهما عند عكاظ، ويوم الشرب - وهو أعظمها يوما - وهو الذي حضره رسول الله ﷺ، وفيه قيدا رئيس قريش وبني كنانة: وهما حرب بن أمية، وأخوه سفيان أنفسهما لئلا يفروا.

* وانهزمت يومئذ قيس إلا بني نضر، فإنهم ثبتوا، ويوم الحريرة عند نخلة، ثم تواعدوا من العام المقبل إلى عكاظ، فلما توافوا الموعد، ركب عتبة بن ربيعة جمله ونادى: يا معشر مضر علام تقاتلون؟ فقالت له هوازن: ما تدعو إليه؟ قال: الصلح. قالوا: وكيف؟ قال: ندي قتلاكم، ونرهنكم رهائن عليها، ونعفو عن

دياتنا.

قالوا: ومن لنا بذلك؟ قال: أنا. قالوا: ومن أنت؟ قال: عتبة بن ربيعة، فوقع الصلح على ذلك، وبعثوا إليهم أربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام، فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن في أيديهم، عفوا عن دياتهم وانقضت حرب الفجار.

* وقد ذكر **الأموي** حروب الفجار، وأيامها، واستقصاها مطولا، فيما رواه عن الأثرم - وهو المغيرة بن علي - عن أبي عبيدة معمر بن المثنى فذكر ذلك (١).

* **وقد اختلف** في صحة شهود النبي ﷺ لحرب الفجار، وسأذكر تعليلي بغير تحيز، وإني قد ذكرت الحدث في الأبيات؛ لأنه المشتهر وأتت به المصادر المعروفة في السيرة المطهرة، وأبيّن الخلاف في ثبوت الحدث من باب الأمانة العلمية، ولأتعرض له بالحكمة حُبًّا في النبي ﷺ وإيمانا بحكمة الله سواء ثبت شهود النبي ﷺ للحرب أم لم يثبت، وذلك بما يلي:

(١) البداية والنهاية، الجزء الثاني.

لما اشتهر شهودُ النبي ﷺ لهذا الحدث مال البعض لمنطق أنها حربٌ بين الكفار الذين استحلوا فيها حرمات الله في الشهر الحرام فلا يُعقَل أن يكون النبي ﷺ قد حضرها، واستندوا إلى أن ما ذُكر في صحة شهوده ﷺ لهذه الحرب لم يثبت بما يكفي؛ لأن ممن أثبتوها مَن رَوَى الأثرَ بغير إسناد مثل ابن إسحاق، ومنهم من نقله عن ابن إسحاق الذي رواه بغير إسناد كالذهبي وابن كثير، ومدار الإسناد فيما ورد كله عن الواقدي المعروف بالترك عند أهل الحديث، والمؤمن يوقن بحكمة الله سبحانه وتعالى بدايةً من وجود الخلاف نفسه على صحة الأمر؛ ففي ذلك لله حكمة، وهذا ما يُسَلِّم به القلب المؤمن، وإن خَفِيَت عنه الحكمة، وإنَّ هذا لمما يُختبَر به تسليم العبد ومدى حبه للنبي ﷺ وإيمانه به، وثقته في أقدار الله لنبيه ﷺ، وإن تتأمل ما ورد في الأثر تجد أن النبي ﷺ لم يشارك في الحرب بين الكفار ولكنه كان يرد النبال عن أعمامه وهذا من المروءة ومما يُثبِت له العصمة قبل بَعثته، وليس في مجرد حضوره لرد النبال عن أعمامه وخوفه عليهم ما يتنافى مع ذلك أو ما يعني مشاركته الفعلية في الحرب، ولربما كان وجود النبي

ﷺ - بجوار أعمامه بدون مباشرة للحرب - رحمة وسببا للصلح الذي حدث بين القبائل بعد ذلك، ووِجاء لقريش من غضب الله بعد استحلالهم حرماته، فسبَّب الله وجود نبيه ﷺ ليلطف بالخلق والأرض حتى يأذن سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ ويخرجهم من الظلمات إلى النور؛ فلله رحمة بكل الخلائق عامة، هي مِن كمال رحمته التي هي أعظم ما تكون بالمؤمنين خاصة، ولا تدري أي شر وبلاء كان سيقع على قريش وإلى متى كان سيمتد إن لم يلطف بهم الله بهم لكرامة النبي ﷺ بينهم، ثم إن الكفار في حربهم أو في سِلمهم هم كفار، وهذه كانت طبيعة الواقع التي انبثق منها النور للبشرية كلها، ووجود النبي ﷺ في ساحة حربهم أو في سِلمهم لا صلة له بكرامته وطهارة روحه ﷺ ورفعة قدره؛ لأن النفس على ما جُبِلَت عليه في كل حال، ولا تضر مع صَلاح القصد وسلامة الجوارح ظنونُ مَن لم يحط بكامل الأحداث علما، ولأن ظلام الشرك كان قد غشّى أرجاء البسيطة، وشاء الله للنور أن ينبثق من جوف تلك الظلمات فقد كان للنسمة الطاهرة أن تكون حيث قَدَّرَ الله للنور أن يبزغ وبالترتيب الذي شاءه الْمَلِك، ونبيه مكرّمٌ على فطرته

وعصمته التي تثبت يوما بعد يوم في حرب الكفار وفي سِلمهم، وإن اصطحبه أعمامه معهم أو لم يصطحبوه، فحياته ﷺ كلها رحمة للعباد وفي كل خطوة من خطاه رسالةٌ ومراد، وهو الطاهر المطهر الْمُوَفَّق الذي صانه الله عن شرك الجاهلية وعبادة الأصنام، ولم يأكل مما ذُبِحَ على النُّصُب، والذي كان من توفيق الله له أن يقف بعرفه قبل البعثة مخالفا لما ابتدع قومه من رأي الحُمس حيث أنهم أبوا الوقوف بعرفة وترك الحرم يوم عرفه لأن الشيطان استهواهم وزين لهم فكرة أنهم إن عظّموا مكانا غير الحرم استخف الناس بالحرم، وهو الذي حفظه الله من أن تبدو عورته أو يظهر عريانا يوم أن قال له العباس اجعل إزارك على رقبتك يقيك الحجارة، وذلك لما بنيت الكعبة؛ فلما جعله على منكبيه خَرَّ إلى الأرض وأفاق يقول: "إزاري إزاري" فشد عليه إزاره، وحفظه الله من معائب الجاهلية كلها منذ صغره ﷺ .

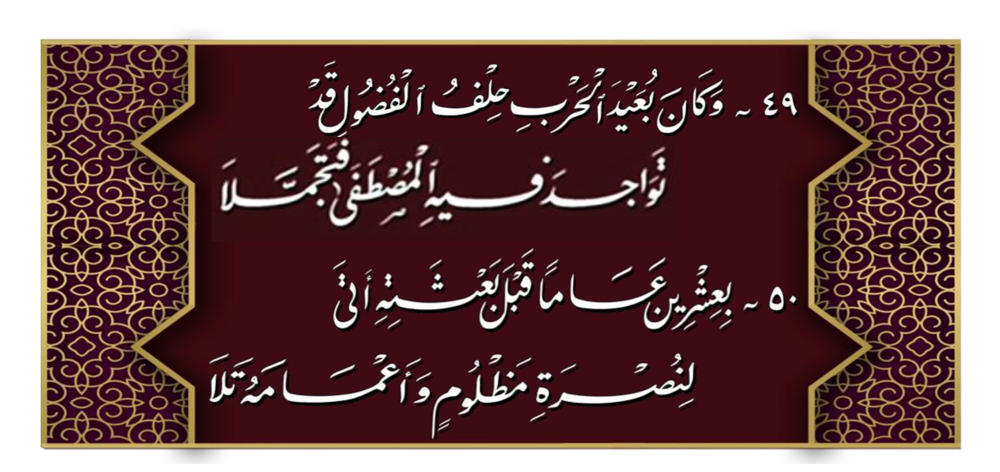
وفي حال ثبوت شهود النبي ﷺ لحرب الفجار يكفي أنك لا تملك إلا أن تحب النبي ﷺ أكثر وترق له شغافُ قلبك عندما تعرف لأول وهلة أنه كان هناك

ليرد النبال عن أعمامه خوفا وحرصا عليهم في هذا الوقت العصيب، وأنه لم يقتل أحدا، حينها تلامس طهرَه روحُك ملامستها للثريَّا في العلياء، ويشهد فؤادُك إخلاصَه وبِرّه ورحمته بأعمامه حتى قبل بعثته وهو من دنس الجاهلية براء.

وإن ثبت شهوده للحرب أو لم يثبت ففي الحالين ما يجعلك تحب النبي ﷺ أكثر وتُجِلّ أقدار الله إن وُفِّقت للحكمة الربانية: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [سُورَةُ الأَحزَابِ: ٢٢].





معنى البيتين: بعد حرب الفجار بأربعة أشهر تم حلف الفضول الذي تجمّل بحضور سول الله ﷺ، وقد شهده قبل عشرين عاما من البعثة الشريفة، وتم حلف الفضول لنصرة المظلوم وترسيخ قيم التعاون والعدل التي حرصت عليها أعمام النبي ﷺ وحرص عليها من بعدهم.

تَنَسَّمْ تنفس من نسائم سيرته ﷺ عبيرَ ما يلي:

* لقد شاع الظلم والغدر في الجاهلية، إلا أن ملامح الإنسانية كانت باقية وواضحة في شيم بعض الشخصيات التي جُبِلت فطرتها على القيم النبيلة وعلى الرقي

والإنصاف والأخلاق الحميدة التي دعا إليها الإسلام، وكان حلف الفضول دليلا

على وجود مثل هذه الشخصيات في الجاهلية.

معنى حلف الفضول وسبب التسمية:

* الْحِلْف هو العهد والاتفاقية، وسُمّي حلف الفضول لأن ثلاثة ممن عقدوه كان

في اسمهم لفظ: الفضل، وهم: الفضل بن الحارث، والفضل بن وداعة، والفضل

بن فضالة.

زمن ومكان عقد حلف الفضول:

* عُقِد حلف الفضول في شهر ذي القعدة من عام ٥٩١ للميلاد في بيت عبد الله بن

جدعان، أحد سادات قريش في مكة المكرمة، وشهد النبي ﷺ حلف الفضول

برفقة أعمامه، إذ إن عمه الزبير بن عبد المطلب من أوائل من سعى لهذه الاتفاقية

والحلف.

سبب حلف الفضول:

* مجيء رجل من اليمن إلى مكة من آل زبيد ومعه بضاعة أراد أن يبيعها فاشتراها منه العاص بن وائل وأبى أن يعطيه ثمنها، فثار صاحب البضاعة وطلب من أهل مكة استرداد حقه ولم يسانده أحد لمكانة العاص بن وائل حينها في مكة، فذهب هذا الرجل عند الكعبة واستغاث بأهل الإنصاف والمروءة لينصروه ويردوا له حقه؛ فقال الزبير بن عبد المطلب عم النبي ﷺ: ما لهذا مترك، أي لن يُسمح بهذا الظلم ولن تشفع للعاص مكانته العالية، فاجتمع على إثر ذلك بنو هاشم وبنو زهرة وبنو تيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان، وكان العهد بينهم على منع الظلم في مكة، وعلى نصرة المظلوم، ثم قاموا إلى وائل بن العاص وانتزعوا منه بضاعة المظلوم وردوها إليه، وكانت هذه الاتفاقية والعهد الذي تم بينهم على نصرة المظلوم هو حلف الفضول.

القيم التي دعا إليها حلف الفضول:

* نصرة المظلوم وإعادة الحق لصاحبه، والإنصاف ودرء الظلم وحمية الجاهلية، وحماية البيت العتيق والحفاظ على حرمته بترسيخ الإنصاف والتعاون بمروءة للحفاظ على العدل والقيم النبيلة، وهذه القيم جعلت النبي ﷺ يثني عليه ويشيد به في قوله: "قَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ الله بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ وَلَوْ أُدْعَى بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ"(١).

* وهي قيم دعا إليها الإسلام وحثنا عليها في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة، قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [سُورَةُ النَّحلِ: ٩٠]

وقال رسول الله ﷺ: "مَن نصر أخاه بظهر الغيب، نصره الله في الدنيا والآخرة"(٢).

---

(١) سيرة ابن هشام (ج ١/ ص١٣٣).

(٢) (صحيح الجامع/ ٦٥٧٤).

* وقال ﷺ: "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ: نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا؛ فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قال: تَرْدَعُهُ عَنِ الظُّلْمِ، فذَلِكَ نَصْرُكَ إِيّاهُ"(١).

* وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "بُعِثتُ لأُتَمِّمَ صالِحَ الأخْلاقِ"(٢)

حلف الفضول كما ورد الحديث عنه في الروضِ الْأُنُف:

* «كان حلف الفضول في شهر ذي القعدة، وسببه أن رجلا من زَبيد قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاص بن وائل ومنعه حقه، فلجأ إلى زعماء من قريش فلم يُعينوه لمكانة العاص فيهم، لكن بعض أشرافهم أنكروا عليهم ذلك وتعاقدوا وتحالفوا بالله ليكونُنّ يدًا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يُرَد إليه حقُّه، ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه، وأبرموا هذا الحلف الذي سُمي بحلف الفضول»(٣).

---

(١) حديث صحيح، رواه البخاري.

(٢) صحيح الجامع (٢٨٣٣)، وأخرجه أحمد (٨٩٣٩)، والبخاري في (الأدب المفرد) (٢٧٣) واللفظ لهما، والبزار (٨٩٤٩) باختلاف يسير.

(٣) الروض الْأُنُف للسهيلي (ج ٢/ ص ٦٣).



بأموال السيدة خديجة رضي الله عنها وزواجه منها

٥١ ـ وأَعطَتهُ أموالًا خديجةُ حينما
بِصِدقِ الحَبيبِ الكلُّ قالَ وأُشغِلا

٥٢ ـ وسافَرَ للشامِ الأمينُ تجارةً
بأموالِ أُمِّ المؤمنينَ ليَعمَلا

٥٣ ـ بخمسٍ وعشرينَ الحبيبُ، وعُمرُها
رَوى أربعينَ الكلُّ لمّا تأهّلا

٥٤ ـ بِعِقدٍ ونِصفٍ قبلَ بَعثتِهِ أتى
زواجُهما بالخيرِ بِرًّا مُعجَّلا

معنى الأبيات: لقد أعطت السيدة خديجةُ – رضي الله عنها – النبي مالا ليخرج إلى الشام به تاجرا عندما سمعت بصدقه وأمانته، وقبل وسافر به، وتزوجها النبي ﷺ، وكان في عمر الخامسة والعشرين، وكانت هي في سن الأربعين، وكان زواجهما

قبل البعثة بخمسة عشر عاما، وقد جاء هذا الزواج المبارك بالخير والبر والذرية الطاهرة.

تَنَسَّمْ من نسائم سيرته ﷺ عبيرَ ما يلي:

* سمعت السيدة خديجة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - بأخلاق النبي - ﷺ - وبأمانته وصدقه، وكانت امرأة ذات شرف وسؤدد تستأجر الرجال في مالها وتجعل لهم شيئا منه، فبعثت إليه وعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرا، وقبل منها وخرج إلى الشام.

* وقد ورد أن النبي ﷺ كان يتجر مع السائب بن أبي السائب المخزومي فكان خير شريك له، وجاءه يوم الفتح فرحب به، وقال: مرحبا بأخي وشريكي (١).

* وخرج النبي ﷺ مع غلامها ميسرة، وجعل عمومته يوصون به أهل العير حتى قدم إلى الشام، فنزلا في سوق بُصرى في ظل شجرة قريبًا من صومعة راهب، يقال له: نسطورا، فاطلع الراهب إلى ميسرة، وكان يعرفه، فقال: يا ميسرة، من هذا

---

(١) انظر عيون الأثر(ج١/ ص٧١)، سير أعلام النبلاء (ج١/ ص١٧١، ١٧٢).

الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال ميسرة: رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي، ثم قال له: في عينيه حمرة؟ قال ميسرة: نعم لا تفارقه، قال الراهب: هو هو، وهو آخر الأنبياء، ويا ليت أني أدركه حين يؤمر بالخروج.

❋ لقد رأى نور النبوة في شخص الحبيب ﷺ ؛ فوعى ذلك ميسرة، ثم حضر رسول الله ﷺ سوق بصرى، فباع سلعته التي خرج بها واشترى، وكان بينه وبين رجل اختلاف في سلعة، فقال الرجل: احلف باللات والعزى، فقال رسول الله ﷺ : "ما حلفت بهما قط"، فقال الرجل: القول قولك، ثم قال لميسرة وخلا به: يا ميسرة، هذا نبي والذي نفسي بيده، وإنه لهو تجده أحبارنا منعوتًا في كتبهم، فوعى ذلك ميسرة، ثم انصرف أهل العير، وإذا كانت الهاجرة واشتد الحرُ يّرى ميسرة مَلَكَينْ يظلان النبي ﷺ من الشمس وهو على بعيره، وقيل: قد ألقى على رسول الله ﷺ المحبة من ميسرة، فكان كأنه عَبدٌ لرسول الله ﷺ ، فلما رجعوا وكانوا بمر الظهران تقدم رسول الله ﷺ حتى دخل مكة في ساعة الظهيرة وخديجة

في علية لها، معها نساء فيهن نفيسة بنت منية، فرأت رسول الله ﷺ حين دخل وهو راكب على بعيره وملكان يظلان عليه، فأرته نساءها فعجبن لذلك، ودخل عليها رسول الله ﷺ فخبرها بما ربحوا، فسرت بذلك، فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت، فقال لها ميسرة: قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام، وأخبرها بقول الراهب نسطورا، وقول الآخر الذي خالفه في البيع.

❋ وقيل: قدم رسول الله ﷺ بتجارتها وقد ربحت ضعف الربح؛ فأضعفت ما سمَتّ له، وكانت يومئذ أوسط نساء قريش نسبًا، وأعظمهن شرفًا، وأكثرهن مالًا، وكل قومها كان حريصًا على نكاحها لو يقدر عليه، فعرضت عليه نفسها، فقالت له فيما يزعمون: يا ابن عم، إني قد رغبت فيك لقرابتك، ووسطتك في قومك وأمانتك، وحسن خلقك وصدق حديثك، فذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه حتى دخل على خويلد بن أسد، فخطبها إليه فتزوجها.

وعن نفيسة بنت منية، أنها قالت: "كانت خديجة بنت خويلد امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير، وهي يومئذ أوسط نساء قريش نسبًا، وأعظمهم شرفًا، وأكثرهم مالًا، وكل قومها كان حريصًا على نكاحها لو قدر على ذلك، قد طلبوها وبذلوا لها الأموال، فأرسلتني دسيسًا إلى محمد بعد أن رجع من عيرها من الشام، فقلت: يا محمد، ما يمنعك أن تزوج؟ قال: "ما بيدي ما أتزوج به"، قلت: فإن كفيت ذلك ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ قال: "فمن هي"؟ قلت: خديجة، قال: "فكيف لي بذلك"؟ قالت: قلت: عليَّ، قال: فأنا أفعل، فذهبت فأخبرتها، فأرسلت إليه: أن ائت لساعة كذا وكذا، فأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها، فحضر، ودخل رسول الله ﷺ في عمومته، فزوجه أحدهم. فقال عمرو بن أسد: هذا الفحل لا يقدع أنفه. وتزوجها رسول الله ﷺ وهو ابن خمس وعشرين سنة، وهي يومئذ بنت أربعين سنة، ولدت قبل الفيل بخمس عشرة سنة".

وأولاده كلهم من خديجة سوى إبراهيم، وهم: القاسم، والطيب، والطاهر، وماتوا صغارا رضعا قبل المبعث، ورقية، وزينب، وأم كلثوم، وفاطمة -رضي الله عنهم- ، فرقية، وأم كلثوم زوجتا عثمان بن عفان، وزينب زوجة أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس، وفاطمة زوجة علي - رضي الله عنهم أجمعين(١).

(١) انظر عيون الأثر(ج١/ ص٧١)، سير أعلام النبلاء (ج١/ ص١٧١، ١٧٢).

اختيار النبي ﷺ كمحكم وتجديد البيت العتيق



معنى الأبيات: لقد تم اختيار النبي ﷺ كمُحَكِّمٍ بين القبائل لخمسٍ وثلاثين سنة من مولده ﷺ وذلك قبل البعثة بخمس سنوات، وشارك في تجديد بنيان الكعبة ووضع الحجر.

تَنَسَّمْ من نسائم سيرته ﷺ عبير ما يلي:

لقد كانت الكعبة قبل خمس سنوات من البعثة عبارة عن صخور فوق القامة ارتفاعها تسعة أذرع من عهد سيدنا إسماعيل – عليه السلام – ولم يكن لها سقف

فسُرق الكنز الذي كان في جوفها، كما قد تأثرت بسيلٍ عرمٍ كان قد انحدر لبيت الله الحرام فأثّر على صلابة جدرانها؛ فاتجهت قريش بعزمة ماضية مخلصة، إلى بناء البيت بجهود أبنائها، وأموالهم الطيبة التي لا خبث فيها، فليس فيها ثمن دم مغصوب، ولا ربا، ولا مهر بغى، ودخلوا غير متنازعين، ولا متخاصمين، ولا متخاذلين؛ استعدادا لذلك العمل المهيب لأنها الكعبة، أول بيت وضع للناس مباركا.

* وعزموا على الهدم قبل البناء، ولربما قدم العهد بالبناء والأحجار، قد جعل بعض الهوام يعيش على مقربة منه، فزعموا أنهم قد رأوا حية قد أحاطت بالبيت رأسها عند ذنبها، فأشفقوا منها خشية أن يكونوا قد وقعوا منها في هلكة، ووقفوا حيارى، والتبس عليهم الأمر، وحسبوا أن يكون ذلك لتأثمهم عند البناء بإثم، أو أن مالهم به خبث، أو أن في النفوس شيئا من فساد، وعندئذ وقف المغيرة المخزومي، ينصح لهم بعدم التحاسد والتشاجر، وأن جددوا النية بإخلاص وعزيمة.

* وقد جاء في تاريخ الحافظ ابن كثير أنهم لما عزموا ذهبت الحية، وتغيبت عنهم، ورأوا أن ذلك من الله عز وجل.

الحكمة من رؤية قريش للحية قبل الهدم:

* إن الحكمة من خبر الحية لا تخفى، فالخبر إن صح فإما أن تكون الحية قد ركنت إلى بعض أحجار الكعبة، ويصح أن المولى جل جلاله سيرها إليهم لا من السماء، ولكن من مكان آخر، لتملأ قلوبهم الخشية والمهابة ويفزعوا وينتبهوا، ولتتطهر قلوبهم من دنس الجاهلية ورجسها، فهي بيت الله العتيق الذي بناه بأمر نبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فلابد أن يبنى بأطهار وقد قاموا بتطهير أنفسهم وأموالهم، وتولوا بأنفسهم إقامة البناء، ولم يشركوا في بنائه أحدا غيرهم.

كيفية تقسيم البناء قبل الهدم والبناء:

* «اقتسموا البناء أرباعا، فكان الربع الأول الذي فيه شق الباب لبنى عبد مناف وزهرة، وبنو مخزوم لهم ما بين الركن الأسود والركن اليماني، ومعهم بطون من قريش انضموا إليهم، وظهر الكعبة لبنى جمح وسهم، وكان شق الحجر لبنى عبد

الدار بن قصي وبنى أسد بن عبد العزى وبنى عدى، وهو الحطيم"(١).

لحظات مهيبة قبل الهدم:

* من اللحظات المهيبة بعدما قسموا ذلك التقسيم وقبل شروعهم في الهدم أشفقوا لهيبة الكعبة في نفوسهم، ولعجزهم عن أن يعرفوا أهذه إرادة الله رب البيت وحاميه، أم هي أهواؤهم الدافعة إلى أن يفعلوا، وهابوا أن يهدموا، وقيّدهم التردد وغشاهم التلكؤ، فتقدم الوليد المخزومي، وحمل المعول، وقال: أتقدمكم، وهو يقول: اللهم إنا لا نريد إلا الخير، ثم هدم ناحية من الركنين (الركن الأسود والركن اليماني) وهما حصة بنى مخزوم، ومع ذلك لم يتقدم كل ذي حصة من حصته ليهدمها، فأصبح الوليد معتزما من غداته متمما ما بدأ بمعوله، فأخذ يهدم الناس معه، كل يهدم ما في حصته، وأخذوا يهدمون، حتى رأوا أساس البناء الذي وضعه خليل الله عليه الصلاة والسلام.

اشتراك النبي ﷺ في بناء الكعبة:

لقد قام كل فريق بحصته في البناء، وقد اشترك النبي ﷺ مع عمه العباس بن عبد

(١) البداية والنهاية (ج ٣ ص ٣٠٣).

المطلب، فعن جابر بن عبد الله أنه:

"لَمَّا بُنِيَتِ الكَعْبَةُ ذَهَبَ النبيُّ ﷺ وعَبَّاسٌ يَنْقُلَانِ الحِجَارَةَ، فَقالَ العَبَّاسُ للنبيِّ ﷺ: اجْعَلْ إزَارَكَ علَى رَقَبَتِكَ. فَخَرَّ إلى الأرْضِ، وطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إلى السَّمَاءِ، فَقالَ: أَرِنِي إزَارِي. فَشَدَّهُ عليه"(١).

* وهذا الحديث الصحيح يدل على أن الله تعالى كان يحيط نبيه ﷺ بستره وعنايته، وقد رباه على عينه، فلما أخذ بنصيحة عمه العباس، ووضع بعض ثوبه على رقبته وانكشف بعض عورته، طمحت عينه إلى السماء وأصابته غشية اتصال بالملأ الأعلى، فسُترت عورته على الفور وحفظه الله بحراسته مما لا يليق به ﷺ.

* وقصرت بقريش النفقة الطيبة فأخرجوا من الجهة الشمالية نحوًا من ستة أذرع، وهي التي تسمى بالحجر والحطيم، ورفعوا بابها من الأرض؛ لئلا يدخلها إلا من أرادوا، ولما بلغ البناء خمسة عشر ذراعًا، سقفوه على ستة أعمدة، وصارت الكعبة بعد انتهائها ذات شكل مربع تقريبًا، يبلغ ارتفاعه ١٥ مترًا، وطول ضلعه الذي فيه

(١) صحيح البخاري (١٥٨٢)، وأخرجه مسلم (٣٤٠) باختلاف يسير.

الحجر الأسود والمقابل له عشرة أمتار، والحجر موضوع على ارتفاع ١.٥٠ متر من أرضية المطاف. والضلع الذي فيه الباب والمقابل له اثنا عشر مترًا، وبابها على ارتفاع مترين من الأرض، ويحيط بها من الخارج قصبة من البناء أسفلها، متوسط ارتفاعها ٢٥ مترًا ومتوسط عرضها ٣٠ مترًا وتسمى بالشاذروان، وهي من أصل البيت لكن قريشًا تركتها (١).

وعدم كفاية النفقة سببه أن قريشا لم تشرك العرب في تجديد البيت العتيقة ليبقى لهم الاختصاص بسدانته وبشرفه، إلى جانب حرصهم على ألا ينفقوا في البناء إلا بمال طيب حلال، ليس فيه شبهة خبث، وقد قلّ المال في الجاهلية، لانتشار الربا والميسر حينذاك.

* وكما ذكر ابن كثير فقد اكتفوا للكعبة بباب واحد من ناحية الشرق، وجعلوه مرتفعا لئلا يدخل إليها كل أحد، فيدخلوا ويمنعوا من أرادوا.

والنبي ﷺ كان يرغب أن يعيد البيت إلى ما كان على بناء إبراهيم عليه الصلاة والسلام، لولا أنه خشي عليه كثرة الهدم والبناء، فعن عائشة رضى الله

(١) الرحيق المختوم (٦٨). الطبعة الحادية والعشرون.

تبارك وتعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: ألم ترَيْ أنَّ قومَك حينَ بنَوُا الكعبةَ اقتصروا على قواعدِ إبراهيمَ؟ قالت: فقُلْتُ: يا رسولَ اللهِ أفلا ترُدَّها على قواعدِ إبراهيمَ ؟ قال: (لولا حِدثانُ قومِك بالكفرِ) قال: فقال عبدُ اللهِ بنُ عمرَ: لئنْ كانت عائشةُ سمِعَت هذا مِن رسولِ اللهِ ﷺ ما أرى رسولَ اللهِ ﷺ ترَك استلامَ الرُّكنينِ اللَّذينِ يليانِ الحِجْرَ إلَّا أنَّ البيتَ لم يتِمَّ على قواعدِ إبراهيمَ." (١).

اختيار النبي ﷺ لوضع الحجر الأسود وتحكيمه بين القبائل:

* ولقد تم بناء البيت الحرام، ولم يختلفوا في شيء عند إقامته، لأن كل قسم منه اختصت به بطن من بطون قريش، ولكنهم اختلفوا من الذي ينال شرف وضع الحجر الأسود فى موضعه؛ فوضع الحجر الأسود شرف لكل أحد وقد قرّ ذلك في نفوسهم منذ الجاهلية، وعن عبد الله بن عباس أن النبي ﷺ قال: " نَزلَ الحجرُ الأسوَدُ منَ الجنَّةِ وَهوَ أشدُّ بياضًا منَ اللَّبنِ فسَوَّدَتهُ خطايا بَني آدمَ"(٢).

(١) صحيح ابن حبان (٣٨١٥).

(٢) حديث صحيح، أخرجه الترمذي (٨٧٧).

* واختلفوا خلافا شديدا، ومكثت قريش على تلك الحال أربع ليال سويا، ثم اجتمع في المسجد الحرام السادة منهم والأشراف، وفي هدأة تشاوروا وتبادلوا الرأي بإنصاف، ولقصدهم الطيب أخفوا نوازع الشر مخافة وقوع الخلاف والضرّ وأحسنوا الظاهر والسِّر؛ فانبثق من وسط الشقاق، نور من الصفاء والوفاق، ولقد كانت الجلسة الميمونة سبيلا لذلك ببركة من الله في بيته الحرام، فوقف أسن قريش يدعوهم إلى السلام وإنهاء الخصام، فقال:

"يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم"؛ فارتضوا ذلك، وعلموا أنه توفيق الله تعالى عندما ظهر أول داخل، فإذا هو محمد بن عبد الله ﷺ فقال كبيرهم: هذا الأمين رضينا به حكما.

وكان النبي ﷺ يسمى الأمين، وقد اختص بهذا الاسم، بحيث إذا أطلق لا ينصرف إلا إليه، وكلما مضى في عمره الكريم زادوا اطمئنانا لأمانته وثقةً بصدقه،

وإيمانا بحكمته ويقينا بعدالته؛ لذلك طابت نفوسهم لحكمه بينهم، كما طابت نفسه وقرت عينه؛ إذ قرت به القلوب المضطربة وقال: هلم إلى ثوبا فأتى به، فأخذ الحجر فوضعه فيه بيده، ثم قال: "لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعا"، ففعلوا حتى إذا بلغوا موضعه، وضعه بيده الشريفة، ثم بنى عليه.

* وفي هذا الموقف تجلت الحكمة البالغة، والفطنة السابغة التي انحل بها الخلاف، وحلّ بها الإنصاف، فبدت بوادر النبوة، وظهرت إرهاصاتها بهذه النفحة المسكية والنسمة النديّة.

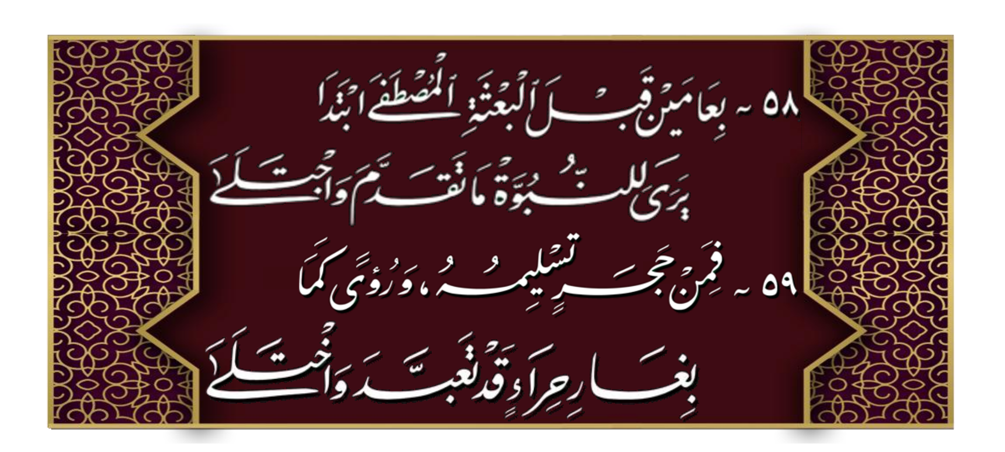
وبعد تمام البناء استمرت الكعبة الشريفة على ذلك في عهد النبي ﷺ، وكانت لديه ﷺ رغبة بأن يعيدها إلى ما كانت عليه في عهد إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ولكنه قدّر أن قريشا قريبو عهد بكفر، فراعى ذلك ﷺ.

* وبعد عصر الراشدين، وعهد معاوية، جاء عهد يزيد بن معاوية، وخرج عليه الخارجون من أهل الإيمان، وكان ممن خرج عليه عبد الله بن الزبير، وقد قوى

أمره بعد أن قتل الإمام الحسين بن على، تلك القتلة الفاجرة، وقد بايع الكثيرون ابن الزبير، ثم تجرد له عبد الملك بن مروان، وكانت المغالبة، وحوصرت مكة التي كان بها ابن الزبير، ورميت الكعبة بالمنجنيق، وتهدمت، فاتجه ابن الزبير إلى إقامتها على قواعد إبراهيم، فأعاد طولها، وأدخل من الحجر الأذرع التي كانت قد نقصت منها لضيق المال الحلال الذى كان بيد قريش، وجعل لها بابا آخر لما سمع من خالته أم المؤمنين حديث النبي ﷺ الذي تمنى فيه ذلك.





معنى البيتين: قبل البعثة الشريفة بعامين بدأت إرهاصات ومقدمات النبوة ومنها تسليم الحجر على النبي ﷺ، والرؤيا الصادقة التي كانت تتحقق كفلق الصبح، وخلوته بغار حراء وتعبده لله وحده.

تَنَسَّمْ من نسائم سيرته ﷺ عبير ما يلي:

* لقد أيَّد اللهُ سُبحانَه وتَعالَى نَبيَّه محمَّدًا ﷺ، وأعَدَّ نفْسَه الشَّريفةَ قبْلَ البَعثةِ لتَحمُّلِ النُّبوَّةِ، فأظهَرَ له بشائر ومُعجِزاتٍ يَراها بنَفسِه ويَرى بعضها من حوله ليؤهّل الله نبيَّه ﷺ لنزول الوحي ويؤهل النفوس حول النبي ﷺ لاستيعاب هذا الاصطفاء الرباني للنسمة الطاهرة التي بينهم، فعن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ

قال: "إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أنْ أُبْعَثَ إنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ"(١).

* وفي هذا الحديثِ ذَكَر النَّبيُّ ﷺ أنَّه يَعرِفُ حَجرًا بمَكَّةَ كان يسلِّم عليه قبل بعثته الشريفة وبدء الرسالة الغراء، وكان ﷺ يعرف هذا الحجر بمكانه وصفته، وكان ذلك قبل أنْ يُشافِهَه جِبريل عليه السَّلام بالوحي.

* والكون كله بأحجاره وجماداته يسبح لله ولا غرابة في أن يحب أنبياءه ويتأثر بنورهم، قال تعالَى: ﴿وَإِن مِّن شَىۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال تعالَى عن الحجارة: ﴿وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]

* وفي تَسليم الحَجر على النبي ﷺ قبل البَعثةِ إرهاصٌ، والإرهاصُ أمرٌ خارقٌ للعادةِ يَظهَرُ للأنبياء قبل تلقيهم للوحي.

* وقد خَصَّ الله النبيَّ ﷺ بكَراماتٍ ومعجزات؛ ليؤهِّله ﷺ لقَبولِ ما سيتنزَّل عليه، وليبشِّرَه ويجعله في حالة تأهب واشتياق لمزيد من النور الذي يقترب منه ويشعره بجلال سطوعه من قبل أن ينبثق، وللدلالة على صدق نبوته ﷺ، ولتقوية فؤاده

(١) صحيح مسلم (٢٢٧٧).

الشريف قبل مشافهة الملَك وتلَقِّي الرسالة بكل رؤيا وخلوةٍ وإرهاصة.

* وعن أم المؤمنين عائشة – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – أنها قالت: "أَوَّلُ ما بُدِئَ به رَسولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ في النَّوْمِ؛ فَكانَ لا يَرَى رُؤْيَا إلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، فَكانَ يَأْتي حِرَاءً فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ –وهو التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ– ويَتَزَوَّدُ لذلكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إلى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا، حتَّى فَجِئَهُ الحَقُّ وهو في غَارِ حِرَاءٍ.. إلى آخر الحديث"(١).

* والرؤيا الصادقة كما ذكرت أمنا عائشة – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – من مقدمات النبوة وبدايتها، وكذلك حبُّ النبي ﷺ للخلوة والتعبد في غار حراء وبغضه للأصنام وبعده عن دنس الجاهلية كله؛ فعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : "ما هممتُ بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون بها إلا مرتين الدهر، كلتاهما يعصمني الله عز وجل منها، قلت ليلة لفتى من قريش بأعلى مكة في أغنام لأهلنا نرعاها: انظر غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان، قال: نعم، فخرجت، فجئت أدنى دار من دُور مكة، سمعت غناءً وضربَ دفوف وزمرًا، فقلت: ما هذا؟

(١) صحيح البخاري (٦٩٨٢).

قالوا: فلان تزوَّج فلانة، لرجل من قريش تزوج امرأة من قريش، فلهوتُ بذلك الغناء، وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلا مسُّ الشمس، فرجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فأخبرته، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، ففعل، فخرجت، فسمعت مثل ذلك، فقيل لي مثل ما قيل لي، فلهوتُ بما سمعت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلا مسُّ الشمس، ثم رجعت إلى صاحبي، فقال لي: ما فعلت؟ فقلت: ما فعلت شيئًا، قال رسول الله ﷺ: فوالله ما هممتُ بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته"(١).

 **وفي هذا الحديث تتجلى حراسة الله لنبيه ﷺ وولايته من قبل بعثته،** ويبرز لك كيف كانت تحيط بالنبي ﷺ أسوار العناية الربانية، وهذا من دلائل نبوته ﷺ ومن مقدماتها، إلى جانب أخلاق الأنبياء التي عاش بها منذ صغره وعلامات الاصطفاء التي شعّ من شمسها ضياء صدقه وأمانته وكرمه، ووفائه ومروءته ﷺ.

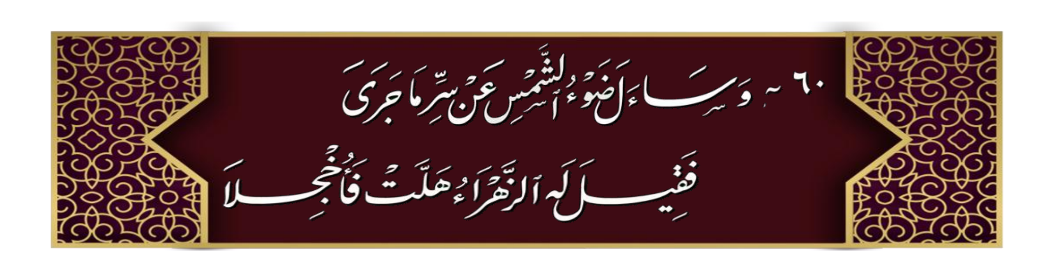
  

---

(١) قال البوصيري: رواه ابن إسحاق بإسناد حسن، وابن حبان في صحيحه، ووافقهما ابن حجر، والسيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ١٥٠)، والحديث أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ١٨٦) رقم (١٢٨) واللفظ له.


العهد المكي (١-١٣) البعثة
أولاً: السنة الأولى والثانية والثالثة





المعنـي: في هـذا البيـت إشـارة إلـى ولادة السـيدة فاطمـة الزهـراء - رضي الله عنها ، وقلتُ مجازا أن ضوء الشمس ساءل عن سِرِّ ما جرى، أي ساءل عن سر النور الذي فاق ضياءه فقيل له: الزهراء هلت فأُخجِلَ من سطوة نورها وبهجة مولدها رضي الله عنها ، واختلف في تاريخ ولادة السيدة فاطمة - رضي الله عنها - والراجح أنه قبل البعثة، وقد ذكر الإمام شمس الدين الذهبي - رحمه الله - أن السيدة فاطمة - رضي الله عنها - قد وُلدت قبل البعثة بقليل. (١)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/١١٩)

أحداث الثلاثة أعوام الأولى للبعثة النبوية 

٦١ - ثَلَاثَةُ أَعْوَامٍ رَوَانَا نَمِيرُهَا
أَتَتْ بَعْدَ بَدْءِ الْبَعْثَةِ احْفَظْ مُبَسْمِلَا

٦٢ - بِغَارِ حِرَاءٍ جَاءَهُ الْوَحْيُ حِينَمَا
غَدَا رُشْدُهُ فِي الْأَرْبَعِينَ مُكَمَّلَا

٦٣ - إِلَى وَرَقَةَ الْهَادِي أَبَاحَ بِسِرِّهِ
وَرَاحَ لِنُصْحٍ مِنْ خَدِيجَةَ أُسْدِلَا

٦٤ - فَأَخْبَرَهُ أَنَّ النُّبُوَّةَ دَرْبُهُ
وَأَسْلَمَ بَعْضُ الصَّحْبِ فَانْظُرْ مُفَصَّلَا

٦٥ - خَدِيجَةُ وَالصِّدِّيقُ مَعْ زَيْدٍ مَعْ عَلِي
بِأَوَّلِ يَوْمٍ وَالْيَقِينُ تَنَزَّلَا



٦٦ - وبالسِّرِّ بَدْءُ الدَّعوةِ المُصطفى نوى
وأسلمَ عثمانُ وطلحةُ أقبلا

٦٧ - وجاءَ زبيرٌ مسلماً وابنُ عوفهم
هُنا بيدِ الصِّدِّيقِ ذاقوا تبتُّلا

٦٨ - وأسلمَ خبّابٌ وسعدُ بنُ زيدٍ وابنُ
مسعودَ والأرقمُ ومُصعبُ هلّلا

٦٩ - عُبيدةُ معْ عثمانَ معْ أخويهِ جا
وفاطمةُ الخطّابُ أشهدتِ العلا

٧٠ - وباتَ أبو عبيدةَ البرُّ مسلماً
فيا ربِّ رضوانًا عليهم مُنزَّلا

معنى الأبيات: لقد روتنا الثلاثة أعوام الأولى للبعثة نميرا وسلسلا بما فيها من أحداث فارقة في تاريخ البشرية جمعاء وهذه الأحداث بإجمال يتبعه تفصيل، هي:

١- نزول الوحي في غار حراء عندما بلغ النبي ﷺ أربعين سنة.

٢- استجابة النبي ﷺ لنصح السيدة خديجة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وذهابهما لابن عمها ورقة بن نوفل، والذي أخبر النبي ﷺ بأن ما حدث هو نزول الوحي وبشّرَه بالنبوة.

٣- إسلام بعض الصحابة رضوان الله عليهم في أول يوم للدعوة، وهم: (أبو بكر الصديق، والسيدة خديجة، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة).

٤- بدء الدعوة السرية.

٥- أسلم على يد أبي بكر الصديق بعض الصحابة رضي الله عنهم جميعا، وهم: عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف.

٦- إسلام خباب بن الأرت، وسعد بن زيد مع أبي عبيدة، وعبد الله بن مسعود، والأرقم بن أبي الأرقم، ومصعب بن عمير، وجعفر بن أبي طالب، وعثمان بن مظعون وأخويه، وفاطمة بنت الخطاب، وعبيدة بن الحارث.

تَنَسَّمْ من نسائم سيرته عبير ما يلي:

* عندما بلغ رسول الله ﷺ الأربعين سنة، وهو سن الرشد وتمام النضج وكمال العقل، دقّ وقت بعثته رحمة للعالمين أبواب الكون وانتبهت لدقته مسامع قلب النبي صلى الله عليه؛ فحُببت إليه ﷺ الخلوة في غار حراء، فكان يأخذ السويق والماء في شهر رمضان، ويذهب إلى غار حراء في جبل النور على بعد نحو ميلين من مكة، لتسبح روحه الطاهرة في رحابة الملكوت مع كل لحظة تأمل وتعبد ويتَّقِدَ جنانه الشريف بأنوار الحق ضاربا صفحا عن كل عتمات الوثنية وغياهب الشرك والبهتان.

بدء الوحي

* وفي قصة البدء الوحي قبس من الهداية والأنوار ومستظَل لنا وارف الأسرار؛ فعن أم المؤمنين عائشة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أنها قالت:

* "أَوَّلُ ما بُدِئَ به رَسولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ في النَّوْمِ؛ فَكانَ لا يَرَى

رُؤْيَا إلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، فكانَ يَأْتِي حِرَاءً فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ -وهو التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ- ويَتَزَوَّدُ لذلكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إلى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا، حتَّى فَجِئَهُ الحَقُّ وهو في غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فِيهِ، فقالَ: اقْرَأْ، فَقالَ له النَّبيُّ ﷺ: فَقُلْتُ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أرْسَلَنِي فقالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أرْسَلَنِي فقالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أرْسَلَنِي فقالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ حتَّى بَلَغَ ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥].

فَرَجَعَ بهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حتَّى دَخَلَ علَى خَدِيجَةَ، فَقالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حتَّى ذَهَبَ عنْه الرَّوْعُ، فَقالَ: يا خَدِيجَةُ، ما لِي؟ وأَخْبَرَهَا الخَبَرَ، وقالَ: قدْ خَشِيتُ علَى نَفْسِي، فَقالَتْ له: كَلَّا، أبْشِرْ، فَوَاللهِ لا يُخْزِيكَ اللهُ أبَدًا؛ إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَى نَوَائِبِ الحَقِّ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ به خَدِيجَةُ حتَّى أتَتْ به ورَقَةَ بنَ نَوْفَلِ بنِ أسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصَيٍّ،

وهو ابنُ عَمِّ خَدِيجَةَ؛ أخُو أبِيهَا، وكانَ امْرَأً تَنَصَّرَ في الجَاهِلِيَّةِ، وكانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العَرَبِيَّ، فَيَكْتُبُ بالعَرَبِيَّةِ مِنَ الإنْجِيلِ ما شَاءَ اللهُ أنْ يَكْتُبَ، وكانَ شَيْخًا كَبِيرًا قدْ عَمِيَ، فَقالَتْ له خَدِيجَةُ: أيِ ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أخِيكَ، فَقالَ ورَقَةُ: ابْنَ أخِي، مَاذَا تَرَى؟ فأخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ ما رَأَى، فَقالَ ورَقَةُ: هذا النَّامُوسُ الذي أُنْزِلَ علَى مُوسَى، يا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، أكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: أوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟ فَقالَ ورَقَةُ: نَعَمْ؛ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بمِثْلِ ما جِئْتَ به إلَّا عُودِيَ، وإنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ ورَقَةُ أنْ تُوُفِّيَ (١).

* وبعد أن هدَأَ النبي ﷺ وغفت السكينة على صدره ذهبت بصحبته خَديجةُ إلى وَرَقَةَ بنِ نَوفلٍ فتمشى في صحبتهما التوفيق وقادت خطاهما البشرى، وورقة هو ابنُ عَمِّ خَديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكان وَرَقةُ قدْ تَنصَّرَ في الجاهليَّةِ، وكان يَكتُبُ من الإنجيل باللُّغةِ العربيَّةِ؛ لتَمكُّنِه من العربية ومَعرِفَتِه بالإنجيل، وكان شيْخًا كَبيرًا قدْ فقد

(١) صحيح البخاري (٦٩٨٢).

بصره، فقالت له السيدة خَديحةُ ﵂: يا عَمِّ، اسمَعْ مِن ابنِ أخيك، أي: من النَّبيَّ ﷺ؛ لأنَّ الأبَ الثَّالثَ لِوَرقةَ هو الأخُ للأبِ الرَّابِعِ لِلنبي ﷺ، فأخبَرَه النَّبيُّ ﷺ بما رأى، فقال له وَرَقةُ: «هذا النَّاموسُ» أي: جبريلُ، الذي أُنزِلَ على موسى، ثم قال للنبيِّ ﷺ: لَيْتني في مُدَّةِ النبوَّةِ «جَذَعًا»، أي: شابًّا قويًّا، لَيْتَني أكونُ حَيًّا حِين يُخرِجُك قَومُك مِن مَكَّةَ، فسأله رسولُ اللهِ ﷺ: «أَوَمُخرِجيَّ هـمْ؟!» فأجابه وَرَقةُ: نعمْ؛ لم يَأتِ رَجُلٌ بما جِئتَ به مِنَ الوَحيِ إلَّا أوذِيَ وعُودِيَ؛ لأنَّه يدعو النَّاسَ إلى دينٍ جديدٍ على غيرِ ما اعتادوا، وبعدها قال وَرَقةُ للنَّبيِّ ﷺ: سأنصرك نصرا كبيرا إن كنت حيًّا وقت انتشارِ دعوتك، ولكِن لحكمة الله برقت المنية من خلف ستاره واعترضه الأجل على عتبة داره فتُوُفِّيَ ورقةُ قبل أن يبلغ ذلك.

ومضة الجوهرة في وصف أحداث بدء الوحي

* إن الله إذا أراد شيئا هَيَّأَ أسبابه حتى يبزغ نورُه شيئا فشيئا، فتأمل كيف بدأ الوحي مِن الرؤى التي كانت تحمل للنبي - ﷺ - الصدق في أحشائها فيجده وليدًا بعد استيقاظه كفلق الصبح، وكيف كان النبي الخاتم ﷺ يُكثِرُ مِن عِبادةِ اللهِ تعالى ومن الخلوة على ثوب الدجى بغار حراء حتى أضاءت له وبه الآفاق، لقد كان يأْخُذُ ما يكفيه من الطَّعامِ والشَّرابِ لتلك الأيَّامِ، ثمَّ يَرجِعُ إلى السيدة خَديجةَ رَضِوَاللَّهُعَنهَا، فيتزود مرة أخرى ويرجع إلى غارِ حِراء ليشافه الكونَ بالتوحيد ويشافهه الكونُ بالسلام من لسان الحجر ومباسم الأشجار؛ فتأمل كيف أشرَقَت شمس النبوَّةِ، ونـزَلَ عليه الوحيُ مِن رَبِّ العِزَّةِ، وكيف استقبل الحدث وجِبريل معه وأمامَ عَيْنَيه، وبماذا شعر النبي ﷺ عندما قال له جبريل: "اقرأْ"، وكيف عبّر ﷺ بإيجاز عن عدم استطاعته القراءة بقوله: "ما أنا بقارئٍ"، وفي هذه البداية بيان وبرهان على نبوته ﷺ وعلى صدقه حتى لا يجرؤ أحدٌ من الكفار على التشكيك في صدق كلامه

وصدق نزول الوحي فيما بعد.

* ولقد أمسَكَ به جِبريلُ واحتضَنَه وضَمَّه ضَمَّةً شَديدةً خاط بها شجونه وكَحَّلت عينَ القلق فيه بالسكينة، فاكتهل الخوفُ في جنبيه ثم شاب واحتضر وغادره؛ ليطمئن الحبيب ﷺ أن لا خوف عليه ولا خطر، وكذلك الضعف البشري المتوقع في موقف كهذا فقد هرم وشابت ذوائبه بعد تلك الضَّمة الملائكية السماوية؛ فخلع الفؤادُ ثوبَ الفجاءة واستردّ الفزعُ خلعتَه، وباح الملاكُ بِسِرِّه وتدلى عنقودُ البشارة بتَلقِّي الوَحيِ الإلهيّ.

* وكان جبريلُ عليه السلام قد أطلق النبي ﷺ ثم أعاد عليه ﷺ مرَّةً ثانيةً، فاعتذر له النَّبيُّ ﷺ بمِثْلِ ما اعتذر له في المرَّةِ الأُولى، وتوشح منطق الحبيب ﷺ بالتعجب والحيرة وهو الذي جاوز الجوزاء فهما وصدقا وطهرا وكأن أحرفه المعدودة حينها سحاب في نحر السحاب، وأعاد عليه الملك في الثَّالِثةِ وضَمَّه، وقال له: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ أي: اقرأْ ما أُبَلِّغُه إليك بسمِ اللهِ؛ ليهبك

القدرة على القراءةِ؛ لأنه الرَّبُّ الْعلِيّ الوهاب الذي يملك الفضل والرحمة وهو القادِر على أن تقرأ دونَ أنْ تَفترّ الأسبابُ لديك عن نواجذها، ولما أقرأه أوَّلَ سُورةِ العَلَقِ حتى بلَغَ: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ٥]، رجَعَ بها ﷺ إلى بيته ترجف بَوادِرُه حتَّى دخَل على خَديجةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فقال: «زَمِّلوني زَمِّلوني»، أي: غَطُّوني ليَحُول الغطاء بينه وبين ما حصل له من الرعدة وذلك من هوْلِ الأمرِ وشدته، فغَطَّوه حتى ذهب عنه ذلك، وكأن الغطاء قد صافحه على استيعاب ما جرى وعاهده على ألا يمسه الضر فيما قُدِّرَ، ثم قال لخديجةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: يا خَديجةُ، ما لي؟ وأخبَرَها بما حدث معه، وقال: «لقد خَشِيتُ على نَفْسي» ألَّا أُطيقَ حَمْلَ أعباءِ الوَحيِ؛ لِما لَقِيتُه عندَ لِقاءِ المَلَكِ، قالت خَديجةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بصوت يقسم له أن ليس للخوف إليه مسرى ولا للضر نحوه مجرى: كلَّا، لا خوْفٌ عليك، أبشِرْ، فواللهِ لا يُخزِيك اللهُ أبدًا، ولن يُضَيِّعَك، ثم جعَلَت تهوِّنُ عليه ما هو فيه بحديث يَسرِي في روحه وبدنه بالدواء، ويمسح على قلبه بماء الراحة والشفاء، ويلبسه الدفء بعناية

وحُنُوٍّ واحتفاء لما قالت له بكلمات تُوسع العين قرة وتهب النفس مسرة: واللهِ إنَّك لَتَصِلُ الرَّحِمَ وتَحمِلُ الكَلَّ، وتُكرِمُ الضَّيفَ وتُعينُ على نوائِبِ الحَقِّ.

إسلام بعض الصحابة بأول يوم للدعوة:

* لقد مَنَّ الله على أم المؤمنين خديجة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بالسبق إلى الإسلام وثبَّتَ دوحتها في قرارة المجد والشرف حيث إنها كانت أول مَن آمن بالنبي ﷺ وسكن الإيمان بين جنبيها فصدَّقت النبي ﷺ وواسته يوم أن كذبه الناس بكلامها العطوف وأسلوبها اللطيف الذي كان لنفس النبي ﷺ كالروض الممطور والدر المنثور، وخفَّفَت عنه ما لاقاه من تكذيب بيقين القلب ورجاحة عقل وتصديق الجنان واللسان، فلم يتمش في دماها شك ولا ارتهن سخاءها شُحّ، وأعانته بمالها وبكل ما تملك؛ لذا جاءت لها البشرى من فوق سبع سماوات، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال:

* **"أتاني جِبريلُ فقال:** يا رسولَ اللهِ! هذهِ خَديجةُ قد أَتَتْكَ معها إناءٌ فيهِ إدامٌ أو

طعامٌ أو شَرابٌ، فإذا هيَ قد أَتَتْكَ، فاقرَأ عليها السَّلامَ مِن ربِّها و مِنِّي، و بشِّرْها ببَيتٍ في الجنَّةِ مِن قصَبٍ ، لا صَخبَ فيها و لا نَصبَ."(١).

* **وقَالَ ابْنُ هِشَامٍ:** وَحَدَّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ، أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أُقْرِئْ خَدِيجَةَ السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : يَا خَدِيجَةُ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ مِنْ رَبِّكَ، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: اللهُ السَّلَامُ، وَمِنْهُ السَّلَامُ، وَعَلَى جِبْرِيلِ السَّلَامُ(٢).

* واختلفت الآثار هل أسلم أبو بكر أولا أم أن عليًّا هو أول مَن أسلم، وربما كان ذلك لأن أبا بكر هو أول مَن أسلم من الرجال وأن عليًّا كان حينها صبيًّا وقد كتم إسلامه مدة، ويؤكد ما جاء في مدح أبي بكر من شعر سيدنا حسان – رضي الله عنه –، وقد سمعه النبي ﷺ ، ولم ينكره وفيه دليل على أن أبا بكر هو أول من أسلم من الرجال، وفيه قال سيدنا حسان – رضي الله عنه – :

(١) حديث صحيح، أخرجه البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، العهد المكي.

خيـــر البريـــة أتقاهـــا، وأفضـــلها بعـــد النبـــي، وأوفاهـــا بمـــا حمـــلا

والثـــاني التـــالي المحمـــود مشـــهده وأول النـــاس قـــدما صـــدق الرســـلا[2]

[1]

* **وقال محمد بن كعب:** أول من أسلم من هذه الأمة: خديجة وأول رجلين أسلما: أبو بكر، وعلي.

* **وقال ابن إسحاق:** ثم إن علي بن أبي طالب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - جاء بعد ذلك بيوم وهما يصليان:

فقال علي: يا محمد ما هذا؟

قال: «دين الله الذي اصطفى لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وإلى عبادته».

«وأن تكفر باللات والعزى».

فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاضٍ أمرا حتى أحدث به أبا طالب.

---

(1) الروض الأنف. (الجزء الثالث، ص21)

فكره رسول الله ﷺ أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره.

فقال له: «يا علي إذا لم تسلم فاكتم».

فمكث على تلك الليلة، ثم أن الله أوقع في قلب علي الإسلام، فأصبح غاديا إلى رسول الله ﷺ، حتى جاءه فقال: ماذا عرضت علي يا محمد؟

فقال له رسول الله ﷺ: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد».

ففعل على وأسلم، ومكث يأتيه على خوف من أبي طالب، وكتم علي إسلامه ولم يظهره.

وأسلم ابن حارثة - يعني: زيدا - فمكثا قريبا من شهر يختلف علي إلى رسول الله ﷺ، وكان مما أنعم الله به على علي أنه كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام.

* **قال ابن إسحاق:** حدثني ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: وكان مما أنعم الله به على علي ومما صنع الله له، وأراده به من الخير أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة، **فقال رسول الله ﷺ** لعمه العباس - وكان من أيسر بني هاشم - «يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه حتى نخفف عنه من عياله» .... فأخذ رسول الله ﷺ عليا فضمه إليه، فلم يزل مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبيا، فاتَّبعه على وآمن به وصدقه.

* **وقال يونس بن بكير**، عن محمد ابن إسحاق، حدثني يحيى بن أبي الأشعث الكندي - من أهل الكوفة - حدثني إسماعيل بن أبي إياس بن عفيف، عن أبيه، عن جده عفيف - وكان عفيف أخا الأشعث بن قيس لأمه - أنه قال: كنت امرءا تاجرا، فقدمت منى أيام الحج، وكان العباس بن عبد المطلب امرءا تاجرا، فأتيته أبتاع منه وأبيعه.

قال: فبينا نحن عنده إذ خرج رجل من خباء، فقام يصلي تجاه الكعبة، ثم خرجت امرأة فقامت تصلي، وخرج غلام فقام يصلي معه.

فقلت يا عباس ما هذا الدين؟ إن هذا الدين ما ندري ما هو؟

فقال: هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله به وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب آمن به.

قال عفيف: فليتني كنت آمنت يومئذٍ، فكنت أكون ثانيا.

وتابعه إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، وقال: في الحديث: إذ خرج رجل من خباء قريب منه، فنظر إلى السماء فلما رآها قد مالت قام يصلي.

ثم ذكر قيام خديجة وراءه.

* **وقال ابن جرير**: حدثني محمد بن عبيد المحاربي، حدثنا سعيد بن خثيم، عن أسد بن عبدة البجلي، عن يحيى بن عفيف عن عفيف قال: جئت زمن الجاهلية

إلى مكة، فنزلت على العباس بن عبد المطلب، فلما طلعت الشمس، وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة، أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء، ثم استقبل الكعبة، فقام مستقبلها، فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه، فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما، فركع الشاب، فركع الغلام والمرأة، فرفع الشاب، فرفع الغلام والمرأة، فخر الشاب ساجدا، فسجدا معه.

فقلت: يا عباس أمر عظيم!

فقال: أمر عظيم.

فقال: أتدري من هذا؟

فقلت: لا

فقال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي.

أتدري من الغلام؟

قلت: لا

قال: هذا على ابن أبي طالب - رضي الله عنه -.

أتدري من هذه المرأة التي خلفهما؟

قلت: لا

قال: هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي.

وهذا حدثني أن ربك رب السماء والأرض أمره بهذا الذي تراهم عليه، وأيم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحدا على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة (١).

(١) البداية والنهاية. (الجزء الثالث، فصل أول من أسلم من متقدمي الإسلام والصحابة).

بدء الدعوة السرية

* لقد استمرت مرحلة الدعوة السرية ثلاث سنوات قبل أن يأتي الأمر بالدعوة الجهرية التي بدأت لما نزل قول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: ٢١٤]، وحينها أعلن النبي ﷺ دعوته الغرّاء وبدأت مرحلة الدعوة الجهرية في عزة وارتقاء.

ومضة الجوهرة في أسباب سِرِّيَّة الدعوة:

* لقد كانت أولوية الحفاظ على الدعوة في بدايتها من كيد الكفار تتطلب الصبر والتُّؤَدَة حتى يشتد أزر السابقين إلى الإسلام بالمزيد من إخوانهم قبل التعرض لتسلط كفار قريش وكيدهم، فكان من توفيق الله والحكمة أن تكون الدعوة إلى الإسلام في بدايتها سرا، يُصْطَفَى لها كلُّ مَن كان جانبه مأمونا والخير فيه مأمولا؛ لكيلا يحرض كفار قريش فيضر بالدعوة في بدايتها إن ثارت ثائرتهم بحمية الجاهلية وطغت النظرة الاستعلائية لديهم التي قوَّاها أن مكة مركز دين العرب

وقبلتهم الدينية والتجارية والثقافية، وفيها بيت الله والحج، وكانت حولها الأوثان التي تقدسها جميع طوائف وقبائل العرب حينها، حيث كان للقائمين على تلك الأصنام حظوة ومكانة ومهابة مما يدفعهم للخوف على نفوذهم ومكانتهم، ومحاربة كل ما يهدد استمرار حياة الكفر والجاهلية التي يترتب عليها رواج تجارتهم وتقدير القبائل لنفوذهم، ولمَّا كان الإسرار بالدعوة تأجيلا لمرحلة المواجهة التي كانت ستتشكل حتما بكل عصبية وحمية الجاهلية ساعد ذلك في نشر الإسلام وثبات أهله بغير ابتلاء يهدد تمسكهم بالدين الجديد في أول عهدهم به، وقوَّى الإسرار بالدعوة في أولها جذور نبتة هذا الدين العظيم ليشتد ساقها فتواجه رياح الكفر العاتية وجبروت العناد والإنكار عند المشركين بقوة يصاحبها النصر والعزة والتمكين.

* ولقد بدأ رسول الله ﷺ لما أنزل الله عليه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [سُورَةُ المُدَّثِّرِ] بأحرص الناس على إسعاده وأحبهم لفؤاده وأسرعهم لوداده؛

فدعا آل بيته وأصدقاءه المحبين للخير والحق والإنصاف، والذين تمتلئ أفئدتهم بالتصديق بأمانته وصدقه فآمنوا جميعا وهم الصفوة والسلاف؛ فكان من بيته: زوجه أم المؤمنين خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، ومولاه زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وربيبه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثم بعد ذلك بناته الطاهرات زينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم رضي الله عنهن وعن جميع آل بيت النبي الكرام الأبرار.

إسلام عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنهم جميعا:

* ولما بدأت الدعوة تؤتي أكلها، وتُثبِّت السابقين لها بزيادة عدد المسلمين يوما بعد يوم ممن عرفوا سُبُلَهَا، وكان لإيمان أبي بكر الصديق كأول المؤمنين في فجر الرسالة أثره العظيم في مؤازرة النبي ﷺ، وفي نشر الدعوة الغرّاء؛ نظرا لمكانته ونسبه وشهرته بالتجارة، ومحبة قريش له لمكانته الاجتماعية والثقافية المشهودة كأحد أشرافها وأبرز رجالاتها العقلاء الأحرار استجاب له أكابر القوم وصفوة النبلاء من أشراف مكة مثل: عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وسعد بن أبي

وقاص، وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام – رضي الله عنهم ـ فهؤلاء الصحابة الكرام بفضل الله ثم هداية نبيه ﷺ هم ثمرة اليد البيضاء لأبي بكر الصديق – رضي الله عنه وعنهم جميعا – ونبتة دعوته لدين الله.

* وظل النبي ﷺ يدعو إلى الإسلام في حرص على الإسرار بدعوته، وتوافدت الأعداد والأنصار إيمانا وتصديقا وفرحا بالدين الجديد، واشتعلت جذوة حرص الصحب الكرام على نشر الدعوة فانطلقوا كالمصابيح في حيطة وحذر وسرية اتباعا بأبهى صور الْوُدِّ وبعزم أهل الجدِّ للأوامر النبوية.

* وبينما كان الوحي يتنزل على النبي ﷺ ازدادت آيات القرآن الكريم مع زيادة أعداد المسلمين، وكان النبي ﷺ يغمرهم بالإرشاد والتوجيه والتعليم؛ لتزكية نفوسهم وتقوية إيمانهم وزيادة يقينهم، ولطهارة قلوبهم وكمال دينهم، فأضاء بيت أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – قناديله وفتح أبوابه لاستقبالهم وتبليغهم تعاليم دينهم، وأصول العبادات وكيفية الصلاة، ولمّا زادت أعداد المسلمين وضاق

عليهم بيت السيدة خديجة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - اختار النبي ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم ليجتمع فيها بأتباعه وصحبه من المسلمين وقيل أن عددهم زاد عن أربعين مسلما ومسلمة، وكان سبب اختيار النبي ﷺ لدار الأرقم أن الأرقم فتى صغير لم يشتهر إسلامه، وهو من قبيلة مخزوم التي حملت لواء الحرب ضد بني هاشم، ولأن عمر الأرقم كان تحت العشرين بأربع سنوات عند إسلامه؛ فإن قريشا لن تبحث في بيوت الصغار عن النبي ﷺ وأصحابه الكرام، وإنما تبحث عنهم في بيت النبي ﷺ أو في بيوت أصحابه وكبار القوم ممن أسلموا واتبعوه ﷺ؛ لذا كان اختيار النبي موفقا حكيما فصارت دار الأرقم بن أبي الأرقم مَعْقِلا لاجتماع النبي ﷺ بالمسلمين ولتبليغ الدعوة والوحي، وتلاوة ما نزل من القرآن ونشر الدين.

وكان قد أسلم من القرشيين غير الأرقم بن أبي الأرقم ومَن ذكرتُهم:

* عائشة بنت أبي بكر (وهي يومئذ صغيرة) وأسماء بنت أبي بكر وخباب بن الأرت التميمي وسعيد بن زيد العدوي، وجعفر بن أبي طالب، وامرأته أسماء بنت

عميس، وخالد بن سعيد بـن العـاص، وعثمـان بـن مظعـون مع أخويـه، وأسـلمت فاطمة بنت الخطاب وعبيدة بن الحارث، وحطاب بن الحارث وامرأته فكيهة بنت يسـار، وأبـو سـلمة بـن عبـد الأسـد المخزومـي، وأم سـلمة، وأبـو عبيـدة عـامر بـن الجراح، وخالد بن سعيد بن العاص، وامرأته أمينة بنت خلف، ونُعَيم بـن عبـد الله، والمطلب بن أزهر، وامرأته رملة بنت أبي عوف، والسائب بن عثمـان بـن مظعـون، ومَعْمَرُ بن الحارث، وعيَّاش بن أبي ربيعـة، وامرأتـه أسـماء بنـت سـلامة التميميـة، وخُنَيْس بن حُذَافة بن قيس بـن عَـدِي، وسَـليط بـن عمـرو بـن عبـد شـمس، وأخـوه حاطب بن عمرو.

* ومن غير القرشيين أسلم عبد الله بن جحش الأسـدي وأخـوه، وبـلال بـن ربـاح، وعامر بن فهيرة مـولى أبـي بكـر الصـديق، وعمـار بـن ياسـر ووالـداه، ومسـعود بـن ربيعة، وصهيب بـن سـنان الرومـي، وعبـد الله بـن مسـعود الهـذلي، وأم أيمـن بركـة الحبشية.

* وورد في سيرة ابن هشام: «ثم أسلم أبو عبيدة بن الجراح من بني فهر، وأبو سلمة بن عبد الأسد بن مخزوم، والأرقم بن أبي الأرقم بن مخزوم، وعثمان بن مظعون من بني جمح، وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون، وعبيدة بن الحارث بن المطلب من بني عبد مناف، وسعيد بن زيد من بني عدي، وامرأته فاطمة بنت الخطاب من بني عدي، وأسماء بنت أبي بكر، وعائشة بنت أبي بكر وهي يومئذ صغيرة، وخباب بن الأَرَتّ حليف بني زهرة». (١)

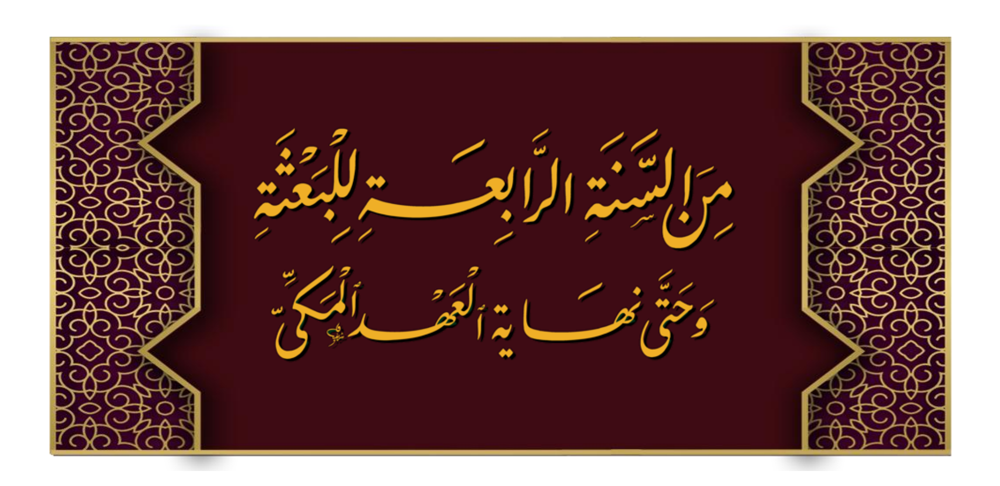
وذكر الذهبي خمسين صحابيا وصحابية هم السابقون الأولون للإسلام. (٢)

رضي الله عنهم جميعا وعن كل صحابة سيدنا رسول الله ﷺ وآل بيته الكرام الأطهار، وأرضاهم.




(١) (سيرة ابن هشام، ج ١/ ص: ٤٣٢).

(٢) (سير أعلام النبلاء، ج١ / ص: ١٤٤).


من السنة الرابعة للبعثة
وحتى نهاية العهد المكي





المعنى: في السنة الرابعة للبعثة أشرق نهار الدعوة الجهرية وجاء الأمر من المولى عز وجل بتكليف النبي ﷺ بالجهر بدعوته في قول الله تعالى ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: ٢١٤]

تَنَسَّمْ من عبير سيرته ما يلي:

* لمَّا استجاب رسول الله ﷺ للأمر الإلهي بعد نزول الوحي بالجهر بالدعوة ودعا قومه للإسلام وصدع به لم يردوا عليه في بادئ الأمر حتى ذكر آلهتهم، فلما فعل ذلك أجمعوا على عداوته إلا من هداهم الله للإسلام.

* وعطف وحَدبَ على رسول الله ﷺ عمه أبو طالب ورفق به، ودافع عنه، ومضى رسول الله ﷺ داعيا لدين الله لا يرده عنه شيء، ولما رأت قريش ذلك أنكروه عليه، ورأوا أن عمه أبا طالب قد قام دونه، ولم يسلمه لهم، ثم ذهب رجال من أشرافهم إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه، فقال لهم أبو طالب قولًا ليِّنًا، وردهم ردًّا جميلًا، فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله ﷺ يدعو إلى الله ويجابه الباطل علنًا، فاشتعلت قريش غضبا، وحض بعضهم بعضًا عليه، ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى وطلبوا منه مثلما طلبوا في المرة الأولى، ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب قومه وعداوتهم، ولم يرض بإسلام النبي ﷺ ولم يرض كذلك بالتخلي عنه أو أن يمسه أذى قريش.

* **وقال ابن عباس لما نزلت:** ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: ٢١٤] خـــرج رسول الله - ﷺ - فصعد على الصفا فهتف: يا صباحاه ! فاجتمعوا إليه

فقال: يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف! فاجتمعوا إليه. فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبا لك! أما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [سُورَةُ المَسَدِ: ١].

* **وقال جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم**: لما أنزل الله على رسوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]، اشتد ذلك عليه وضاق به ذرعا، فجلس في بيته كالمريض، فأتته عماته يعدنه، فقال: ما اشتكيت شيئا، ولكن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين. فقلن له: فادعهم ولا تدع أبا لهب فيهم فإنه غير مجيبك. فدعاهم - ﷺ - فحضروا ومعهم نفر من بني المطلب بن عبد مناف، فكانوا خمسة وأربعين رجلا، فبادره أبو لهب وقال: هؤلاء هم عمومتك وبنو عمك، فتكلم ودع الصباة، واعلم أنه ليس لقومك في العرب قاطبة طاقة، وأن أحق من

أخذك فحسبك بنو أبيك، وإن أقمت على ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش وتمدهم العرب، فما رأيت أحدا جاء على بني أبيه بشر مما جئتهم به. فسكت رسول الله - ﷺ - ولم يتكلم في ذلك المجلس.

ثم دعاهم ثانية وقال: " الحمد لله، أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له "، ثم قال: " إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبدا والنار أبدا ".

فقال أبو طالب: ما أحب إلينا معاونتك وأقبلنا لنصيحتك وأشد تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنما أنا أحدهم، غير أني أسرعهم إلى ما تحب، فامض لما أمرت به فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب.

فقال أبو لهب: هذه والله السوأة! خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم.

فقال أبو طالب: والله لنمنعنه ما بقينا. (١)

* وازدادت محاولات قريش مع أبي طالب لكفِّ النبي ﷺ عن دعوته، وأكثرت من ذكر النبي ﷺ ، وتنابذ القوم، واشتدت غضبتهم على الصحابة الذين دخلوا في الإسلام، وقامت كل قبيلة تعذب مَن أسلم فيها وتفتنهم في دين الله لتردهم عن الإسلام، وطغوا في ذلك، وضرب السابقون الأولون أروع الأمثلة في الصبر والثبات على ما ذاقوا من فتنة وعذاب.

* ومنع الله رسوله بعمه أبي طالب، وقام أبو طالب في بني هاشم فدعاهم إلى منع رسول الله - ﷺ - فأجابوا إلى ذلك، واجتمعوا إليه إلا ما كان من أبي لهب؛ فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره، أقبل يمدحهم ويذكر فضل رسول الله - ﷺ - فيهم. وقد مشت قريش إلى أبي طالب عند موته وقالوا له: أنت كبيرنا وسيدنا، فأنصفنا من ابن أخيك، فمره فليكف عن شتم آلهتنا، وندعه وإلهه. فبعث إليه أبو

(١) الكامل لابن الأثير (ج١/ ص ٦٦٠)

طالب، فلما دخل عليه قال له: هؤلاء سروات قومك يسألونك أن تكف عن شتم آلهتهم، ويدعوك وإلهك. قال له رسول الله ﷺ: " أي عم! أولا أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها، كلمة يقولونها تدين لهم بها العرب ويملكون رقاب العجم؟ " فقال أبو جهل: ما هي وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها؟ قال: تقولون لا إله إلا الله، فنفروا وتفرقوا وقالوا: سل غيرها. فقال: " لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها ". قال: فغضبوا وقاموا من عنده غضابى وقالوا: والله لنشتمنك وإلهك الذي يأمرك بهذا! ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾ [سُورَةُ صٓ: ٦-٧]، وأقبل على عمه فقال: " قل كلمة أشهد لك بها يوم القيامة ". قال: لولا أن تعيبكم بها العرب وتقول: جزع من الموت لأعطيتكها

، ولكن على ملة الأشياخ، فنزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [سُورَةُ القَصَصِ: ٥٦].(١)

أساليب قريش للقضاء على الدعوة:

* زادت قريش من حِيَلِها لإحباط الدعوة الغرّاء بالسخرية ورميِ النبي ﷺ بالتُّهَمِ كالسحر، ومن تكذيبها له وطعنها في كلامه وتحقيرها لدعوته، وتفننت في نشر الشبهات؛ فمن جملة ذلك قولها الباطل بأن القرآن افتراء واختلاق وأساطير للأولين، وأضغاث أحلام، والادعاءات الزائفة كاتهامه بالجنون تارة، وتارةً بأنه شاعر وتارة بنزول الجن عليه كالكُهَّان، كما تفننت بالمكر في أن تحيل بين الأسماع وبين القرآن.

* قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾﴾ [سُورَةُ الحِجرِ: ٦]

* وقال تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ

---

(١) الكامل لابن الأثير (ج١/ ص: ٦٣٣)

كَذَّابٌ ﴿٤﴾ [سُورَةُ صٓ: ٤]

* وقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٥﴾ [سُورَةُ الفُرقَانِ: ٥]

* وخابت قريش وخابت مساعيها وحيلها لما رد الله سبحانه وتعالى في القرآن على كل شبهاتهم واتهاماتهم فما كان حول التوحيد واليوم الآخر والبعث تولى سبحانه بيانه وضرب الأمثلة في القرآن التي تثبت للعقل والمنطق وحدانيته وعجز أصنامهم التي يطلقون عليها جهلا وكفرا آلهة، كما دافع سبحانه وتعالى عن نبيه ﷺ وزكّاه وهم يعرفون أنه الصادق الأمين، وما كان لهم أن يتعجبوا من نوال شرف الرسالة ليتيم وهم كبراء مكة لأن ذلك من رحمة الله التي يقسمها كيف يشاء وله في ذلك حكمة بالغة والتي منها أن جعله يمشي في الأسواق كباقي الناس وليس بملك ولا صاحب كنز يتبعه الخدم ويمنعون عن موكبه الخلائق؛ وذلك لتصل رسالته لجميع الناس غنيهم وفقيرهم قويهم وضعيفهم، كما ردّ استنكارهم لبشريته بأنهم يعلمون أن موسى بشر رسول وإبراهيم بشر رسول، ويعترفون

بذلك، فلا حجة لنكرانهم اصطفاء النبي ﷺ بالرسالة، ولم يدع الله سبحانه وتعالى في القرآن حجةً لهم إلا وأبطلها بما يشبع العقول المنصفة منطقا وعلما ونورا، وحكمة، وإيمانا وتصديقا.

تعذيب قريش للمستضعفين:

* بعدما قضت قريش شهورا في محاولاتها الآثمة لمجابهة الدعوة بالشبهات والادعاءات الكاذبة وباءت بالخزي وأخرس ألسنتهم الحق في القرآن هرولت لتعذيب المستضعفين لتفتنهم عن دينهم وتخيف غيرهم، ولقد حفظ التاريخ صور تعذيبها للضعفاء واضطهاد كفارها للمسلمين.

* **قال ابن إسحاق:** ثم إنهم عدوا على من أسلم، واتبع رسول الله- ﷺ - من أصحابه، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر، من استضعفوا منهم، يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يصلب لهم، ويعصمه الله منهم.

تعذيب بلال رضي الله عنه وعتقه:

وكان بلال مولى أبي بكر رضي الله عنهما ، لبعض بني جمح، مولَّدا من مولديهم، وهو بلال بن رباح، وكان اسم أمه: حمامة، وكان صادق الإسلام طاهر القلب، وكان أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح يخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى؛ فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد.

* **وقال ابن إسحاق**: وحدثني هشام بن عروة عن أبيه، قال: كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك، وهو يقول: أحد أحد، فيقول: أحد، أحد والله يا بلال، ثم يقبل على أمية بن خلف، ومن يصنع ذلك به من بني جمح، فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حنانا، حتى مر به أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يوما، وهم يصنعون ذلك به، وكانت دار أبي بكر في بني جمح، فقال لأمية بن خلف: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟! حتى متى؟ قال: أنت الذي أفسدته، فأنقذه مما

ترى، فقال أبو بكر: أفعل عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى، على دينك، أعطيكه به، قال: قد قبلت فقال: هو لك. فأعطاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه غلامه ذلك وأخذه فأعتقه، ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب، بلال سابعهم: عامر بن فهيرة، شهد بدرا وأحدا، وقتل يوم بئر معونة شهيدا، وأم شميس وزنيرة، وأصيب بصرها حين أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى؛ فقالت: كذبوا– وبيت الله– ما تضر اللات والعزى، وما تنفعان، فرد الله بصرها.

وأعتق النهدية وبنتها، وكانتا لامرأة من بني عبد الدار، فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها، وهي تقول: والله لا أعتقكما أبدا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: حلا يا أم فلان، فقالت: حل، أنت أفسدتهما فأعتقهما؛ قال: فبكم هما؟ قالت: بكذا وكذا، قال: قد أخذتهما وهما حرتان، أرجعا إليها طحينها، قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر، ثم نرده إليها؟! قال: وذلك إن شئتما).(١)

---

(١) الروض الأنف (ج٣/ ص١٩٩، ٢٠٠)

ومن صور التعذيب أن أم مصعب بن عمير لما علمت بإسلامه منعته الطعام والشراب، وأخرجته من بيته بعد أن كان مُنَعَّم العيش فتَخَشَّف جلده، وكذلك عذبت قريش أم عُبَيس جارية بني زهرة، وعُذِّبَت جارية عمر بن مؤمل وغيرهم، واشترى أبو بكر العبيد والجواري وأعتقهم، فنزل فيه قول الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ [سُورَةُ اللَّيلِ: ١٧-٢١]

وفي صحيح الحاكم عن ابن الزبير "قال: قال أبو قحافة لأبي بكر: أراك تعتق رقابا ضعافا فلو أنك إذا فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك فقال أبو بكر: يا أبت إني إنما أريد ما أريد قيل: وإنما أنزلت هذه الآيات فيه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥﴾ [الليل:٥] إلى آخر السورة".(١)

* **وقال ابن إسحاق:** وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر، وبأبيه- وأمه-

---

(١) (لطائف المعارف: ص٢٤١) وروي من وجه آخر عن ابن الزبير وخرجه الإسماعيلي ولفظه: أن أبا بكر كان يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال له أبو قحافة: يا بني لو ابتعت من يمنع ظهرك فقال: يا أبت منع ظهري أريد ونزلت فيه: {وسيجنبها الأتقى} [الليل:١٧] إلى آخر السورة.

وكانوا أهل بيت إسلام- إذا حميت الظهيرة، يعذبونهم برمضاء مكة، فيمر بهم رسول الله- ﷺ - فيقول، فيما بلغني: صبرا آل ياسر، موعدكم الجنة. فأما أمه فقتلوها، وهي تأبى إلا الإسلام.

وكان أبو جهل الفاسق الذي يغري بهم في رجال من قريش، إذا سمع بالرجل قد أسلم، له شرف ومنعة أنبه وأخزاه وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك: لنسفهن حلمك ولنفيلن رأيك، ولنضعن شرفك، وإن كان تاجرا، قال: والله لنكسدن تجارتك، ولنهلكن مالك، وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به.

* **وقال ابن إسحاق**: وحدثني حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير، قال: قلت لعبد الله بن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم، والله، إن كانوا ليضربون أحدهم، ويجيعونه، ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالسا من شدة الضر الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له، آللات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم، حتى إن الجعل ليمر بهم، فيقولون له: أهذا الجعل إلهك من

دون الله؟ فيقول: نعم، افتداء منهم مما يبلغون من جهده.

وفي رفض تسليم الوليد لتقتله قريش قال ابن إسحاق: وحدثني الزبير بن عكاشة بن عبد الله بن أبي أحمد أنه حدث أن رجالا من بني مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد، حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد، وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا، منهم: سلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة. قال: فقالوا له- وخشوا شرهم: إنا قد أردنا أن نعاقب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذي أحدثوا، فإنا نأمن بذلك في غيرهم. قال: هذا، فعليكم به. فعاتبوه وإياكم ونفسه. وأنشأ يقول:

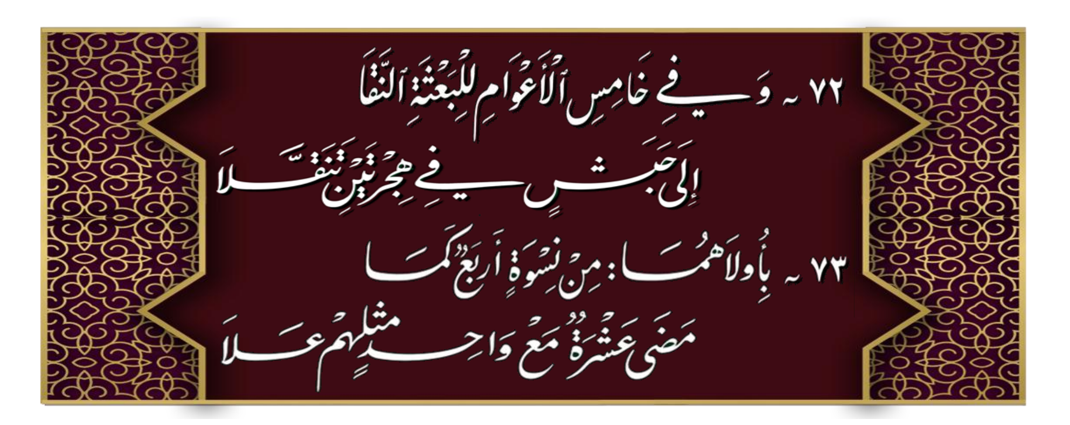
ألا لا يقتلن أخي عييش ... فيبقى بيننا أبدا تلاحي

احذروا على نفسه، فأقسم بالله لئن قتلتموه، لأقتلن أشرفكم رجلا، قال:

فقالوا: اللهم العنه. من يغرر بهذا الخبيث، فو الله لو أصيب في أيدينا لقتل أشرفنا رجلا. قال: فتركوه ونزعوا عنه. قال: وكان ذلك مما دفع الله به عنهم".(١)

(١) الروض الأنف (ج٣/ ٢٠٢)

الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة



المعنى: في السنة الخامسة للبعثة انتقل نقاء الصحابة المهاجرين معهم للحبشة وذلك في هجرتين للحبشة، وبأولاهما أي بالهجرة الأولى انتقل للحبشة أربع نساء وأحد عشر رجلا.

* بعد تفاقم اضطهاد قريش للمسلمين وبينما كان المسلمون في حيرة من أمرهم وتفكير فيما ينجيهم أنزل الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ١٠﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ: ١٠]

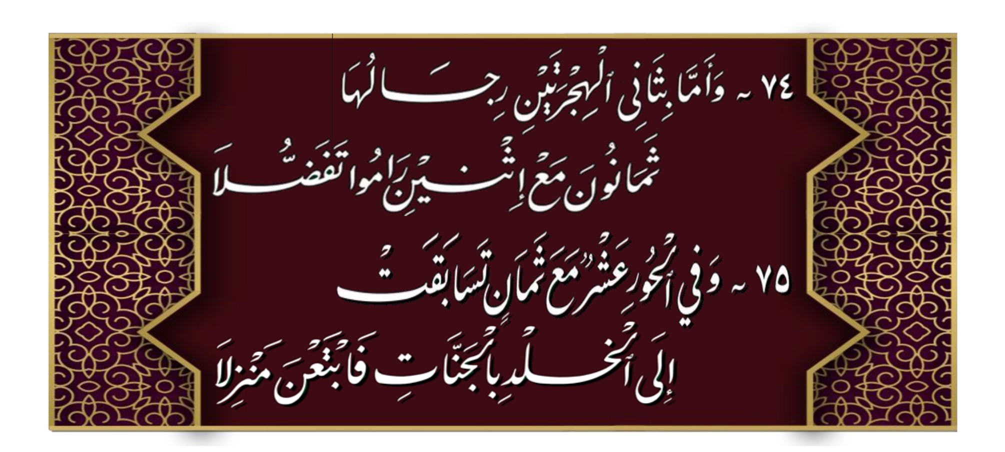
* وقد علم النبي ﷺ بعدل النجاشي ملك الحبشة فأمر بالهجرة إلى الحبشة

ليتجنب المسلمون الفتن والاعتداءات من كفار قريش، فخرجوا في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة في الليل خفيةً وركبوا في سفينتين تجاريتين للحبشة، وضمَّ هذا الفوج أربع نساء وأحد عشر رجلا وقيل اثني عشر رجلا يقودهم سيدنا عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكانت معه زوجته السيدة رقية بنت النبي ﷺ، وعن أنس بن مالك: "خرج عثمانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مهاجرا إلى أرضِ الحبشةِ ومعهُ ابنَةُ رسولِ اللهِ ﷺ فاحتبسَ على النبي ﷺ خبرهُم فكانَ يخرجُ يتوكفُ عنهُم الخبرَ، فقال النبي ﷺ: حماهُما، إن عُثمانَ لأوّلُ من هاجرَ إلى اللهِ بأهلِهِ بعد لُوطٍ ﷺ."(١)

* **قال ابن إسحاق**: فلما رأى رسول الله- ﷺ - ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله، ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله- ﷺ - إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفرارا إلى الله بدينهم؛ فكانت أول هجرة في الإسلام.

(١) ذخيرة الحفاظ (٣/ ١٢٧٣)

الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة



المعنى: بثاني الهجرتين إلى الحبشة هاجر اثنان وثمانون رجلا وقيل ثلاثة وثمانون رجلا، وتسابقت معهم ثماني عشرة امرأة بالهجرة للحبشة ابتغاء رضوان الله وطمعا في الجنة بالحفاظ على الدين وتحمل مشقة الهجرة فرارا من الفتن.

تَنَسَّمْ من نسائم سيرته عبير ما يلي:

* بعدما رجع المسلمون من الحبشة إلى مكة رجاء أن يعيشوا مع رسول الله ﷺ وبين قومهم وأهليهم سالمين وقيل إنهم ظنوا أن كفار قريش قد أسلموا لإشاعة انتشرت وقيل إن المشركين سجدوا مع النبي ﷺ فانتشرت هذه الإشاعة، وعندما

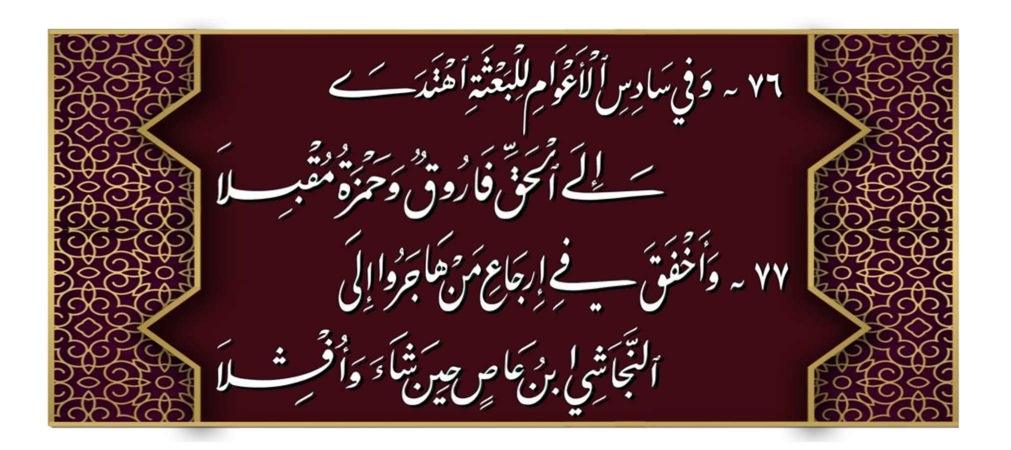
وصل المسلمون بالقرب من مكة عرفوا الحقيقة، ووجدوا قريشًا أشد وأغلظ على المسلمين مما كان، فرجع بعضهم للحبشة، ودخل بعضهم لمكة مستخفيًا، أو في جوار أحد المشركين، ثم زاد المشركون في تعذيب المهاجرين العائدين وتعذيب كل المسلمين؛ فأشار النبي ﷺ على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرة أخرى، فلهم عند ملِكها النجاشي أمن ورحمة، وحسن ضيافة وعدل، ولا يظلم عنده أحد كما قال النبي ﷺ .

* واستجاب المسلمون وهاجروا مرة ثانية للحبشة، وكانت الهجرة في هذه المرة أشق من المرة الأولى؛ لترقب قريش لها وعزمها على إفشالها وإحباطها، ولأن المسلمين كانوا قد أحسنوا التخطيط لها بتيسير وتدبير الله لهم السفر نجحوا في هجرتهم، وانحازوا إلى نجاشي الحبشة قبل أن تدركهم قريش، وفي هذه المرة هاجر من الرجال اثنان وثمانون رجلاً، وقيل ثلاثة وثمانون رجلا، وثماني عشرة امرأة.

❋ وكما اغتنم المسلمون في الهجرة الأولى من خير للإسلام والمسلمين ففي هذه الهجرة كان الخير أضعافا، وتضاعف عددهم وتوسع نشر الدعوة، ووجدوا أرض الحبشة التي أَمِنوا فيها على أنفسهم ودينهم منبرا للدعوة الإسلامية ووطنًا لكل مهاجر ومضطهد من المسلمين، فكان ذلك سببا من الأسباب التي يسرها الله لتأييد المسلمين ونصرة دينه وجنده.

 إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما 



المعنى: في سادس الأعوام من البعثة: اهتدى للحق وأسلم حمزة بن عبد المطلب والفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - فأيَّد الله وأعزَّ الإسلام بهما، وفشل ابن العاص في إرجاع من هاجروا للنجاشي في الحبشة.

تَنَسَّمْ من نسائم سيرته عبيرَ ما يلي:

* في ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب عم النبي - صلى الله عليه وسلم - قال يونس بن بكير : عن محمد بن إسحاق حدثني رجل من أسلم وكان واعية أن أبا جهل اعترض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند الصفا، فآذاه وشتمه، ونال منه ما يكره من العيب لدينه،

فذكر ذلك لحمزة بن عبد المطلب فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس

فضربه بها ضربة شجه منها شجة منكرة، وقامت رجال من قريش من بني مخزوم

إلى حمزة؛ لينصروا أبا جهل منه، وقالوا : ما نراك يا حمزة إلا قد صبأت. قال

حمزة : ومن يمنعني وقد استبان لي منه، وأنا أشهد أنه رسول الله - ﷺ - وأن

الذي يقول حق ، فوالله لا أنزع، فامنعوني إن كنتم صادقين. فقال أبو جهل: دعوا أبا

عمارة ؛ فإني والله لقد سببت ابن أخيه سبا قبيحا. فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن

رسول الله - ﷺ - قد عز وامتنع، فكفوا عما كانوا يتناولون منه، وقال حمزة في

ذلك شعرا.

* **قال ابن إسحاق:** ثم رجع حمزة إلى بيته، فأتاه الشيطان، فقال: أنت سيد قريش،

اتبعت هذا الصابئ، وتركت دين آبائك، للموت خير لك مما صنعت. فأقبل على

حمزة بثه، وقال: ما صنعت! اللهم إن كان رشدا فاجعل تصديقه في قلبي، وإلا

فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجا. فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان،

حتى أصبح فغدا على رسول الله – ﷺ – فقال يا بن أخي، إني قد وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه، وإقامة مثلي على ما لا أدري ما هو أرشد هو أم غي، شديد، فحدثني حديثا فقد اشتهيت يا بن أخي أن تحدثني. فأقبل رسول الله – ﷺ – فذكره ووعظه، وخوفه وبشره، فألقى الله في قلبه الإيمان بما قال رسول الله ﷺ. فقال: أشهد أنك الصادق شهادة الصدق، فأظهر يا بن أخي دينك، فوالله ما أحب أن لي ما أظلته السماء وأني على ديني الأول. فكان حمزة ممن أعز الله به الدين.

وهكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير به(١).

وكان النبي ﷺ قد دعا الله - عز وجل - للإسلام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لاشتهاره بالبأس والقوة قبل الإسلام ففي إسلامهما تأييد، وعزة، ومَنَعة للإسلام والمسلمين.

(١) البداية والنهاية (٨٣، ٨٤/ ج ٤)

وأسلم سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد ثلاثة أيام من إسلام حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وعن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: "اللهمَّ أعِزَّ الإسلامَ بأحبِّ هذين الرجُلين إليك بأبي جهلٍ أو بعمرَ بنِ الخطابِ". فكان أحبُّهما إلى اللهِ عمرَ بنَ الخطابِ (١).

* وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معروفا بحدة الطبع وقوة الشكيمة، وطالما لقي المسلمون منه ألوان الأذى، والظاهر أنه كانت تصطرع في نفسه مشاعر متناقضة، احترامه للتقاليد التي سنها الآباء والأجداد، واسترساله مع شهوات السكر واللهو التي ألفها، ثم إعجابه بصلابة المسلمين واحتمالهم البلاء في سبيل عقيدتهم، ثم الشكوك التي كانت تساوره- كأي عاقل- في أن ما يدعو إليه الإسلام قد يكون أجل وأزكى من غيره، ولهذا ما إن يثور حتى يخور. قاله محمد الغزالي (٢).

وأما النصوص المختلفة التي وردت في إسلام سيدنا عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فهي:

(١) تخريج المسند لشاكر (٨/ ٦٠)، صحيح، أخرجه الترمذي (٣٦٨١)، وأحمد (٥٦٩٦) واللفظ له.

(٢) فقه السيرة، ص ٩٢، ٩٣.

النص الأول:

* روي عن عمر بن الخطاب ﵁ أنه قال: خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، فقرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝٤١﴾، فقلت: كاهن، فقال: ﴿وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٣ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٠ – ٤٧] إلى آخر السورة، فوقع الإسلام في قلبي كل موقع(١).

النص الثاني:

* قال عمر بن الخطاب ﵁: كنت للإسلام مباعدًا، وكنت صاحب خمر في

(١) رواه أحمد: المسند (١/ ١٧). ابن عساكر: تاريخ دمشق ص٢٤، وابن الأثير: أسد الغابة٥٣/ ٤ – ٥٤، وابن كثير: مسند الفاروق٢/٦١٨، وابن حجر: الإصابة ١/ ٢٤٤

الجاهلية أحبها وأسر بها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة (من أسواق مكة) عند دور آل عمر بن عبد الله بن عمران المخزومي، قال: فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك في مجلسهم ذلك، فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحدًا، فقلت: لو أني جئت فلانًا الخمار وكان بمكة يبيع الخمر، لعلي أجد عنده خمرًا فأشرب منها، فخرجت فجئته فلم أجده، فقلت: لو أني جئت الكعبة فطفت بها سبعًا أو سبعين، فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي، وكان إذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام (كان ﷺ يصلي قبل أن تفرض عليه الصلوات الخمس صلاة بالغداة وصلاة بالعشي)، وكان مصلاه بين الركنين: الركن الأسود، والركن اليماني، فقلت حين رأيته: والله لو أني استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول، فقلت: لئن دنوت منه أستمع منه لأروعنه، فجئت من قبل الحِجْر، فدخلت تحت ثيابها فجعلت أمشي رويدًا، ورسول الله ﷺ قائم يصلي يقرأ القرآن حتى قمت في قبلته مستقبله ما بيني وبينه إلا

ثياب الكعبة، فلما سمعت القرآن رق له قلبي، فبكيت، ودخلني الإسلام، فلم أزل قائمًا في مكاني ذلك حتى قضى رسول الله ﷺ صلاته، ثم انصرف، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن حسين، وكانت طريقه حتى يجزع (يقطعه) المسعى ثم يسلك بين دار عباس بن عبد المطلب، وبين دار ابن أزهر بن عبد عوف الزهري، ثم على دار الأخنس بن شريق حتى يدخل بيته، وكان مسكنه في الدار الرقطاء التي كانت بيدي معاوية بن أبي سفيان قال عمر: فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ودار أزهر أدركته، فلما سمع رسول الله ﷺ حسي عرفني، فظن رسول الله ﷺ أني إنما تتبعته لأوذيه، فنهمني (توعَّد وزجر)، ثم قال: "ما جاء بك يابن الخطاب هذه الساعة"؟ قلت: جئت لأومن بالله ورسوله، وبما جاء من عند الله، فحمد الله رسول الله ﷺ ثم قال: "هداك الله يا عمر"، ثم مسح صدري، ودعا لي بالثبات، ثم انصرفت عن رسول الله ﷺ ودخل رسول الله ﷺ بيته (١).

(١) ابن هشام: السيرة النبوية ١: ٤٢٧،٤٢٨. ابن عساكر: تاريخ دمشق ص٢٥.

النص الثالث:

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خرج عمر متقلدًا السيف، فلقيه رجل من بني زهرة (في رواية ابن إسحاق: نعيم بن عبد الله النحام)، قال: أين تعمد يا عمر؟ فقال: أريد أن أقتل محمّدًا، قال: وكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة (أخوال رسول الله)، وقد قتلت محمدًا؟ فقال عمر: ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذي أنت عليه، قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر؟ إن ختنك (وهو زوج أخت عمر فاطمة، سعيد بن زيد) وأختك قد صبوا وتركا دينك الذي أنت عليه، فمشى عمر ذامرًا حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب، فلما سمع خباب حس عمر توارى في البيت، فدخل عليهما، فقال: ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم؟ وكانوا يقرأون (طه) فقالا: ما عدا حديثًا تحدثناه بيننا قال: فلعلكما قد صبوتما، فقال له خَتَنُهُ: أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟ فوثب عمر على خَتَنِهِ، فوطئه وطئًا شديدًا، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فنفحها (ضربها) بيده

نفحة، فدمي وجهها، فقالت وهي غضبى: يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟! أتشهد أن لا إله إلا الله وتشهد أن محمدًا رسول الله؟ فلما يئس عمر قال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه، وكان عمر يقرأ الكتب فقالت أخته: إنك رجس، ولا يمسه إلا المطهرون، قم فاغتسل أو توضأ، فقام عمر ثم أخذ الكتاب، فقرأ ﴿طه ۝١﴾ حتى انتهى إلى قوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤﴾ [طه: ١٤]، فقال: دلوني على محمد، فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال: أبشر يا عمر، فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ ليلة الخميس: "اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام"، قال: ورسول الله ﷺ في الدار التي في أصل الصفا (هي دار الأرقم بن أبي الأرقم). فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى باب الدار حمزة وطلحة، وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما رأى حمزة وَجل القوم من عمر، قال: نعم فهذا عمر، فإن يرد الله بعمر خيرًا يسلم، ويتبع النبي ﷺ، وإن غير ذلك يكن قتله علينا هيِّنًا، والنبي

ﷺ داخل يومىء إليه، فخرج رسول الله ﷺ حين أتى عمر، فأخذ بمجامع ثوبه، وحمائل السيف (صدر السيف وأضلاعه) فقال: "أما أنت منتهيًا يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة، اللهم هذا عمر بن الخطاب، اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب"، فقال عمر: أشهد أنك رسول الله، فأسلم وقال: أخرج يا رسول الله(١).

النص الرابع:

* كالنص السابق لكن فيه أن عمر رضي الله عنه لما ضرب أخته وقرأ الصحيفة التي معها فإذا فيها: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ①﴾ حتى بلغ ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ١-٧].(٢)

(١) رواه ابن إسحاق، السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٢٣- ٤٢٦. ابن سعد: الطبقات ٣/ ٢٦٧-٢٦٩. ابن شبه: تاريخ المدينة٢/ ٢٢٢ -٢٢٤.

(٢) رواه البزار: المسند ١/ ٤٠٠- ٤٠٣، ابن عساكر: تاريخ دمشق ص٢٧- ٢٩، ابن الأثير: أسد الغابة ٤/ ٥٤، ٥٥.

النص الخامس:

* فيه أن عمر رضي الله عنه لما دخل على أخته وضربها حتى ظن أنه قتلها ثم قام من السَحَر فسمع صوتها تقرأ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾، فقال: والله ما هذا بشعر ... إلى آخره.(١)

النص السادس:

* وفيه أن قريشًا اجتمعوا فقالوا: من يدخل على هذا الصابئ، فيرده عما هو عليه فيقتله؟ فقال عمر بن الخطاب: أنا، فأتى العين رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن عمر يأتيك فكن منه على حذر، فلما أن صلى رسول الله ﷺ صلاة المغرب، قرع عمر الباب، وقال افتحي يا خديجة: فلما دنت قالت: من هذا، قال: عمر، قالت: يا نبي الله هذا عمر، فقال من عنده من المهاجرين وهم تسعة صيام وخديجة عاشرهم: ألا نشتفي يا رسول الله، فنضرب عنقه؟ قال: "لا"، ثم قال: "اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب"، فلما دخل قال: ما تقول يا محمد؟ قال: "أقول أن شهد

---

(١) رواه الطبراني: المعجم الكبير ٢/ ٩٧.

أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وتؤمن بالجنة والنار، والبعث بعد الموت" فبايعه وقبل الإسلام، وصبوا عليه الماء حتى اغتسل، ثم تعشى مع رسول الله ﷺ وبات يصلي معه، فلما أصبح اشتمل على سيفه ورسول الله ﷺ يتلوه، والمهاجرون خلفه حتى وقف على قريش وقد اجتمعوا، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، فتفرقت حينئذ قريش من مجالسها (١).

إيذاء قريش لعمر بن الخطاب بعد إسلامه

* وبعد دخول عمر رضي الله عنه في الإسلام جهر بدينه على ملأ قريش، قال ابن عمر رضي الله عنهما: لما أسلم أبي قال: أي قريش أنقل للحديث؟ فقيل له: جميل بن معمر الجمحي، فغدا عليه فغدوت أتبع أثره، وأنظر ما يفعل وأنا غلام أعقل كل ما رأيت حتى جاءه، فقال له: أعلمت يا جميل أني قد أسلمت، ودخلت دين محمّد؟ قال: فوالله ما رجعه حتى قام يجر رداءه، واتبعه عمر، واتبعت أبي حتى إذا قام على باب

(١) رواه ابن عساكر: تاريخ دمشق ص٣٢،٣١.

المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش -وهم في أنديتهم حول الكعبة- ألا إن عمر قد صبا (صبأ وغيَّر دينه)، وعمر خلفه يقول: كذب، ولكني أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله. وبعد إعلان عمر رضي الله عنه إسلامه وعلم قريش بذلك قامت قريش إلى عمر فضربوه وضربهم وقاتلوه وقاتلهم حتى قامت الشمس على رؤوسهم، وتعب عمر رضي الله عنه فكف عنهم وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم، أو تركتموها لنا.

* ولقد كان في شيوخ قريش ورجالاتها من يتصف بصفات حميدة كإغاثة الملهوف وحماية المظلوم ورفع الظلم والوفاء بالعهود والمواثيق مع تمسكهم بوثنيتهم وشركهم، ولم يكن ذلك دينًا فيهم، وإنما كان في كثيرٍ من الأحيان حمية وعصبية، فقد مر بعمر رضي الله عنه وهو يُضرب شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى (برد يماني)، حتى وقف عليهم، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمر. فقال: فمه، رجل اختار لنفسه أمرًا فماذا تريدون؟ أترون بني عدي بن كعب يسلمون لكم

صاحبكم هكذا؟! خلوا عن الرجل، قال: فوالله لكأنما كانوا ثوبًا كشط عنه، قال ابن عمر رضي الله عنهما لأبيه بعد هجرتهما: يا أبت من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت، وهم يقاتلونك؟ فقال: أي بني، العاص بن وائل السهمي.

غير أن تذكير ذلك الشيخ قريشًا بمنزلة عمر وقبيلته وحثه قريشًا على ترك عمر وشأنه لم يمنع قريشًا من ملاحقة عمر رضي الله عنه فيما بعد، وخوف عمر رضي الله عنه على نفسه منهم، قال ابن عمر رضي الله عنه: بينما عمر رضي الله عنه في الدار خائفًا، إذ جاءه العاص بن وائل السهمي أبو عمرو عليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير، وهو من بني سهم وهم حلفاؤنا في الجاهلية، فقال: ما بالك؟ قال: زعم قومك أنهم سيقتلونني إن أسلمت، قال: لا سبيل إليك، وبعد أن قالها أمنت فخرج العاص فلقي الناس قد سال بهم الوادي، فقال: أين تريدون؟ فقالوا: نريد هذا ابن الخطاب الذي صبأ، قال: لا سبيل إليه، فكرَّ الناس (١).

---

(١) رواه البخاري: الصحيح ٢/ ٣٢٣. السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٢٨ ـ٤٣٠، البلاذري: أنساب الأشراف ص٤٢،٤٣. وهو صحيح من رواية ابن إسحاق.

* وكان إسلام عمر رضي الله عنه فيما روي بعد تسعة وثلاثين رجلًا، وقيل: إن إسلامه كان بعد أربعين رجلًا، وقيل: بعد خمسة وأربعين رجلًا. وأمّا عدد النساء اللاتي سبقن عمر بالإسلام فقيل إنهن إحدى عشرة امرأة. وقيل إحدى وعشرين(١).

* وقد ذكر ابن إسحاق في رواية أن إسلام عمر رضي الله عنه كان بعد الهجرة الثانية إلى الحبشة. لذلك قال ابن كثير رحمه الله بعد أن ذكر إسلام عمر كان بعد الهجرة الثانية للحبشة: "وهذا يرد قول من زعم أنه (أي: إسلام عمر) كان تمام أربعين من المسلمين، فإن المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين، اللهم إلا أن يقال: إنه كان تمام الأربعين بعد خروج المهاجرين". ولعلّ مما يؤيّد كلام ابن كثير رحمه الله قول ابن إسحق رحمه الله بعد ذكره لأسماء المهاجرين إلى الحبشة وهم ثلاثة وثمانون رجلًا. ثم ذكر إسلام عمر رضي الله عنه فقال: "وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة"(٢).

(١) رواه الإطرابلسي: فضائل الصحابة ص١٢٩،١٢٧، الطبراني: المعجم الكبير ١/ ٣٠٦، ابن أبي شيبة: المصنف ٣٤٠، البلاذري: أنساب الأشراف، ص١٣٦. ابن سعد: الطبقات ٣/ ٢٦٩، ابن شبه: تاريخ المدينة٢/ ٢٢٥، الطبري: التاريخ ٢/ ٥٦٥.

(٢) ابن كثير: السيرة النبويّة ٢/ ٣٣، ٤٠٨، ٤٢٢.

* وكان في إسلام عمر رضي الله عنه عز ورفعة ومنعة للإسلام والمسلمين؛ وذلك لمنزلته العالية وشخصيته المهيبة في أوساط المجتمع الجاهلي. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر. وروي عن صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه أنه قال: لما أسلم عمر ظهر الإسلام ودعي إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقًا، وطفنا بالبيت وانتصفنا ممن غلظ علينا. وروي كذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما أسلم عمر قال المشركون: اليوم انتصف القوم منا (١).

* وروي أن عمر رضي الله عنه لما أسلم في دار الأرقم خرج المسلمون بعد إسلامه من الدار وطافوا بالبيت ظاهرين وهم يكبرون. وجاء في رواية أخرى: أن عمر رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسلم: يا رسول الله علام نخفي ديننا ونحن على الحق، ويظهر دينهم وهم على الباطل، فخرج عمر، فطاف بالبيت ثم مر بقريش وهي تنتظره، فقال أبو جهل: زعم فلان إنك صبوت، فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله

(١) البخاري: الصحيح ٢/ ٢٩٤، ابن أبي شيبة: المصنف ٦/ ٣٥٤. ابن سعد: الطبقات ٣/ ٢٦٩، ابن شبه: تاريخ المدينة ٢/ ٢٥٥، البلاذري: أنساب الأشراف ١٤٤،١٤٥. الطبراني: المعجم الكبير ١١/ ٢٥٥.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فوثب المشركون إليه، فوثب على عتبة بن ربيعة، فبرك عليه، فجعل يضربه، وأدخل إصبعيه في عينيه، فجعل عتبة يصيح، فتنحى الناس عنه، فخرج رسول الله ﷺ وخرج عمر أمامه وحمزة بن عبد المطلب حتى طاف بالبيت وصلى الظهر معلنًا، ثم انصرف رسول الله ﷺ.

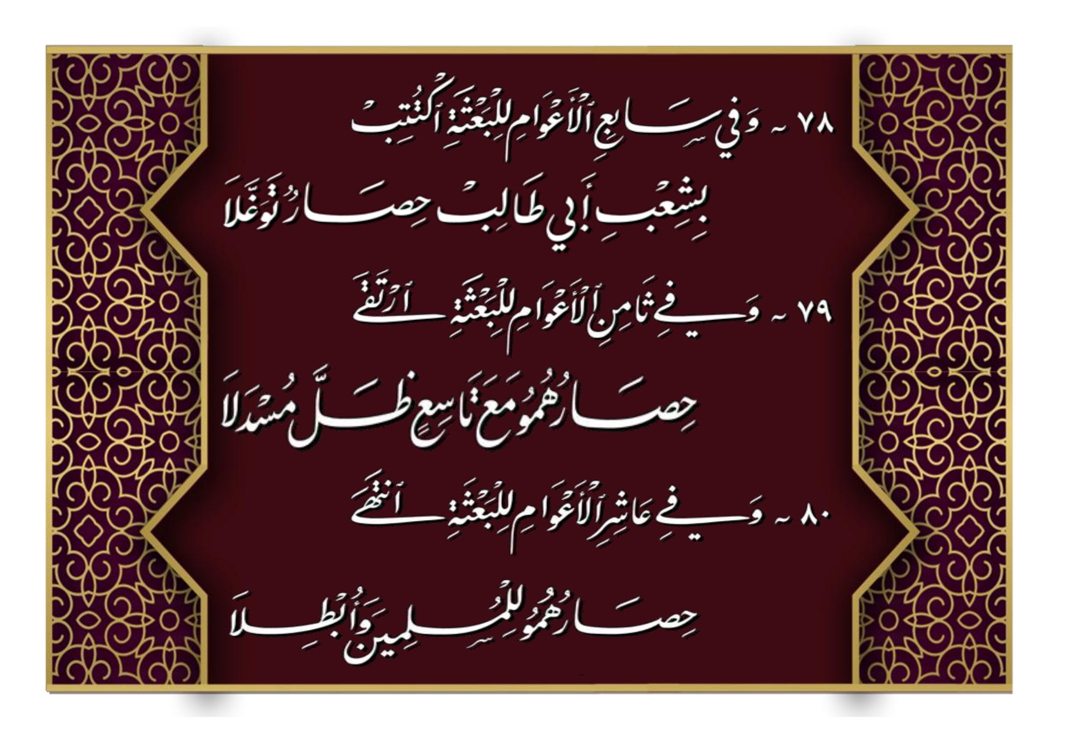
وكانت تلك العزة بإسلام عمر استجابة من الله تعالى لدعوة نبيه ﷺ أن يعز الله دينه وينصره بأحب الرجلين إليه بأبي جهل أو عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وجاء في رواية أنه ﷺ قال: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو عامر بن الطفيل. وفي رواية أنه ﷺ دعا أن يعز الدين بعمر بن الخطاب خاصة. وروي أن النبي ﷺ دعا لعمر رضي الله عنه بعد إسلامه، وقال: "اللهم أخرج ما في صدره من غل، وأبدله له إيمانًا، ثلاث مرات، وضرب صدره بيده"(١).

(١) ابن سعد: الطبقات ٣/ ٢٤٢، ٢٦٧، ابن شبة: تاريخ المدينة ٢/ ٢٢٤، البزار: المسند٦/ ٥٧. الإطرابلسي: فضائل الصحابة ١٢٧،١٢٩. أحمد: فضائل الصحابة ١/ ٢٦٢، ٢٦٣، ابن ماجه: السنن ١/ ٣٩. الحاكم: المستدرك ٣/ ٨٤، ابن عساكر: تاريخ دمشق ص ٣٤،٣٥.



حصار المشركين للمسلمين



المعنى: في العام السابع للبعثة اشتد إيذاء المشركين للمسلمين بالحصار المادي والمعنوي وكتبوا صحيفةً وعلقوها في جوف الكعبة تنص على المقاطعة والحصار حتى يتم تسليم النبي ﷺ للقتل، ولما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شِعْبِهِ إما إيمانا من المؤمنين أو لحمية القرابة من الكفار حتى لا يلحقهم الذل إن سلّموا النبي ﷺ أو خلّوا بينه

وبين مشركي قريش، وخرج أبو لهب من بني هاشم إلى قريش وظاهرهم، وأقام المشركون هذا الحصار ثلاث سنين، ثم سعى في نقض تلك الصحيفة أقوامٌ من قريش على رأسهم هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث وأجابه مُطْعِمُ بن عَديّ وبعض من قريش، وأرسل الله على تلك الصحيفة الأرَضَة فأكلت جميع ما فيها إلا ذكر الله كما أخبر النبي ﷺ، وحصل الصلح في السنة العاشرة للبعثة ورجع بنو هاشم وبنو المطلب إلى مكة.

تَنَسَّمْ من نسائم سيرته ﷺ عبيرَ ما يلي:

* قد تضاعف إيذاء المشركين من قريش أمام انتشار الدعوة وصبر النبي ﷺ والمسلمين معه وحاصر المشركون المسلمين ماديا ومعنويا وآذوهم حتى بلغ الأذى منتهاه.

* وقد ذكر ابن كثير مخالفة قبائل قريش بني هاشم وعبد المطلب في نصر رسول الله ﷺ وتحالفهم فيما بينهم عليهم، على أن لا يبايعوهم ولا يناكحوهم حتى يسلِّموا إليهم رسول الله ﷺ، وحصرهم إياهم في شعب أبي طالب مدة

طويلة، وكتابتهم بذلك صحيفة ظالمة فاجرة، وما ظهر في ذلك كله من آيات النبوة ودلائل الصدق فقال: قال موسى بن عقبة عن الزهري: ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد، واشتد عليهم البلاء، وجمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله ﷺ علانية.

* فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم، وأمرهم أن يمنعوه ممن أرادوا قتله، فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حمية، ومنهم من فعله إيمانا ويقينا، فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله ﷺ، وأجمعوا على ذلك، اجتمع المشركون من قريش، فأجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلّموا رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهودا ومواثيق لا يقبلوا من بني هاشم صلحا أبدا، ولا يأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل.

* ولبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين، واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الأسواق، فلا يتركوا لهم طعاما يقدم مكة ولا بيعا إلا بادروهم إليه، فاشتروه يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله ﷺ.

* وكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله ﷺ فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد به مكرا واغتيالا له، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو أخوته أو بني عمه فاضطجعوا على فراش رسول الله ﷺ، وأمر رسول الله ﷺ أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه.

* ولما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبد مناف ومن قصي ورجال من سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بني هاشم، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق، واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه، وبعث الله على صحيفتهم الأرضة فلحست كل ما كان فيها من عهد وميثاق.

ويقال: كانت معلقة في سقف البيت فلم تترك اسما لله فيها إلا لحسته، وبقي ما كان فيها من شرك وظلم وقطيعة رحم، وأطلع الله عز وجل رسوله على الذي صنع بصحيفتهم، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبي طالب.

فقال أبو طالب: لا والثواقب ما كذبني، فانطلق يمشي بعصابته من بني عبد المطلب حتى أتى المسجد، وهو حافل من قريش، فلما رأوهم عامدين لجماعتهم أنكروا ذلك، وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء، فأتوهم ليعطوهم رسول الله ﷺ، فتكلم أبو طالب فقال: قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم، فأتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها فعلَّه أن يكون بيننا وبينكم صلح، وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها، فأتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون أن رسول الله ﷺ مدفوعا إليهم فوضعوها بينهم وقالوا: قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم؛ فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطرا لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم، فقال أبو طالب: إنما أتيتكم لأعطيكم أمرا لكم فيه

نَصَفٌ إن ابن أخي أخبرني – ولم يكذبني – إن الله بريء من هذه الصحيفة التي في أيديكم، ومحا كل اسم هو له فيها، وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم، فإن كان الحديث الذي قال ابن أخي كما قال فأفيقوا فوالله لا نسلمه أبدا حتى يموت من عندنا آخرنا، وإن كان الذي قال باطلا دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحييتم.

قالوا: قد رضينا بالذي تقول، ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق ﷺ قد أخبر خبرها، فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب قالوا: والله إن كان هذا قط إلا سحر من صاحبكم، فارتكسوا وعادوا بشرِّ ما كانوا عليه من كفرهم، والشدة على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين، والقيام على رهطه بما تعاهدوا عليه.

فقال: أولئك النفر من بني عبد المطلب: إن أولى بالكذب والسحر غيرنا فكيف ترون فإنا نعلم إن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت والسحر من أمرنا، ولولا إنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهي في أيديكم

طمس الله ما كان فيها من اسمه وما كان فيها من بغي تركه أفنحن السحرة أم أنتم؟

فقال عند ذلك النفر من بني عبد مناف وبني قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء من بني هاشم منهم: أبو البختري والمطعم بن عدي وزهير بن أبي أمية بن المغيرة وزمعة بن الأسود وهشام بن عمرو، وكانت الصحيفة عنده وهو - من بني عامر بن لؤي - في رجال من أشرافهم ووجوههم: نحن برءاء مما في هذه الصحيفة.

فقال أبو جهل لعنه الله: هذا أمر قضى بليل وأنشأ أبو طالب يقول الشعر في شأن صحيفتهم ويمدح النفر الذين تبرؤا منها ونقضوا ما كان فيها من عهد ويمتدح النجاشي.

قال البيهقي: وهكذا روى شيخنا أبو عبد الله الحافظ - يعني من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير - يعني كسياق موسى بن عقبة رحمه الله - وقد تقدم عن موسى بن عقبة أنه قال: إنما كانت هجرة الحبشة بعد دخولهم إلى الشعب عن أمر رسول الله ﷺ لهم في ذلك فالله أعلم.

ثم روى البيهقي من طريق يونس عن محمد بن إسحاق. قال: لما مضى رسول الله ﷺ على الذي بعث به وقامت بنو هاشم وبنو عبد المطلب دونه وأبوا أن يسلموه وهم من خلافه على مثل ما قومهم عليه إلا أنهم اتقوا أن يستذلوا ويسلموا أخاهم لما قارفه من قومه.

فلما فعلت ذلك بنو هاشم وبنو المطلب وعرفت قريش أن لا سبيل إلى محمد، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني عبد المطلب أن لا يناكحوهم ولا ينكحوا إليهم ولا يبايعوهم ولا يبتاعوا منهم وكتبوا صحيفة في ذلك وعلقوها بالكعبة، ثم عدوا على من أسلم فأوثقهم وآذوهم واشتد عليهم البلاء وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالا شديدا، ثم ذكر القصة بطولها في دخولهم شعب أبي طالب وما بلغوا فيه من فتنة الجهد الشديد حتى كان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع حتى كره عامة قريش ما أصابهم وأظهروا كراهيتهم لصحيفتهم الظالمة، وذكروا أن الله برحمته أرسل على صحيفة قريش

الأرضة فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أكلته وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان، فأخبر الله تعالى بذلك رسول الله ﷺ فأخبر بذلك عمه ثم ذكر بقية القصة كرواية موسى بن عقبة وأتم.

* **وقال ابن هشام عن زياد عن محمد بن إسحاق:** فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلدا أصابوا منه أمنا وقرارا، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة مع رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل الإسلام يفشو في القبائل فاجتمعوا وائتمروا على أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم.

فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة: منصور ابن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي.

* **قال ابن هشام:** ويقال: النضر ابن الحارث، فدعا عليه رسول الله ﷺ فشل بعض أصابعه.

* **وقال الواقدي:** كان الذي كتب الصحيفة: طلحة بن أبي طلحة العبدوي.

* **قال الواقدي:** وكانت الصحيفة معلقة في جوف الكعبة.

* **قال ابن إسحاق:** فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب إلى قريش فظاهرهم.

* **وقال حسين بن عبد الله:** إن أبا لهب لقي هند بنت عتبة بن ربيعة، حين فارق قومه، وظاهر عليهم قريشا.

فقال: يا ابنة عتبة هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقها وظاهر عليها؟

قالت: نعم! فجزاك الله خيرا يا أبا عتبة.

* **قال ابن إسحاق:** وحدثت أنه كان يقول - في بعض ما يقول - يعدني محمد أشياء لا أراها يزعم أنها كائنة بعد الموت، فماذا وضع في يدي بعد ذلك، ثم ينفخ في يديه فيقول: تبا لكما لا أرى فيكما شيئا مما يقول محمد.

فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد : ١]

* **قال ابن إسحاق:** فلما اجتمعت على ذلك قريش وصنعوا فيه الذي صنعوا قال أبو طالب:

ألا أبلِغا عني على ذاتِ بيننا ... لؤيا وخُصَّا من لؤي بني كعب

ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا ... نبيا كموسى خطَّ في أول الكتب

وأن عليه في العباد محبة ... ولا خير ممن خصَّه الله بالحب

وأن الذي الصقتموا من كتابكم ... لكم كائنٌ نحسا كراغيةِ السقب

أفيقوا أفيقوا قبل أن يحُفر الثرى ... ويصبح من لم يجن ذنبا كذي الذنب

ولا تتبعوا أمرَ الوشاة وتقطعوا ... أواصرنا بعد المودة والقرب

وتستجلبوا حربا عوانا وربما ... أمرَّ على من ذاقه حلب الحرب

فلسنا ورب البيت نسلم أحمدا ... لعزَّاء من عض الزمان ولا كرب

ولمـا تَـبِن منـا ومـنكم سـوالفٌ   وأيـدٍ أتـرَّتْ بالقساسـية الشـهب

بمعـتركٍ ضـيقٍ تـرى كسـر القنـا   بـه والنسـور الطخـم يعكفـن كالشـرب

كـأن مجـال الخيـل في حجراتـه   ومعمعـة الأبطـال معركـة الحـرب

ألـيس أبونـا هاشـمٌ شـدَّ أزره   وأوصـى بنيـه بالطِّعـان وبالضـرب

ولسـنا نمـلُّ الحـرب حتـى تملنـا   ولا نشـتكي مـا قـد ينـوب مـن النكـب

ولكننـا أهـل الحفـائظ والنهـى   إذا طـار أرواحُ الكمـاةِ مـن الرعـب

* **قال ابن إسحاق:** فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا ولم يصل إليهم شيء إلا سرا مستخفيا به من أراد صلتهم من قريش، وقد كان أبو أجهل بن هشام – فيما يذكرون – لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد، معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد، وهي عند رسول الله ﷺ في الشعب فتعلق به وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تذهب أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة، فجاءه أبو البختري بن هشام بن الحارث بن أسد.

فقال: مالك وله.

فقال: يحمل الطعام إلى بني هاشم.

فقال له أبو البختري: طعام كان لعمته عنده بعثت به إليه أتمنعه أن يأتيها بطعامها؟

خلِّ سبيل الرجل.

قال: فأبى أبو جهل - لعنه الله - حتى نال أحدهما من صاحبه، فأخذ أبو البختري لحى بعير فضربه فشجه ووطئه وطئا شديدا، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه فيشمتون بهم ورسول الله ﷺ على ذلك يدعو قومه ليلا ونهارا سرا وجهارا مناديا بأمر الله تعالى لا يتقي فيه أحدا من الناس (١).

---

(١) البداية والنهاية/ الجزء الثالث.




وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها، وعم النبي وأحداث عام الحزن






المعنى: قد سُمِّي العام العاشر للبعثة بعام الحزن لأن وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها قد حدثت فيه بعد وفاة أبي طالب عم النبي ﷺ.

تَنَسَّمْ من نسائم سيرته ﷺ عبيرَ ما يلي:

* في العام العاشر للبعثة مات أبو طالب فاشتد إيذاء قريش للنبي ﷺ، وتجرأ المشركون على النيل منه بأبي وأمي ﷺ، فعنْ عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: بيْنَا رَسولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي بفِنَاءِ الكَعْبَةِ، إذْ أقْبَلَ عُقْبَةُ بنُ أبِي مُعَيْطٍ فأخَذَ بمَنْكِبِ رَسولِ اللهِ ﷺ، ولَوَى ثَوْبَهُ في عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ به خَنْقًا شَدِيدًا، فأقْبَلَ أبو بَكْرٍ

فأخَذَ بمَنْكِبِهِ ودَفَعَ عن رَسولِ اللهِ ﷺ، وقالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ (١).

* وعن أبي هريرة أنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ لأبي طالبٍ حينَ حضَره الموتُ: (قُلْ لا إلهَ إلَّا اللهُ أشفَعْ لك بها يومَ القيامةِ) قال: يا ابنَ أخي لولا أنْ تُعيِّرَني قُريشٌ لَأقررْتُ عينَيْكَ بها فنزَلَتْ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦](٢).

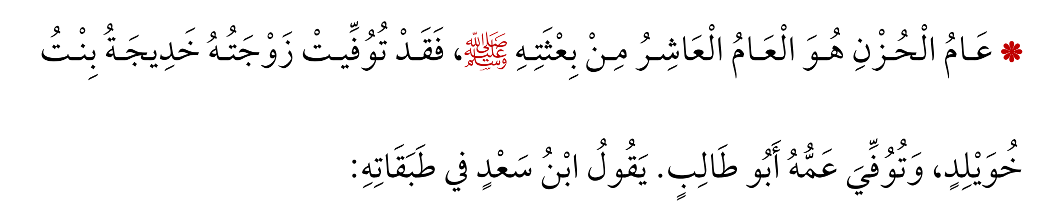
* وقيل في مرض أبي طالب ووفاته: أنَّ أبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، دَخَلَ عليه النَّبيُّ ﷺ وعِنْدَهُ أبو جَهْلٍ، فَقَالَ: أيْ عَمِّ، قُلْ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لكَ بهَا عِنْدَ اللهِ. فَقَالَ أبو جَهْلٍ وعَبْدُ اللهِ بنُ أبِي أُمَيَّةَ: يا أبَا طَالِبٍ، تَرْغَبُ عن مِلَّةِ عبدِ المُطَّلِبِ! فَلَمْ يَزَالَا يُكَلِّمَانِهِ، حتَّى قَالَ آخِرَ شيءٍ كَلَّمَهُمْ بهِ: علَى مِلَّةِ عبدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ما لَمْ أُنْهَ عنْه. فَنَزَلَتْ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن

(١) أخرجه البخاري (ص: ٤٨١٥)

(٢) صحيح ابن حبان: (ص: ٦٢٧٠)

يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣]، ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦](١).

* وتوالت على النبي ﷺ المحن في هذا العام بوفاة السيدة خديجة - رضي الله عنها - حتى سمي العام الذى توفي فيه أبو طالب وأم المؤمنين خديجة رضى الله تعالى عنها بعام الحزن، ونالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تطمع به في حياة أبي طالب. يقول ﷺ: «ما نالت قريش مني شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب» (٢).



ومما جاء في ذكر هذا العام:

* عَامُ الْحُزْنِ هُوَ الْعَامُ الْعَاشِرُ مِنْ بِعْثَتِهِ ﷺ، فَقَدْ تُوُفِّيَتْ زَوْجَتُهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَتُوُفِّيَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ. يَقُولُ ابْنُ سَعْدٍ في طَبَقَاتِهِ:

* كَانَ بَيْنَ وَفَاةِ خَدِيجَةَ وَأَبِي طَالِب شَهْرٌ وَخَمْسَةُ أَيَّامٍ. وَقَدْ كَانَتْ خَدِيجَةُ - كَمَا

(١) صحيح البخاري: (٣٨٨٤)

(٢) دلائل النبوة للبيهقي: (ج٢ ص: ٣٥٠)

قَالَ اِبْنُ هِشَامٍ - : وَزِيرَ صِدْقٍ عَلَى الْإِسْلامِ، يَشْكُو الرَّسُولُ إِلَيْهَا، وَيَجِدُ عِنْدَهَا أُنْسَهُ وَسَلْوَاهُ. أَمَّا أَبُو طَالِبٍ فَقَدْ كَانَ عَضُدًا وَحِرْزًا في أَمْرِهِ، وَكَانَ نَاصِرًا لَهُ عَلَى قَوْمِهِ. يَقُولُ اِبْنُ هِشَامٍ: فَلَمَّا هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْأَذَى مَا لَمْ تَكُنْ تَطْمَعُ بِهِ في حَيَاةِ أَبِي طَالِبٍ، حَتَّى اعْتَرَضَهُ سَفِيهٌ مِنْ سُفَهَاءِ قُرَيْشٍ فَنَثَرَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَابًا، وَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْتَهُ وَالتُّرَابُ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَامَتْ إِحْدَى بَنَاتِهِ فَجَعَلَتْ تَغْسِلُ عَنْهُ التُّرَابَ وَهِيَ تَبْكِي، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَهَا: لَا تَبْكِي يَابُنَيَّةُ، فَإِنَّ اللهَ مَانِعٌ أَبَاكِ. وَلَقَدْ أَطْلَقَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى هَذَا الْعَامِ عَامَ الْحُزْنِ لِشِدَّة مَا كَابَدَ فِيه مِنَ الشّدائِدِ فى سَبِيلِ الدَّعْوَةِ» (١).

❃ ولقد كان مصاب النبي ﷺ بوفاة أم المؤمنين خديجة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عظيما فهي الزوجة والحبيبة وشريكته في الجهاد التي تؤازره وتواسيه في تلك الأوقات الصعبة، ومما قيل في فضلها:

كان النَّبيُّ ﷺ إذا ذكَرَ خَديجةَ أثْنى عليها، فأحسَنَ الثناءَ، قالت: فغِرْتُ يومًا،

(١) تهذيب سيرة ابن هشام لعبد السلام محمد هارون (ص: ٨٧ بتصرف)

فقُلْتُ: ما أكثرَ ما تذكُرُها حَمراءَ الشِّدْقِ، قد أبدَلَكَ اللهُ عزَّ وجلَّ بها خَيرًا منها، قال: ما أبدَلَني اللهُ عزَّ وجلَّ خَيرًا منها، قد آمَنَتْ بي إذ كفَرَ بي الناسُ، وصدَّقَتْني إذ كذَّبَني الناسُ، وواسَتْني بمالِها إذ حرَمَني الناسُ، ورزَقَني اللهُ عزَّ وجلَّ ولَدَها إذ حرَمَني أولادَ النِّساءِ (١).

❊ وإلى رضوان الله لقت ربها -رضي الله عنها وأرضاها - وإلى بيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب كما بشرها ربنا - جل جلاله -، فعن عبد الله بن أبي أوفى أنه قال: "اعْتَمَرَ رَسولُ اللهِ ﷺ، واعْتَمَرْنَا معهُ، فَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ طَافَ وطُفْنَا معهُ، وأَتَى الصَّفَا والمَرْوَةَ وأَتَيْنَاهَا معهُ، وكُنَّا نَسْتُرُهُ مِن أهْلِ مَكَّةَ أنْ يَرْمِيَهُ أحَدٌ. فَقالَ له صَاحِبٌ لِي: أكانَ دَخَلَ الكَعْبَةَ؟ قالَ: لَا. قالَ: فَحَدِّثْنَا ما قالَ لِخَدِيجَةَ؟ قالَ: بَشِّرُوا خَدِيجَةَ ببَيْتٍ مِنَ الجَنَّةِ مِن قَصَبٍ، لا صَخَبَ فِيهِ ولا نَصَبَ."(٢).

---

(١) حديث صحيح، تخريج المسند لشعيب: (٢٤٨٦٤)،أخرجه البخاري (٣٨٢١)، ومسلم (٢٤٣٧) بنحوه مختصراً، وأحمد (٢٤٨٦٤) واللفظ له.

(٢) حديث صحيح، أخرجه البخاري (١٧٩١، ١٧٩٢)، ومسلم (٢٤٣٣)

وَمْضَةٌ من الجوهرة في موت أبي طالب على غير الإسلام:

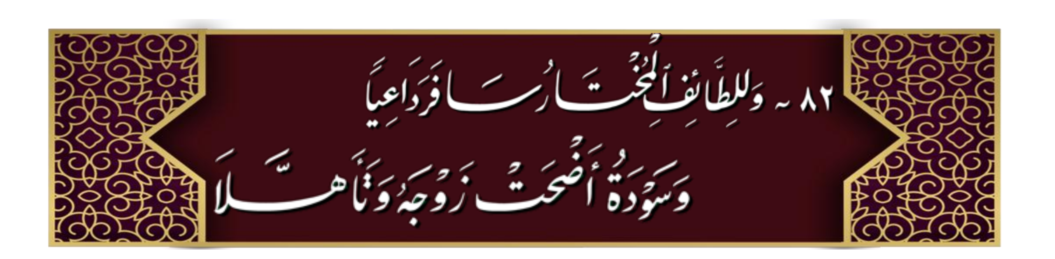
* إن مِما يتوهج في فؤادك والجوهرة بين يديك هو قبس الحكمة من موت أبي طالب على غير الإسلام وهو الذي دافع عن النبي - ﷺ - دفاعا يمزق النفس شفقةً وتعجبا لحرمانه من نعمة الإسلام إن لم تفطن للحكمة؛ فالعاقل يتساءل كيف تعدم قصيدتُه اللامية وصورُ دفاعِه البركةَ التي يمتزج بأجزاء النفس الظنُّ بأنها سترخي على فؤاده بردة الإسلام والتوحيد قبل وفاته، لكنها الحكمة الإلهية البالغة لكي تتعلم أنت وتتيقظ كيف تحدد نواياك مصيرك؛ فإن دفاع أبي طالب عن النبي - ﷺ - لم يكن حبا لله ولا لرسوله - ﷺ - فإنه إن أحب الله أسلم وإن أَحَبَّ النبي - ﷺ- لذاته بحق تالله ما أفْلَتَ ذلك الحبُّ يدَهُ من يدِهِ في دار الحق، وإنما كان دفاع أبي طالب حبا لنفس أبي طالب الشريفة التي تأبى الخذلان وجُبِلَت على المروءة ولا يرضى لها بأن يدنسها بعار التخلي عن ابن اخيه؛ فاستيقِظْ عندما تتحدث أو تكتب عن الله ورسوله - ﷺ - وتعهد نيتك جيدا.

* وإني قد تأملتُ حبَّه للنبي - ﷺ- لكونه قد رباه فوجدت هذه المحبة تنسكب من حُبِّ العمّ لنفسه ولا عجب؛ فإن المحبة أحيانا بين الوالد وولده قد ترجع لحب الوالد لنفسه لأنه يرى في هذا الابن نفسَه بصورة أخرى؛ ففي تقدم الابن إنجاز ومجد وتخليد لذكر أبيه وهذا سبب المحبة في قلوب بعض الآباء وليست لحب ذات الولد وكيانه، فإن فشل الولد أو فسد لربما دعا عليه والده، وإن مرض مرضا مضنيا لربما تمنى الوالد موته، ولا أقول ذلك من باب التعميم ولكن هذا نوع من الحب الذي قلما تنكشف حقيقته للناظرين، وهناك من الآباء بلا شك من يحب ولده على كل حال حبا صافيا حقيقيا ويرضى ويسعد به على كل حال، وهكذا يكون الأمر بين الأصدقاء والأزواج والإخوان، هناك مَن يحب الشعور المتولد عن الرابطة والصلة بين الطرفين والذي يخدم ويعزّز حبَّ النفس، وهناك مَن تصْدقُ محبته وتصح لذات الشخص على أي حال، وإن الحبّ الظاهر من العم للنبي - ﷺ - ودفاعه عنه كان لأن سلامة النبي - ﷺ- ظلت معيارا لنبل

ومروءة العم -والله أعلم-، ولأن شخص النبي -ﷺ- يذكر العمّ دائما ببطولته في تربية ابن أخيه، أما المحبة الصادقة فإنها توجب الطاعة وتفتت الكبد خوفا من الفراق في الآخرة، ومعاذ الله أن تُخَيِّبَ محبةُ روح وشخص النبي -ﷺ- كرَحِم وقريب صاحبها، وفي هذا كله تعليل لهداية الله من يشاء؛ لعلمه -سبحانه وتعالى- بهذه الخفايا، والله أعلم.

سفر النبي ﷺ للطائف



المعنى: هنا إشارة لسفر النبي ﷺ وزواجه من السيدة سودة بنت زمعة – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – أم المؤمنين.

تَنَسَّمْ من نسائم سيرته - ﷺ- عبير ما يلي:

* مما ورد في خروج النبي ﷺ للطائف: " لَمَّا رَأَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ اِسْتِهانَةَ قُرَيْشٍ بِهِ، أَرَادَ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى ثَقِيفٍ بِالطَّائِفِ يَرْجُو مِنْهُمْ نُصْرَتَهُ عَلَى قَوْمِهِ وَمُسَاعَدَتَهُ حَتَّى يُتَمِّمَ أَمْرَ رَبِّهِ، لِأَنَّهُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَى مَكَّةَ، وَلَهُ فِيهِمْ خُؤُولَةٌ. فَلَمَّا تَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ وَمَعَهُ مَوْلَاهُ زَيْدٌ بْنُ حارِثَةَ، قَابَلَ رُؤَسَاءَهُمْ وَكَانُوا ثَلاثَةً، فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نُصْرَتَهُ حَتَّى يُؤَدِّيَ دَعْوَتَهُ؛ فَرَدُّوا عَلَيْهِ رَدًّا قَبِيحًا، وَلَمْ يَرَ مِنْهُمْ خَيْرًا. وَحِينَذاكَ طَلَبَ

مِنْهُمْ أَلَّا يُشِيعُوا ذَلِكَ عَنْه، كَيْلَا تَعْلَمَ قُرَيْشٌ فَيَشْتَدَّ أَذَاهُمْ، لِأَنَّهُ اِسْتَعَانَ عَلَيهِمْ بِأَعْدَائِهِمْ، فَلَمْ تَفْعَلْ ثَقِيفُ مَا رَجَاهُ مِنْهُمْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسّلامُ، بَلْ أَرْسَلُوا سُفَهَاءَهُمْ وَغِلْمَانَهُمْ يَقِفُونَ فِي وَجْهِهِ فِي الطَّرِيقِ وَيَرْمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى أَدْمَوْا عَقِبَهُ"(١).

ومما ورد في ذلك: " وَأَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ بِنَخْلَةٍ أَيَّامًا، فَقَالَ لَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ: كَيْفَ تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ - يَعْنِي قُرَيْشًا - وَهُمْ أَخْرَجُوكَ؟ فَقَالَ: «يَا زَيْدُ إِنَّ: اللهَ جَاعِلٌ لِمَا تَرَى فَرَجًا وَمَخْرَجًا، وَإِنَّ اللهَ نَاصِرٌ دِينَهُ وَمُظْهِرٌ نَبِيَّهُ». ثُمَّ انْتَهَى إِلَى حِرَاءَ فَأَرْسَلَ رَجُلًا مِنْ خُزَاعَةَ إِلَى مُطْعِمٍ بْنِ عَدِيٍّ: «أَدْخُلُ فِي جِوَارِكَ؟» فَقَالَ: نَعَمْ، وَدَعَا بَنِيهِ وَقَوْمَهُ فَقَالَ: تَلَبَّسُوا السِّلاحَ، وَكُونُوا عِنْدَ أَرْكَانِ الْبَيْتِ فَإِنِّي قَدْ أَجَرْتُ مُحَمَّدًا، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ"(٢).

---

(١) (نور اليقين للخضري ص:٣٥)

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: (ج٢ ص: ٢١٢).

* ولقد خرج النبي - ﷺ - يلتمس من قبيلة ثقيف في الطائف التأييد والنصرة عندما اشتد أذى قريش عليه وعلى المسلمين، واختار ثقيف لأنها الأقرب لمكة وللنبي -ﷺ - فيها خؤولة لكنهم لم يستجيبوا له، بل واجتمع عليه السفهاء بالسبِّ ورموه - فداه النفس - بالحجارة حتى أدموه وشجّت رأس زيد بن حارثة - رضي الله عنه - الذي كان يدافع عنه هناك، فلجأ النبي ﷺ لبستان على بعد ثلاثة أميال من الطائف ثم استظل بشجرة داعيا ربه.

* **عن عبد الله بن جعفر:** «لمَّا ماتَ أبو طالِبٍ خَرَجَ النَّبيُّ ﷺ إلى الطَّائِفِ ماشِيًا على قَدَمَيه، فدَعا لهم إلى اللهِ، فلم يُجيبوه، فأتى ظِلَّ شَجَرةٍ فصلَّى تحتَها رَكْعتَينِ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ إليك أَشْكو ضَعْفي وهَواني على النَّاسِ، أَرحَمَ الرَّاحِمينَ إلى مَن تَكِلُني، إلى بَعيدٍ يَتَجَهَّمُني أم إلى قَريبٍ مَلَّكْتَه أمْري، فإن لم تكنْ ساخِطًا عليَّ فلا أُبالي، لك العُتْبى حتَّى تَرْضى، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بك، أَعوذُ بنورِ وَجْهِك الكَريمِ الَّذي أضاءَتْ له السَّمواتُ وأَشرَقَتْ له الظُّلُماتُ وصَلَحَ عليه أمْرُ الدُّنْيا

والآخِرةِ أن يَنزِلَ عليَّ غَضَبُك أو يَحِلَّ عليَّ سَخَطُك». وفي رِوايةٍ: لمَّا تُوفِّيَ أبو طالِبٍ، وعِنْدَه: فدَعاهم إلى الإسْلامِ فلم يُجيبوه، فانْصَرَفَ، فأتى ظِلَّ شَجَرةٍ فصلَّى رَكْعَتَينِ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ إليك أَشْكو ضَعْفَ قُوَّتي وقِلَّةَ حيلتي وهَواني على النَّاسِ، أَرحَمَ الرَّاحِمينَ أنت أَرحَمُ الرَّاحِمينَ إلى مَن تَكِلُني إلى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُني أم إلى قَريبٍ مَلَّكْتَه أمْري، إن لم تكنْ غَضبانَ عليَّ فلا أُبالي، غَيْرَ أنَّ عافيتَك أَوْسَعُ لي، أَعوذُ بنورِ وَجْهِك الَّذي أَشرَقَتْ له الظُّلُماتُ وصَلَحَ عليه أمْرُ الدُّنْيا والآخِرةِ أن يَنزِلَ بي غَضَبُك أو يَحِلَّ عليَّ سَخَطُك، لك العُتْبى حتَّى تَرْضى، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بك(١)».

* وورد أنه قد عَرَضَ حينها النَّبيُّ ﷺ الإسلامَ على كِنانةَ بنِ عبْدِ يَاليلَ بنِ عبدِ كُلَالٍ -وكان مِن أكابرِ أهلِ الطَّائفِ مِن ثَقيفٍ- فعَرَضَ عليه أنْ يَقبَلَ الدَّعوةَ ويَدخُلَ في الإسلام، وأنْ يُؤوِيَه ويَحمِيَه حتَّى يُبلِّغَ رِسالةَ اللهِ ودينه، وقيل: توجَّهَ

(١) الأحاديث المختارة: (٩/ ١٨٠).

النَّبيُّ ﷺ إلى ثَلاثـةٍ مِـن سـادات ثَقيـفٍ؛ وهـم: عبْـدُ يَالِيـلَ، وحَبيـبٌ، ومَسـعودٌ بَنـو عمْرٍو، فلم يَستجِبْ له أحدٌ حينئذٍ سواء بالدُّخولِ في الإسلامِ أو بإعطائِه الأمانَ والحماية، وقابلوه بالاستهزاء والجُحودِ، والاضطهاد والاعتداءِ، وَآذَوه وسَلَّطوا عليه صِغارَهم وسُفهاءَهم، ولما خرَجَ مِن الطَّائفِ عائدًا إلى مكَّةَ، ومشى حَيرانَ هائمًا لا يَدري أينَ يَذهب مِن شِدَّةِ ما لاقى وتألم، واغتمَّ غمًّا شديدا، فلم يُفِقْ ممَّا أصابه حتَّى بَلَغ قَرْنَ الثَّعالبِ، والقَرنُ: الجبلُ الصَّغيرُ، وقَرْنُ الثَّعالـبِ: جَبلٌ بيْن مكَّةَ والطَّائفِ، وسُمِّيَ بذلك لأنَّ الثَّعالبَ كانت تَأتي إليه بعْدَ أنْ تَأكُلَ مِن لُحومِ الأضاحي والهَدْيِ، وهو يُلاصق مَوضعَ قَرْنِ المنازلِ مِن الجَنوبِ الشَّرقيِّ، ويُعرَفُ الآن بالمنحوتِ، وهو أقرَبُ إلى مكان السَّيلِ الكبيرِ منه إلى قَريةِ السَّيلِ الصَّغيرِ، وقيل: إنَّه كان في مِنًى، وهو العرقُ الَّذي كان مُجاورا لمَسجدِ البَيعةِ مِن الجنوب الشَّرقيِّ بعد جَمْرةَ العَقَبةِ، ولكنه أزيل للتَّوسعةِ، ويشتهِر الآن برَبْوةَ مِنًى، وعلى جانبه الغربيِّ الطريق المنصَب مِن جِسرِ الملِكِ عبْدِ العزيزِ.

* وهناك رَفَع ﷺ رَأسَه إلى السَّماءِ، فإذا هو بسَحابةٍ قد أظلَّتْه تحتنا ورحمةً، فنَظَر فإذا في السَّحابةِ سيدُنا جِبريلُ عليه السَّلامُ، فناداهُ فقال: إنَّ اللهَ قدْ سَمِع قَولَ قَومِك من كفَّارُ قُريشٍ ومِن أهلِ الطَّائفِ وثَقيفٍ وما ردُّوا عليك ولا آووك، وإنَّ اللهَ تعالَى قدْ بَعَث إليك مَلَكَ الجِبالِ ليَأمُرَه بما شاءَ فيهم، فناداهُ مَلَكُ الجِبالِ فسَلَّم عليه، ثـمَّ قال: يا محمَّدُ، ذلك فيما شئتَ، أي: ذلك كما قال جِبريلُ، أو كما سمِعتَ منه، فإذا أردتَ أنْ أَقْلِبَ عليهم الأَخْشَبَيْنِ لَفعلْتُ، والأَخْشَبُ كلُّ جَبلٍ غَليظٍ، والأَخشبانِ هما جَبلانِ يُضافانِ إلى مكَّةَ مرَّةً، وإلى مِنًى أُخرى، وهما واحدٌ، وقيل: الأخشبانِ: الجَبَلانِ المُطْبقانِ بمكَّةَ، وهما أبو قُبَيْسٍ، والآخَر قُعَيْقِعَانَ؛ جَبلٌ بمكَّة وجْهُه إلى أبي قُبَيْسٍ، أو الجَبَلَ الأحمرُ الَّذي يُشرِفُ على قُعَيقِعانَ، ولكنّ رَحمةُ قلب النَّبيِّ ﷺ كانت في قلبه أعظم من أن يقتص لنفسه، فأخبَرَ مَلَكَ الجبالِ أنَّه لا يُرضيه ذلك العذابَ لقَومِه وإنِ استحَقُّوا ذلك، بلْ إنَّه يَأمل أنْ يُخرِجَ اللهُ مِن أصلابِهم مَن يَعبُدُ اللهَ وحْدَه لا شريك له، ويعمّر في الأرض بطاعته، فحقق الله له ذلك؛ حيث دخَلَت

مكَّةُ والطَّائفُ في الإسلام، وكان منهم الكثير من الأخيار والقادة ومن نشروا الـدين والتوحيد.

وقد روت أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "أنَّها قالتْ لرسولِ اللهِ – ﷺ – : هل أتَى عليكَ يومٌ كانَ أشدَّ مِن يومِ أحدٍ؟ فقالَ: لقد لقيتُ مِن قومِكِ، وَكانَ أشـدَّ ما لقيـتُ منهُم يومَ العقبةِ إذ عرضتُ نفسي على ابنِ عبدِ ياليلَ بنِ عبدِ كلالٍ، فلَم يجبْني إلى ما أردتُ، فانطلقـتُ وأَنـا مَهْمـومٌ علَى وجهـي، فلَـم أستفِقْ إلَّا وأَنـا بقـرنِ الثَّعالـبِ، فرفعتُ رأسي، فإذا بسحابةٍ قد أظلَّتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ عليهِ السَّلامُ، فَناداني فقالَ: يا محمَّدُ ، إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ، قد سمِعَ قولَ قومِكَ لَكَ ، وما ردُّوا عليكَ، وقد بعثَ اللهُ ملَكَ الجبالِ لتأمرَهُ بما شئتَ فيهِم قالَ: فَناداني ملَكُ الجبالِ: فسلَّمَ عليَّ ، ثمَّ قالَ : يا محمَّدُ: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد سمِعَ قولَ قومِكَ لَكَ، وأَنا ملَكُ الجبالِ، وقد بعثَني ربُّكَ إليكَ لتأمرَني أمرَكَ، وبما شئتَ، إن شئتَ أن أُطْبِقَ عليهِمُ

الأخشبَينِ فعلتُ، فقالَ لَهُ رسولُ اللهِ ﷺ: بل أرجو أن يُخْرِجَ اللهُ مِن أصلابِهِم مَن يعبدُ اللهَ، لا يشرِكُ بِهِ شيئًا"(١).

* وبينما لم يُوَفّق للهداية أهل القريتين إلا أنها أصابت عبدا مغمورا كان يخدم في البستان الذي لجأ إليه النبي ﷺ ليحتمي به بعد الأذى الذي لاقاه، وهذا العبد اسمه عدَّاس، وكان المكان لعُتْبة بن ربيعة وشَيْبة بن ربيعة، فلما دخله النبي ﷺ، عمَد إلى ظل حبلة من عنب، فجلس فيه، وكان ابنا ربيعةَ ينظران له ويريان ما لقي من إيذاء سفهاء أهل الطائف، فرَقّا لِحَاله، ودعوا غلامًا لهما نصرانيًّا، وهذا الغلام هو عدَّاس، فقالا له: خُذْ قطفًا من هذا العنب، فضَعْه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقُلْ له يأكل منه، ففعلّ عدّاس فسمع النبي ﷺ يبسمل فتعجب من كلامه الذي لا يشبه كلام أهل القرية وتساءل عن ذلك واستنبأ النبي ﷺ عن

(١) التوحيد لابن خزيمة: (١/١١١).

حقيقة النور الذي يسري في قوله وما إن أجابه النبي ﷺ حتى أشرقت شمس الهداية في قلب عدَّاس ونزل يقبِّل أقدام النبي ﷺ ، وفي هذا أقول:

هَنِيئًا هَنِيئًا طِبْتَ عَدَّاسُ مَنْزِلَا   وَنِلْتَ بِتَقْبِيلِ النِّعَالِ عُلَى الْعُلَا
وَمَنْ لِي بِأَقْدَامِ الْحَبِيبِ وَجُرْحِهِ   لِتَفْدِيهِ نَفْسِي فِي الْأَوَاخِرِ وَالْأُلَى(٣)

ومما ذكره ابن اسحاق في هذا الخبر:

* **قال**: فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي، تحركت له رحمهما فدعوا غلاما نصرانيا يقال له: عداس، وقالا له: خذ قطفا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه، ففعل عداس.

* **ثم ذهب به** حتى وضعه بين يدي **رسول الله** ﷺ، ثم **قال له**: كل.

فلما وضع رسول الله ﷺ يده فيه قال: «بسم الله».

ثم أكل، ثم نظر عداس في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد.

---

(١) الديوان المحمدي الرابع، نورا حلمي.

فقال له رسول الله ﷺ: «ومن أهل أي بلاد أنت يا عداس وما دينك؟».

قال: نصراني وأنا رجل من أهل نينوى.

فقال رسول الله ﷺ: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى».

فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟

فقال رسول الله ﷺ: «ذلك أخي كان نبيا وأنا نبي».

فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه.

قال: يقول أبناء ربيعة أحدهما لصاحبه أما غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاء عداس قالا له: ويلك يا عداس! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟

قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي.

قالا له: ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فإن دينك خير من دينه.

وتقدم النبي ﷺ في طريقه لمكة حتى أقام بوادي نخلة وهناك استمع له الجن وهو يقرأ القرآن في الصلاة وتأثروا به تأثرا بالغا ورجعوا لقومهم وأخبروهم بما

أدهشهم، ولم يعلم النبي ﷺ بحضورهم إلا بعدما أطلعه الله سبحانه وتعالى على هذا الأمر بالآيات الكريمة التي جاءت في سورة الأحقاف وفي سورة الجن.

عن عبد الله بن عباس أنه قال: "انْطَلَقَ النبيُّ ﷺ في طَائِفَةٍ مِن أصْحَابِهِ عَامِدِينَ إلى سُوقِ عُكَاظٍ، وقدْ حِيلَ بيْنَ الشَّيَاطِينِ وبيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وأُرْسِلَتْ عليهمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إلى قَوْمِهِمْ، فَقالوا: ما لَكُمْ؟ فَقالوا: حِيلَ بيْنَنَا وبيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قالوا: ما حَالَ بيْنَكُمْ وبيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إلَّا شيءٌ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الأرْضِ ومَغَارِبَهَا، فَانْظُرُوا ما هذا الذي حَالَ بيْنَكُمْ وبيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إلى النبيِّ ﷺ وهو بنَخْلَةَ عَامِدِينَ إلى سُوقِ عُكَاظٍ، وهو يُصَلِّي بأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا القُرْآنَ اسْتَمَعُوا له، فَقالوا: هذا واللهِ الذي حَالَ بيْنَكُمْ وبيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَهُنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إلى قَوْمِهِمْ، وقالوا: يا قَوْمَنَا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن: ٢]، فأنْزَلَ اللهُ

علَى نَبيِّهِ ﷺ : ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الجن: ١] وإنَّما أُوحِيَ إلَيْهِ قَوْلُ الجِنِّ"(١) .

ومضةٌ من الجوهرة:

* في هذا الحدث وفي الحديث الشريف دَليل قاطع على وُجودِ الجِنِّ، وفيه أيضا دلالة عدَمِ مَعرفتِهم بالغَيبِ، ونرى من خلاله أهمية تواجد الدعاة إلى الله بين الناس وفي الأماكن العامة فإن في ذلك دعوة يسمعها الإنس والجن ويعمُّ نفعُها، كما اتضح مدى إخبار النبيّ ﷺ لأمور هي من الغيب، وتجلى في ذلك الحدث حكم الجَهرِ بالقِراءةِ في صَلاةِ الفجْرِ، وعموم رسالة النبي ﷺ للإنس والجن.

(١) حديث صحيح، أخرجه البخاري (٧٧٣)، ومسلم (٤٤٩)

زواج النبي ﷺ من سودة بنت زمعة

* وفي هذا العام تزوج النبي ﷺ من السيدة سودة بنت زمعة بعد وفاة السيدة خديجة رضي الله عنهما وأرضاهما.

* وهي سودة بنت زمعة بْن قيس بْن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل- ويقال حسيل- بْن عامر بْن لؤي. وأمها الشموس بنت قيس بْن زيد بْن عَمْرو بْن لبيد بْن خراش بْن عامر بْن غنم بْن عدي بْن النجار. تزوجها رسول الله ﷺ بمكة بعد موت خديجة وقبل العقد عَلَى عائشة، هَذَا قول قتادة وأبي عبيدة وكذلك روى عقيل عَنِ ابْن شهاب، وأنه تزوج سودة قبل عائشة. وَقَالَ عَبْد اللهِ بْن مُحَمَّد بْن عقيل: تزوجها بعد أمنا عائشة وكذلك قَالَ يونس، عَنِ ابْن شهاب، ولا خلاف أنه لم يتزوجها إلا بعد موت السيدة خديجة، وكانت قبل ذلك تحت ابْن عم لَهَا يقال له السكران بْن عَمْرو أخو سهيل بْن عَمْرو، من بني عامر بْن لؤي، وبعدما أسنت عند النبي ﷺ وهبت يومها لأمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

* روى ابن إسحاق -من طريق يونس بن بكير- أن النبي ﷺ تزوجها بعد خديجة ودخل بها في مكة قبل الهجرة، ولم يصب منها ولدا، وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: ما رأيت من امرأة أحب إلى أن أكون في مسلاخها من سودة بنت زمعة(١).

* ويورد ابن كثير قصة زواج النبي ﷺ بسودة وعائشة، فيقول: لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم، امرأة عثمان بن مظعون إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، ألا تتزوج؟

قال: "من؟ ".

قالت: إن شئت بكرا، وإن شئت ثيبا.

قال: "فمن البكر؟ ".

قالت: أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر.

قال: "ومن الثيب؟ ".

قالت: سودة بنت زمعة، قد آمنت بك واتبعتك.

---

(١) الطبقات الكبرى: (ج٨ ص٥٧).

قال: "فاذهبي فاذكريهما علي"، فدخلت بيت أبي بكر فقالت: يا أم رومان، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟!

قالت: وما ذاك؟

قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة.

قالت: انظري أبا بكر حتى يأتي، فجاء أبو بكر، فقلت: يا أبا بكر، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟

قال: وما ذاك؟

قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة.

قال: وهل تصلح له، إنما هي ابنة أخيه، فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له.

قال: "ارجعي إليه، فقولي له: أنا أخوك وأنت أخي في الإسلام، وابنتك تصلح لي"، فرجعت فذكرت ذلك له، قال: انتظري، وخرج، ثم رجع فقال لخولة: ادعي لي رسول الله ﷺ فدعته، فزوجها إياه، وعائشة يومئذ بنت ست سنين.

ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت لها: ما أدخل الله عليك من الخير والبركة؟

قالت: وما ذاك؟

قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك إليه.

قالت: وددت، ادخلي إلى أبي بكر "والد سودة" فاذكري ذلك له، وكان شيخا كبيرا قد أدركه السن، فدخلت عليه وحيته، فقال: من هذه؟

قالت: خولة بنت حكيم.

قال: فما شأنك؟

قالت: أرسلني محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة.

قالت: تحب ذلك.

قال: ادعيها إلي، فدعتها، قال: اي بنية، إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك، وهو كفؤ كريم، أتحبين أن أزوجك به؟

قالت: نعم.

قال: ادعيه لي فجاء رسول الله ﷺ فزوجها إياه (١).

وقد شكت سودة ظروفها لرسول الله ﷺ، وحاولت أن تعتذر عن الزواج به، فسألها رسول الله ﷺ : "ما يمنعك مني؟ ".

قالت: والله يا نبي الله ما يمنعني منك ألا تكون أحب البرية إلي، ولكني أكرمك أن يمنعوا هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية.

قال: "فهل منعك مني غير ذلك؟ ".

قالت: لا والله، قال لها رسول الله ﷺ: "يرحمك الله، إن خير نساء ركبن أعجاز الإبل صالحو نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على بعل بذات يده"(٢).

* وكان النبي ﷺ يعاملها بالعطف المضاعف والرحمة لما كانت تحمله من الوداعة والرقة والطيبة، كما كانت تتميز بروح الفكاهة وتضحكه ويحب الاستماع لفكاهتها.

---

(١) البداية والنهاية:(ج٣: ص١٣١).

(٢) البداية والنهاية:(ج٣: ص ١٣٣).

* فقد روى ابن سعد في طبقاته عن سودة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت للنبي ﷺ: يا رسول الله، صليت خلفك البارحة، فركعت بي، حتى أمسكتُ بأنفي أن يقطر الدم.

قال: فضحك، وكانت تضحكه الأحيان بالشيء (١).

* وهي التي وهبت يومها من رسول الله ﷺ لعائشة، وذلك حينما كبرت فكان رسول الله ﷺ يقسم لعائشة يومين: يومها، ويوم سودة (٢).

* وكانت رضي الله عنها وأرضاها امرأة -مع كبر سنها فيما بعد- كبيرة الجسم حتى أنها لتعرف وتميز بين النساء إذا مشت، حتى قال عمر ذات يوم وقد خرجت سودة ليلا: إنك والله يا سودة ما تخفين علينا (٣).

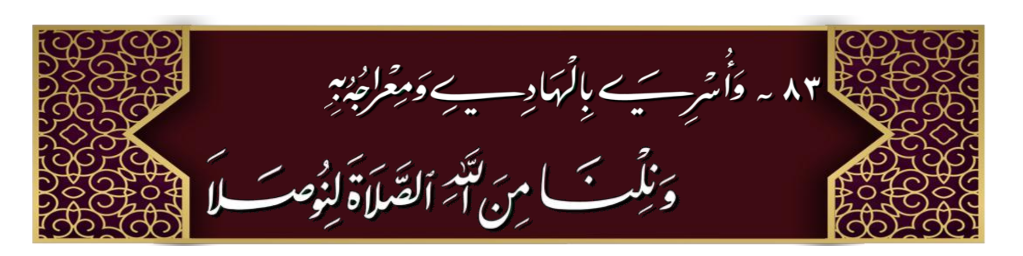
  

(١) طبقات ابن سعد: (٨/ ٥٤)، الإصابة: (٤/ ٣٣١).

(٢) صحيح البخاري - كتاب النكاح - باب كثرة النساء: (ج٨ ص١٢٧).

(٣) صحيح البخاري - كتاب النكاح - باب خروج النساء لحوائجهن: (ج٨ ص٢٠١).

رحلة الإسراء والمعراج



المعنى: وفي العام العاشر أيضا كانت رحلة الإسراء والمعراج التي نلنا بها حبل الصلة بالصلاة لنصل ونتصل بالله خمس مرات في اليوم والليلة.

تَنَسَّمْ من نسائم سيرته ﷺ عبير ما يلي:

* لقد مَنّ الله سبحانه وتعالى على نبينا الكريم ﷺ بمكافأة ربانية عظيمة جزاء له بعد الصبر والآلام وتخفيفا عنه بعد الحزن وما لاقاه من الأنام، وذلك بعد الحصار الذي استمر ثلاث سنوات في شعب أبي طالب وما لاقاه حينها من أذى وحرمان ثم فقد عمه أبي طالب ثم فقد أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها، وما لاقاه من إيذاء سفهاء ثقيف؛ فكانت رِحْلَةُ الإسْراءِ والمِعْراجِ هي البلسم لروحه الشريفة والمكافأة والمعجزة التي ظَهَرَ فيها فَضْلُ النَّبيِّ ﷺ وتبين قدره العظيم عند الله

سبحانه وتعالى، فقد كساه الله فيها من حلل القرب والوصال، وأناله من التكريم والمؤانسة أبهى نوال، وأحل عليه الرضا والرضوان وأظله بسحائب الإنعام والإحسان.

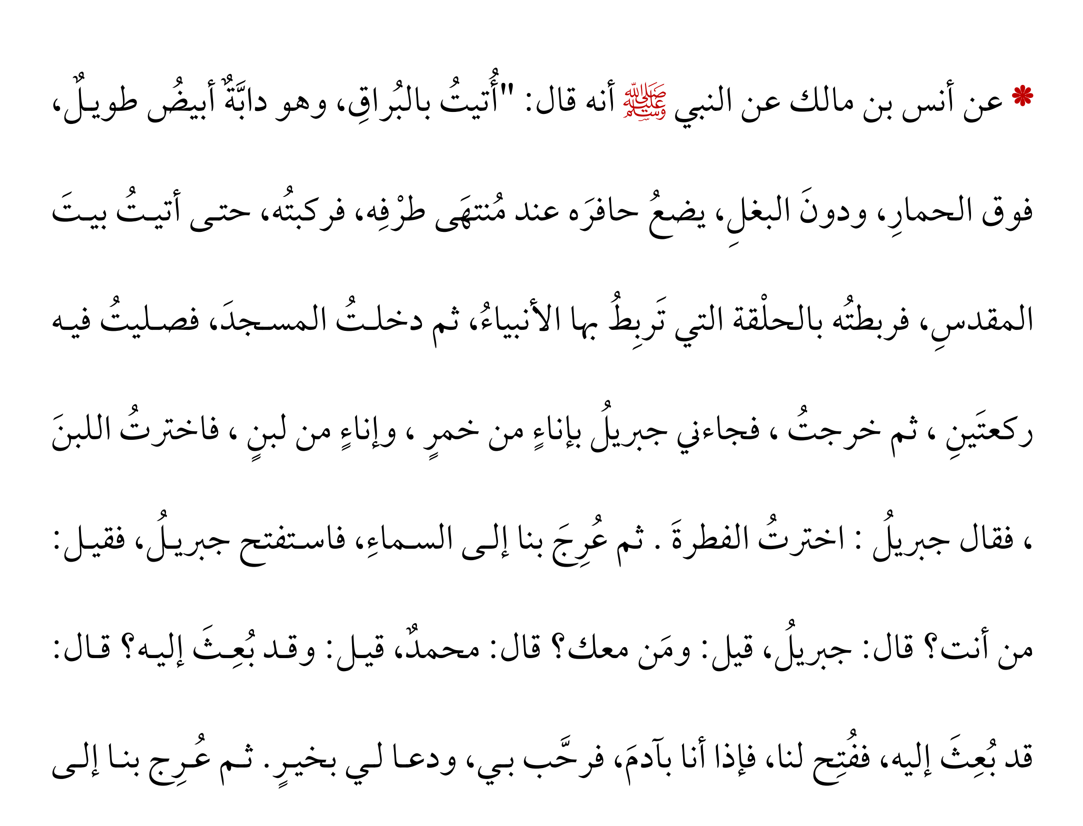
ورحلة الإسراء والمعراج هي حادثة ضمتها سكنات الليل سنة ٦٢١م في السنة الحادية عشرة من البعثة النبوية، وفيها أسرى الله بنبينا محمد ﷺ ليلا على دابة البراق مع سيدنا جبريل الأمين من المسجد الحرام بمكة، إلى بيت المقدس. وقد استنكرت قريش حدوث هذه المعجزة لدرجة أن بعضهم صار يصفق مستهزئا بما سمع، وقابل ذلك النبي ﷺ باليقين والثبات وأخبرهم أنه انتقل بعد ذلك من القدس في رحلة سماوية بصحبة سيدنا جبريل - عليه السلام - على دابة تسمى البراق وقد عرج به إلى الملأ الأعلى عند سدرة المنتهى أي إلى أقصى مكان يمكن الوصول إليهِ في السماء ثم عاد بعد ذلك في نفس الليلة بعد أحداث جليلة ومواقف عظيمة حكاها النبي ﷺ.

معني الإسراء والمعراج

معنى الإسراء: يُقصدُ **بالإسراء** الرحلة الأرضية من مكة لبيت المقدس، والانتقال المدهش العجيب بالقياس إلى مألوف البشر، والوصول في سرعة تتجاوز الخيال وتخرج عن حدود المعقول، يقول تعالى في سورة الإسراء: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾ [الإسراء:١].

والمعراج: هو الرحلة السماوية والارتقاء من الأرض إلى السماء وصولا إلى سدرة المنتهى، ثم العودة لمكة المكرمة، يقول تعالى في سورة النجم: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ١٨﴾ [النجم:١٣-١٨]

* وقد حدثت هاتان الرحلتان في نفس الليلة، وقد جاء ذكر الإسراء في سورة الإسراء، وتأخر الحديث عن المعراج إلى سورة النجم، لحكم ربانية ربما منها أن الإسراء رحلة أرضية فتقدم ذكرها وتأخر ذكر الرحلة السماوية وكذلك لتمحيص المسلمين حينها وبيان مدى تصديقهم للنبي ﷺ ومَن سيثبت ومَن سيرتد لتأخر نزول القرآن في ذكر المعراج الذي أكد حدوثه النبي ﷺ.



أحداث الرحلة العظيمة:

* عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: "أُتيتُ بالبُراقِ، وهو دابَّةٌ أبيضُ طويلٌ، فوق الحمارِ، ودونَ البغلِ، يضعُ حافرَه عند مُنتهَى طرْفِه، فركبتُه، حتى أتيتُ بيتَ المقدسِ، فربطتُه بالحلْقة التي تَربِطُ بها الأنبياءُ، ثم دخلتُ المسجدَ، فصليتُ فيه ركعتَينِ ، ثم خرجتُ ، فجاءني جبريلُ بإناءٍ من خمرٍ ، وإناءٍ من لبنٍ ، فاخترتُ اللبنَ ، فقال جبريلُ : اخترتُ الفطرةَ . ثم عُرِجَ بنا إلى السماءِ، فاستفتح جبريلُ، فقيل: من أنت؟ قال: جبريلُ، قيل: ومَن معك؟ قال: محمدٌ، قيل: وقد بُعِثَ إليه؟ قال: قد بُعِثَ إليه، ففُتِح لنا، فإذا أنا بآدمَ، فرحَّب بي، ودعا لي بخيرٍ. ثم عُرِج بنا إلى

السماءِ الثانيةِ، فاستفتح جبريلُ، فقيل: من أنت؟ قال: جبريلُ، قيل: ومَن معك، قال: محمدٌ، قيل: وقد بُعِث إليه؟ قال: قد بُعِث إليه، ففُتِح لنا، فإذا أنا بابني الخالةِ: عيسى بنِ مريمَ، ويحيى بنِ زكريا، فرحَّبا بي، ودَعوَا لي بخير. ثم عُرِجَ بنا إلى السماء الثالثةِ، فاستفتح جبريلُ، فقيل: من أنت؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك، قال: محمدٌ، قيل: وقد بُعِثَ إليه؟ قال: قد بُعِثَ إليه، ففُتِح لنا، فإذا أنا بيوسفَ، وإذا هو قد أُعطِيَ شَطرَ الحُسنِ، فرحَّب بي، ودعا لي بخيرٍ. ثم عُرِجَ بنا إلى السماءِ الرابعةِ، فاستفتح جبريلُ، فقيل: مَن هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومَن معك، قال: محمدٌ، قيل: وقد بُعِثَ إليه؟ قال: قد بُعِث إليه، ففُتِح لنا، فإذا أنا بإدريسَ، فرحَّب بي، ودعا لي بخيرٍ، قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾. ثم عُرِج بنا إلى السماءِ الخامسةِ، فاستفتح جبريلُ، فقيل: مَن هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومَن معك، قال: محمدٌ، قيل: وقد بُعِث إليه؟ قال: قد بُعِث إليه، ففُتِح لنا، فإذا أنا بهارونَ، فرحَّب بي، ودعا لي بخيرٍ. ثم عُرِج بنا إلى السماءِ السادسةِ، فاستفتح جبريلُ، فقيل: مَن هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومَن معك، قال: محمدٌ، قيل: وقد بُعِث إليه؟

قال: قد بُعِث إليه، ففُتِح لنا، فإذا أنا بموسى، فرحَّب بي، ودعا لي بخيرٍ . ثم عُرِج بنا إلى السماءِ السابعةِ ، فاستفتح جبريلُ ، فقيل : مَن هذا ؟ قال : جبريلُ ، قيل : ومن معك ، قال : محمدٌ ، قيل : وقد بُعِثَ إليه ؟ قال : قد بُعِث إليه ، ففُتِح لنا ، فإذا أنا بإبراهيمَ مُسنِدًا ظهرَه إلى البيتِ المعمورِ ، وإذا هو يدخلُه كلَّ يومٍ سبعون ألفَ ملَكٍ ، لا يعودون إليه ، ثم ذهب بي إلى سدرةِ المنتهى ، وإذا ورَقُها كآذانِ الفِيَلَةِ ، وإذا ثمرُها كالقِلالِ ، فلما غشِيَها من أمرِ اللهِ ما غَشِيَ تغيَّرتْ ، فما أحدٌ مِن خلْقِ اللهِ يستطيعُ أن ينعتَها من حُسنِها ، فأوحى اللهُ إليَّ ما أوحى ، ففرض عليَّ خمسين صلاةً في كلِّ يومٍ وليلةٍ . فنزلتُ إلى موسى، فقال: ما فرض ربُّك على أُمَّتِك؟ قلتُ: خمسين صلاةً، قال: ارْجِعْ إلى ربِّك فسَلْه التَّخفيفَ، فإنَّ أُمَّتَك لا تُطيقُ ذلك، فإني قد بلَوْتُ بني إسرائيلَ وخبَرْتُهم، فرجعتُ إلى ربي، فقلتُ : يا ربِّ خَفِّفْ عن أُمَّتي ، فحطَّ عني خمسًا . فرجعتُ إلى موسى، فقلتُ: حطَّ عني خمسًا، قال: إنَّ أُمَّتَك لا يُطيقون ذلك، فارجِعْ إلى ربِّك فسَلْه التَّخفيفَ. فلم أزلْ أرجعُ بين ربي وبين موسى حتى قال: يا محمدُ إنهنَّ خمسُ صلواتٍ كلَّ يومٍ وليلةٍ لكلِّ صلاةٍ عشرٌ،

فذلك خمسون صلاةً، ومن همَّ بحسنةٍ فلم يعملْها كُتِبَتْ له حسنةٌ، فإن عملَها كُتِبَتْ له عشرًا من همَ بسيئةٍ فلم يعملْها لم تكتبْ شيئًا، فإن عملها كُتِبَتْ سيئةً واحدةً. فنزلت حتى انتهيتُ إلى موسى، فأخبرتُه، فقال: ارجِعْ إلى ربِّك فسَلْه التَّخفيفَ، فقلتُ: قد رجعتُ إلى ربي حتى استحْيَيْتُ منه"(١).

* **وقال ابن القيم**: أسرى برسول الله ﷺ بجسده على الصحيح من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، راكبًا على البُرَاق، صحبة جبريل عليهما الصلاة والسلام، فنزل هناك، وصلى بالأنبياء إمامًا، وربط البراق بحلقة باب المسجد. ثم عرج به تلك الليلة من بيت المقدس إلى السماء الدنيا، فاستفتح له جبريل ففتح له، فرأي هنالك آدم أبا البشر، فسلم عليه، فرحب به ورد عليه السلام، وأقر بنبوته، وأراه الله أرواح السعداء عن يمينه، وأرواح الأشقياء عن يساره. ثم عرج به إلى السماء الثانية، فاستفتح له، فرأي فيها يحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم، فلقيهما وسلم عليهما، فردا عليه ورحبا به، وأقرّا بنبوته. ثم عرج به إلى السماء الثالثة، فرأي فيها يوسف،

(١) صحيح الجامع: (١٢٧)، وأخرجه مسلم (١٦٢) باختلاف يسير.

فسلم عليه فرد عليه ورحب به، وأقر بنبوته. ثم عرج به إلى السماء الرابعة، فرأي فيها إدريس، فسلم عليه، فرد عليه، ورحب به، وأقر بنبوته. ثم عرج به إلى السماء الخامسة، فرأي فيها هارون بن عمران، فسلم عليه، فرد عليه ورحب به، وأقر بنبوته. ثم عرج به إلى السماء السادسة، فلقى فيها موسى بن عمران، فسلم عليه، فرد عليه ورحب به، وأقر بنبوته. فلما جاوزه بكى موسى، فقيل له: ما يبكيك ؟ فقال: أبكى؛ لأن غلامًا بعث من بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتى. ثم عرج به إلى السماء السابعة، فلقى فيها إبراهيم عليه السلام، فسلم عليه، فرد عليه، ورحب به، وأقر بنبوته. ثم رفع إلى سدرة المنتهى، فإذا نَبْقُها مثل قِلاَل هَجَر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، ثم غشيها فراش من ذهب، ونور وألوان، فتغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها. ثم رفع له البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون. ثم أدخل الجنة، فإذا فيها حبائل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك. وعرج به حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صَرِيف الأقلام. ثم عرج به إلى الجبّار جل جلاله، فدنا منه حتى كان

قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه خمسين صلاة، فرجع حتى مرّ على موسى فقال له: بم أمرك ربك؟ قال: [بخمسين صلاة]. قال: إن أمتك لا تطيق ذلك، ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فالتفت إلى جبريل، كأنه يستشيره في ذلك، فأشار: أن نعم إن شئت، فعلا به جبريل حتى أتى به الجبار تبارك وتعالى، وهو في مكانه ـ هذا لفظ البخاري في بعض الطرق ـ فوضع عنه عشرًا، ثم أنزل حتى مر بموسى، فأخبره، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله عز وجل، حتى جعلها خمسًا، فأمره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف، فقال: [قد استحييت من ربي، ولكني أرضى وأسلم]، فلما بعد نادى مناد: قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي(١).



(١) زاد المعاد: (٢/ ٤٧، ٤٨).



الرد على مَن زعم أن

الإسراء كان بروح النبي ﷺ دون جسده

* قال الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ [الإسراء:١]: " فاعلم أن هذا الإسراء به ﷺ المذكور في هذه الآية الكريمة، زعم بعض أهل العلم أنه بروحه ﷺ دون جسده، زاعمًا أنه في المنام لا اليقظة، لأن رؤيا الأنبياء وحي. وزعم بعضهم: أن الإسراء بالجسد، والمعراج بالروح دون الجسد، ولكن ظاهر القرآن يدل على أنه بروحه وجسده ﷺ يقظة لا منامًا، لأنه قال: ﴿بِعَبْدِهِۦ ﴾ والعبد عبارة عن مجموع الروح والجسد، ولأنه قال: ﴿سُبْحَٰنَ ﴾ والتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، فلو كان منامًا لم يكن له كبير شأن حتى يُتعَجَّب منه".

* وقال ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري: "إن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة، في اليقظة بجسده وروحه ﷺ، وإلى هذا ذهب جمهور من علماء

المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك، إذْ ليس في العقل ما يحيله، حتى يحتاج إلى تأويل".

* وقال ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية: "ومما يدل على أن الإسراء بجسده في اليقظة قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء:١]، والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح، كما أن الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح، هذا هو المعروف عند الإطلاق، وهو الصحيح، فيكون الإسراء بهذا المجموع، ولا يمتنع ذلك عقلا، ولو جاز استبعاد صعود البشر لجاز استبعاد نزول الملائكة، وذلك يؤدي إلى إنكار النبوة وهو كفر".

* وقال حافظ الحكمي: "ولو كان الإسراء والمعراج بروحه في المنام لم تكن معجزة، ولا كان لتكذيب قريش بها وقولهم: كنا نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس، شهراً ذهابًا وشهراً إيابًا، ومحمد يزعم أنه أُسْرِىَ به الليلة وأصبح فينا

إلى آخر تكذيبهم واستهزائهم به ﷺ، لو كان ذلك رؤيا منامًا لم يستبعدوه ولم يكن لردهم عليه معنى، لأن الإنسان قد يرى في منامه ما هو أبعد من بيت المقدس ولا يكذبه أحد استبعاداً لرؤياه، وإنما قصَّ عليهم رسول الله ﷺ مسرى حقيقة يقظة لا منامًا، فكذبوه واستهزؤوا به استبعاداً لذلك واستعظامًا له، مع نوع مكابرة لقلة علمهم بقدرة الله عز وجل، وأن الله يفعل ما يريد".

* **وقال القاضي عياض**: "والحق من هذا والصحيح - إن شاء الله تعالى - أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها، وعليه تدل الآية، وصحيح الأخبار والاعتبار، ولا يُعْدَل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة، وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة، إذْ لو كان منامًا لقال: "بروح عبده". ولو كان منامًا لما كانت فيه آية ولا معجزة، ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه، ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به، إذ مثل هذا من المنامات لا يُنْكَر، بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته".

 **الخلاف في رؤية النبي ﷺ لله سبحانه وتعالى:**

* ذكر ابن القيم خلافًا في رؤيته ﷺ ربه تبارك وتعالى، ثم ذكر كلامًا لابن تيمية بهذا الصدد، وحاصل البحث أن الرؤية بالعين لم تثبت أصلًا، وهو قول لم يقله أحد من الصحابة. وما نقل عن ابن عباس من رؤيته مطلقًا ورؤيته بالفؤاد فالأول لا ينافي الثاني. ثم قال: وأما قوله تعالى في سورة النجم: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [النجم:٨] فهو غير الدنو الذي في قصة الإسراء، فإن الذي في سورة النجم هو دنو جبريل وتدليه، كما قالت عائشة وابن مسعود، والسياق يدل عليه، وأما الدنو والتدلي في حديث الإسراء فذلك صريح في أنه دنو الرب تبارك وتعالى وتدليه، ولا تعرض في سورة النجم لذلك، بل فيه أنه رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى. وهذا هو جبريل، رآه محمد ﷺ على صورته مرتين: مرة في الأرض، ومرة عند سدرة المنتهى، والله أعلم. انتهى(١).

---

(١) زاد المعاد: (٢/ ٤٧، ٤٨)، صحيح مسلم: (١/ ٩١، ٩٦)

* **وقال ابن القيم:** فلما أصبح رسول الله ﷺ في قومه أخبرهم بما أراه الله عز وجل من آياته الكبرى، فاشتد تكذيبهم له وأذاهم واستضرارهم عليه، وسألوه أن يصف لهم بيت المقدس، فجلاه الله له، حتى عاينه، فطفق يخبرهم عن آياته، ولا يستطيعون أن يردوا عليه شيئًا، وأخبرهم عن عيرهم في مسراه ورجوعه، وأخبرهم عن وقت قدومها، وأخبرهم عن البعير الذي يقدمها، وكان الأمر كما قال، فلم يزدهم ذلك إلا نفورًا، وأبي الظالمون إلا كفورًا (١).

(١) زاد المعاد: (١/ ٤٨)، صحيح مسلم: (١/ ٩٦)، صحيح البخاري: (٢/ ٦٨٤).

لقب الصّديق لأبي بكر من هبات الله في أحداث الإسراء والمعراج:



* يقال: سُمّي أبو بكر رضي الله عنه صدِّيقا لتصديقه هذه الوقعة حين كذبها الناس(١).

وهذه أبياتٌ لي كتبتُها في ذكرى الإسراء والمعراج:

رِحْلَةُ الْأَنْوَارِ

١.مَضَى الْأَسَى يَا رَسُولَ اللهِ فِي عَجَلِ	وَجِئْتَ مَسْرَاكَ لِلْأَقْصَى بِلَا سُؤُلِ
٢.وَكُحِّلَ الْعُمْرُ بِالْمِعْرَاجِ فَارْتَسَمَتْ	بِالْعِزِّ مُعْجِزَةٌ لِلْأُخْرِ وَالْأُوَلِ
٣.هَذَا عَزَاءٌ مِنَ الرَّحْمَنِ مَشْهَدُهُ	مَدَى الزَّمَانِ مُقِيمٌ لَاذَ بِالْمُقَلِ
٤.بَاهَى بِقَدْرِكَ تَكْرِيمٌ لَهُ قِبَلُ	أَلْقَى عَلَى يَدِكَ السُّلْوَانَ بِالْقُبَلِ
٥. إِنَّ الْجُرُوحَ أَقَرَّتْ وَهْيَ لَاهِفَةٌ	هَذَا دَوَاؤُكَ مِنْ حُزْنٍ وَمِنْ عِلَلِ
٦.وَبِالْبُرَاقِ أَتَى جِبْرِيلُ فَابْتَسَمَتْ	مِنْ حُسْنِ طَلْعَتِهِ الْأَفْلَاكُ لِلْجَبَلِ
٧.بِحَلْقَةِ الْبَيْتِ أَوْثَقْتَ الْبُرَاقَ وَقَدْ	صَلَّيْتَ بِالْأَنْبِيَا وَالْقُدْسُ فِي وَجَلِ
٨.وَقَامَ جِبْرِيلُ بِالْمُخْتَارِ يَصْحَبُهُ	إِلَى السَّمَا اسْتَفْتَحَ الْأُولَى عَلَى مَهَلِ
٩.عَلَيْهِ آدَمُ بِالتَّسْلِيمِ قَابَلَهُ	وَخَطَّ تَأْيِيدَهُ بِالْقَلْبِ كَالْكَحَلِ
١٠.وَعَنْ يَسَارٍ رَأَى أَهْلَ الشَّقَا وَبِهَا	عَنِ الْيَمِينِ رَأَى الْأَخْيَارَ بِالْحُلَلِ
١١.وَفِي السَّمَاءِ بِثَانِيهَا عَلَا فَتَلَا	عِيسَى وَيَحْيَى لَهُ التَّسْلِيمَ بِالْأُصُلِ

(١) ابن هشام: (١/ ٣٩٩)

١٢.وُحُسْنُ أَحْمَدَ لَاقَى حُسْنَ يُوسُفَ فِي	عَلْيَـاءَ ثَالِثَـةٍ مِـنْ ذَاكَ فِـي ثَمَـلِ
١٣.عَلَيْـهِ فَضَّـتْ عُقُـودَ الـدُّرِّ رَابِعَـةٌ	فِيهَـا وَسَـلَّمَ إِدْرِيسٌ عَلَـى الْبَطَـلِ
١٤.زِدْنِـي بِخَامِسَـةٍ يُنْسِـي الـدُّجَى فَمُهَـا	عَلَيْـهِ سَـلَّمَ هَـارُونٌ إِلَـى أَجَـلِ
١٥.أَمَّـا بِسَادِسَـةٍ بِالْحُـبِّ أَيَّـدَهُ	مُوسَـى وَسَـلَّمَ وَالْعَيْنَـانِ فِي وَشَـلِ
١٦.يَـا أُنْـسَ سَـابِعَةٍ هَمَّـتْ أَمَامَهُمَـا	لَمَّـا رَآهُ خَلِيـلُ اللهِ بِـالْغَزَلِ
١٧.لَعَمْـرُكَ انْتَشَـرَتْ أَنْفَـاسُ مِعْرَجِـهِ	بِسِـدْرَةِ الْمُنْتَهَـى مِسْكًا عَلَـى النُّـزُلِ
١٨.بِالتِّبْرِ أَنْوَارُ فُرْشِ الرَّوْضِ قَدْ مُزِجَتْ	وَسِـدْرَةُ الْمُنْتَهَـى نَبْـقٌ كَمَـا الْقُلُـلِ
١٩.نُـورٌ وَمِـنْ ذِكْـرِهِ نُـورٌ جَـرَى بِـدَمِي	وَوَرْقُهَـا أُذْنُ فِيـلٍ لَاحَ مِـنْ طِـوَلِ
٢٠.وَيَـا مُحَمَّـدُ ذَا الْمَعْمُـورُ رِفْعَتُـهُ	حَاكَـتْ مَقَامَـكَ يَـا رَيْحَانَـةَ الرُّسُـلِ
٢١.مِـنَ الْمَلَائِـكِ سَبْعُونَ أَلْـفَ تَدْخُلُـهُ	وَلَا يَعُـودُونَ يَوْمِيًّـا بِـلَا كَسَـلِ
٢٢.وَلِلْجِنَـانِ فِـدَاهُ الـنَّفْسُ أُدْخِـلَ فَـاعْ	تَلَـى الْجَنَـانُ بِـهِ وَالنَّـاسُ فِـي دَخَـلِ
٢٣.لَـوْ أَنَّ مِـنْ تُرْبِهَـا الْمِسْكُ انْتَقَى وَطَنًا	لَـرَامَ فِـي نَعْلِـهِ خُلْـدًا وَلَـمْ يَفِـلِ
٢٤.أَلَا وَقَـدْ سَـمِعَ الْمُخْتَـارُ فِـي دَرَجٍ	صَـرِيفَ أَقْـلَامِ جُنْـدِ اللهِ فِـي وَجَـلِ
٢٥.وَلِلْكَـرِيمِ انْتَهَـى بِـالْعَطْفِ مِعْرَجُـهُ	وَالْعَطْفُ يَرْوِيهِ رِيَّ السُّحْبِ بِالذُّلُلِ
٢٦.هُنَـا بَـدَا قَـابَ قَوْسَيْنِ الْحَبِيبُ وَمَـا	لَمَّـا دَنَـا زَاغَ بَصَـرٌ مِنْـهُ بِالزَّلَـلِ
٢٧.يَا بَهْجَةَ الْقَلْبِ وَالْجُلَّاسُ قَدْ رَحَلُوا	وَصْلِي الصَّلَاةُ وَمِشْكَاتِي وَمُغْتَسَلِي
٢٨. إِنَّ الْوِصَـالَ بِفَـرْضِ اللهِ مُنْسَـدِلٌ	وَالْهَدْيُ مِنْ رِحْلَةِ الْأَنْوَارِ فِي سَدَلِ

٢٩.لِمَـا بَـدَا لِرَسُـولِ اللهِ مِـنْ وَهَـنٍ ... فِي النَّاسِ نَاجَى لِتَخْفِيفٍ مِنَ الثِّقَلِ

٣٠.أَخُـوهُ مُوسَـى بِـذَا أَوْصَـى وَأَيَّـدَهُ ... فَظَـلَّ يَرْجِـعُ حَتَّـى فَـازَ بِالْأَمَـلِ

٣١.هُنَـا قَضَـى اللهُ خَمْسًـا لِلْعِبَـادِ وَفِـي ... ثَوَابِهَـا عَشْـرُ أَضْـعَافٍ مِـنَ الْعَمَـلِ

٣٢.بِالْجِسْمِ وَالرُّوحِ أَسْرَى اللهُ فِي ظُلَلِ ... مِـنَ الْكَرَامَـاتِ بِالْمُخْتَـارِ لَـمْ تَـزُلِ

٣٣.بِمِثْلِ هَـذَا جَرَى الْمِعْـرَاجُ فَارْتَفَعَتْ ... أَنْـوَارُ صِـدْقٍ وَإِيمَـانٍ عَلَـى الْجَـدَلِ

٣٤.دَلِيـلُ مَسْـرَاهُ بِالْإِسْـرَاءِ نَقْـرَؤُهُ ... وَسُـورَةُ الـنَّجْمِ فِـي الْمِعْـرَاجِ لِلْقُبُـلِ

٣٥.مَوْلَايَ صَلِّ عَلَى الْمُخْتَارِ مَا رَجَعَتْ ... بِـذِكْرِ إِسْـرَائِهِ الْأَيَّـامُ كَالْعَسَـلِ

٣٦.وَصَلِّ دَوْمًا مَدَى الْأَزْمَانِ مَا نَسَخَتْ ... شَرِيعَةُ الْمُصْطَفَى مَا فَاتَ مِنْ مِلَلِ

٣٧.صَـلَاةَ صِـدْقٍ بِهَـا الْأَقْصَـى نُحِـرِّرُهُ ... وَالسُّؤْلُ يَا رَبَّنَا عَفْوٌ عَنِ الزَّلَلِ.(٤)

الخلاف في زمن الإسراء والمعراج:

* قلتُ إنه كان في العام العاشر من البعثة، وهذا هو أحد الأقوال التي وردت، وتفصيلها كالتالي:

١- قيل إن الإسراء والمعراج كانتا في السنة التي بعث اللهُ فيها سيدنا محمدًا ﷺ نبيا.

٢- وقيل كان بعد البعثة بخمس سنوات.

٣- وقيل في السنة العاشرة للبعثة، وهذا ما ذكرته في البيت؛ لأن ذلك في نهاية عام الحزن الذي عاشه النبي ﷺ، وهذه الرحلة إلى جانب مقاصدها العظمى كانت مواساة من الله ليخفف عن نبيه ما لاقاه من أحزان متتالية، والتعزية تكون تلو الأحداث المحزنة ولا يعقل أن تكون بعدها أو قبلها بعدة سنوات، ولكن تحديد الشهر يُختلف فيه، وأرى أنه في نهاية السنة العاشرة أو في أول السنة الحادية عشرة؛ لأن السيدة خديجة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - توفيت في رمضان من السنة العاشرة وتوفي أبو طالب قبلها بشهر وخمسة أيام وفي أحد الأقوال أنه توفي قبلها بثلاثة أيام، والله أعلم.

٤- وقيل كانت الإسراء والمعراج في شهر رمضان من السنة الثانية عشرة للبعثة.

٥- وقيل في شهر الله المحرم من السنة الثالثة عشرة للبعثة.

٦- وقيل في شهر ربيع الأول من السنة الثالثة عشرة للهجرة.

ومضة الجوهرة ببعض مقاصد رحلة الإسراء والمعراج:

١- الوعي بالمعجزة والتسليم بها.

٢- تكريم النبي ﷺ بهذه المعجزة، وإن معجزة القرآن هي أكبر المعجزات بما حوى من أسرار وإعجاز لا يبلى مدى الدهر ولا تنتهي عجائبه.

٣- إمامة النبي - ﷺ- للأنبياء وفيه إشارة لأنه بعث رحمة للعالمين وللناس كافة.

٤- تعزية النبي - ﷺ- بعد الذي لاقاه من أحزان وتعب.

٦- إطلاع المؤمنين على مشاهد قدرة الله عز وجل ليزيدهم يقينا بقوة هذا الدين وعظمة الإسلام، ويزيدهم حبا في النبي ﷺ فيكملون مسيرتهم باليقين اللازم والعزم الكامل.

٧- الفوائد المتعددة التي تجلت في طيات تلك المقاصد، نحو: فضيلة السفر ليلا واستحباب ما فيه الفطرة باختيار اللبن، فضل الإلحاح على الله عز وجل والشفاعة في عدد ركعات الصلاة ليعلمنا ذلك الفضل، صلاة .

٨- الآداب التي ظهرت لنا لنتعلم ولتؤثر في أرواحنا هذا التأثير البليغ وتجعلنا نعيش المشاهد ونتعلم منها وكأننا مع النبي ﷺ، نحو:

* استفتاح سيدنا جبريل - عليهم السلام- عند كل سماء والأدب العالي في ذلك، وكذلك البشاشة والترحاب من الأنبياء عليهم السلام عند استقبال النبي ﷺ.

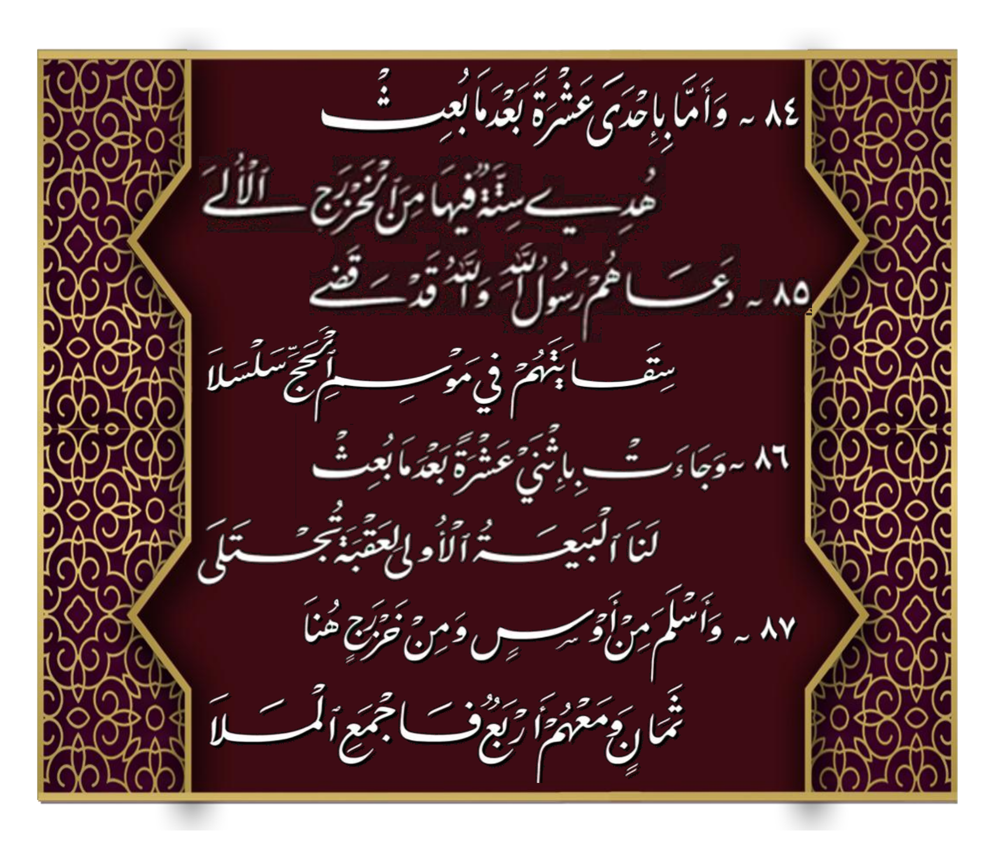
* المحبة التي ظهرت في هذه الرحلة بين الأنبياء - عليهم السلام - وعندما صلّى بهم تبث روح الحب وتسمو بالنفس للعلياء، وتظهر الصلة الكبرى التي تجمعهم بعيدا عن التفكير المحدود لعامة البشر والأقران، وقد تجلت كذلك في دعائهم للنبي ﷺ.

* إنصاف النبي ﷺ عندما أثنى على سيدنا يوسف عليه السلام وقال: (قد أعطي شطر الحسن).

* وُدّ النبي ﷺ وقربه ورقته عندما قال عن سيدنا عيسى عليه السلام: (فإذا أنا بابني الخالة: عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما).

* حياء النبي - ﷺ- الذي تجلى في قوله: (فقلتُ: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه).

بيعة العقبة الأولى



المعنى: في السنة الحادية عشرة مِن البعثة أسلم ستة من أهل يثرب بعدما دعاهم الرسول - ﷺ- في موسم الحج، وكانوا من رؤساء الأنصار، ولما عادوا إلى المدينة نشروا الإسلام، **وهؤلاء الستَّة من الخزرج، هم:**

١- أسعد بن زرارة بن عُدَي (أبو أُمامة).

٢- عوف بن الحارث بن رفاعة (ابن عفراء).

٣- رافع بن مالك بن العَجْلان.

٤- قطبة بن عامر بن حَديدة.

٥- جابر بن عبدالله بن رِئَاب.

٦- عقبة بن عامر بن نابي.

* وقولي: (**والله قد قضى سقايتهم في موسم الحج سلسلا**) أي: سقيا الهداية للإسلام وسقيا الإيمان مع ماء زمزم.

وفي الموسم التالي للحج في السنة الثانية عشرة من البعثة يوليو

٦٢١ م جاء للنبي -ﷺ- اثنا عشر رجلا منهم خمسة من الستة الذين أسلموا في العام السابق لهذا العام، وسادسهم جابر بن عبد الله بن رِئَاب لم يحضر، وجاء مع الخمسة الذين أسلموا سبعة غيرهم، والتقوا برسول الله -ﷺ- عند العقبة بمني

فبايعوه بيعة النساء أي وفق بيعتهن التي نزلت بعد الحديبية (١)، وهؤلاء السبعة هم:

١- من بني غَنْم: عبادة بن الصامت.

٢- من بني النجار: معاذ بن الحارث، (ابن عفراء).

٣- من بني سالم: العباس بن عُبَادة بن نَضْلة.

٤- من بني زُرَيْق: ذكوان بن عبد القيس.

٥- من حلفاء بني غَنْم: يزيد بن ثعلبة.

 **هؤلاء من الخزرج أما من الأوس فقد أسلم:**

٦- من بني عمرو بن عوف: عُوَيْم بن ساعدة.

٧- من بني عبد الأشهل: أبو الهيثم بن التَّيِّهَان.

---

(١) العَقَبَةُ: مكان بمنى قرب مكة المكرمة، والخَزْرَجُ: قبيلة قحطانية يمنية نزحت إلى المدينة المنورة وأهلها أحد فرعي الأنصار، والأوس: قبيلة قحطانية يمنية نزحت إلى المدينة المنورة وأهلها أحد فرعي الأنصار، والبيعة هي: المعاهدة على الطاعة والنصرة، ولقد بايع النبيّ -ﷺ- في بيعة العقبة الأولى قبيلتي الأوس والخزرج، وقد كان في تلك البيعة عدّة نقاط متفق عليها لكنها خلت من القتال أو الجهاد؛ ولذا سُمّيت بيعة النّساء.

* فعن عبادة بن الصامت أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "بايعُونِي علَى أن لا تُشْرِكُوا باللهِ شيئًا، ولا تَسْرِقُوا، ولا تَزْنُوا، ولا تقتُلُوا أولادكُم، ولا تأتوا ببهتانٍ تفترُونَهُ بينَ أيدِيكُم وأرجلِكُم، ولا تعْصُوا فِي معروفٍ، فمَنْ وَفَّى منكُم فأَجْرُهُ على اللهِ، ومَنْ أَصَابَ مِن ذلِكَ شيئًا فعُوقِبَ بهِ في الدُّنْيَا فهو كَفَّارَةٌ، ومن أصابَ مِن ذلكَ شيئًا ثم سترَهُ اللهُ فهو إلى اللهِ، إن شاءَ عفا عنهُ، وإن شاءَ عاقَبَهُ، فبايعنَاهُ على ذلكَ"(١).

* وتقسيمي لعدد مَن في المنظومة هكذا: (**وأسلَم من أوسٍ ومِن خَزرجٍ هنا ... ثمانٍ ومعهم أربعٌ فاجمع الملا**) جاء بحسب تيسر الوزن العروضي وما سمح به؛ لذا قلتُ فاجمع الملا أي اجمعهم ليكون العدد اثني عشر رجلًا وهذا هو الحاصل والمهم.

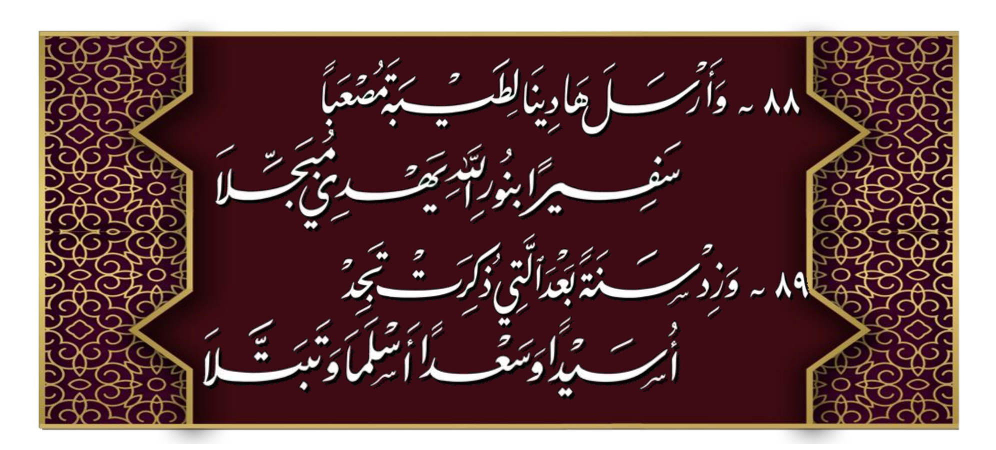
  

(١) فتح الباري لابن رجب: (١/ ٦١).

 سفر مصعب بن عمير وعمرو ابن أم مكتوم 

لتعليم أهل المدينة، وإسلام أسيد ابن الحضير

رضي الله عنهم جميعا



المعنى: لما انصرف النفر الذين أسلموا في موسم الحج إلى المدينة وبعث معهم النبي - ﷺ - مصعب بن عمير ومعه عمرو ابن أم مكتوم يعلمان من أسلم من أهل المدينة القرآن، فكانا سفيرين يدعوان إلى الله عز وجل، وكان مصعب بن عمير يؤمهم، وأسلم على يديهما خلق كثير منهم: أسيد بن الحضير وسعد بن معاذ، وكان إسلام أسيد وسعد في السنة الثالثة عشرة من البعثة.

 **تَنَسَّمْ من نسائم سيرته -ﷺ- عبير ما يلي:**

* في ذكر إسلام أسيد بن الحضير وسعد بن معاذ "قال ابن إسحاق : وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم؛ أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر فدخل حائطا من حوائط بني ظفر ، فجلسا فيه، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ، وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما، وكلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ، لأسيد بن حضير : لا أبا لك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارينا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي ، ولا أجد عليه مقدما ، فأخذ أسيد بن حضير حربته، ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا سيد قومه ، قد جاءك ، فاصدق الله فيه. ثم قال مصعب: إن يجلس هذا أكلمه. قال: فوقف عليهما متشمتا، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا، اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة. فقال له مصعب:

أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرا قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكره. قال: أنصفت. ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن. فقالا فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم. ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له: تغتسل فتطهر، وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي. فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يختلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، وهو سعد بن معاذ. ثم أخذ حربته فانصرف إلى سعد وقومه، وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا، قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بن حضير بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأسا، وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك. فقام سعد مغضبا مبادرا تخوفا للذي ذكر له من بني حارثة،

فأخذ الحربة من يده وقال: والله ما أراك أغنيت عنا شيئا. ثم خرج إليهما، فلما رآهما سعد مطمئنين، عرف أن أسيدا إنما أراد منه أن يسمع منهما. فوقف عليهما متشتما، ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة، أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت مني هذا. أتغشانا في دارينا بما نكره، وقد قال أسعد بن زرارة، لمصعب بن عمير: أي مصعب، جاءك والله سيد من وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان. قال: فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمرا قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره. قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن. قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم. ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين. قالا: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تركع ركعتين. قال فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ثم شهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عامدا إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير، فلما رآه قومه مقبلا قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم. فلما وقف عليهم قال:

يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله. قال: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما ومسلمة.

* **قال أبو عمر:** حاشا الأصيرم، وهو عمرو بن ثابت بن وقش، فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد، فأسلم واستشهد ولم يسجد لله سجدة، وأخبر رسول الله ﷺ أنه من أهل الجنة.

* **رجع إلى ابن إسحاق:** قال ورجع مصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد، وخطمة ووائل وواقف، وتلك أوس الله، وهم من الأوس بن حارثة.

* **قال أبو عمر:** وكانوا سكانا في عوالي المدينة، فأسلم منهم قوم، وكان سيدهم أبو قيس صيفي بن الأسلب، فتأخر إسلامه وإسلام سائر قومه إلى أن مضت بدر وأحد والخندق ثم أسلموا كلهم.

ورأيت في "التاريخ الأوسط" للبخاري أن أهل مكة سمعوا هاتفا يهتف قبل إسلام سعد بن معاذ:

فإن يسلم السعدان يصبح محمد بمكة لا يخشى خلاف المخالف.

فحسبوا أنه يريد القبيلتين سعد هذيم من قضاعة، وسعد بن زيد مناة بن تميم، حتى سمعوه يقول:

فيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصرا ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

أجيبا إلى داعي الهدى وتمنيا على الله في الفردوس منية عارف"(١).

---

(١) عيون الأثر:(ص٢٩٦ إلى ٢٧١).

بيعة العقبة الثانية



المعنى: في هذا البيت يأتيك الحديث عن بيعة العقبة الثانية في السنة الثالثة عشرة للبعثة- يونيو سنة ٦٢٢م، وقد اهتدى فيها ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان للإسلام وبايعوا النبي ﷺ وعاهدوه على السمع والطاعة.

* وتفصيل هذه البيعة؛ أنه قد قدِمَ وفد من الأنصار للحج مع قومهم من

المشركين، وفي الطريق تساءل هؤلاء المسلمون فيما بينهم: حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف؟ ... وبعد وصولهم اتصلوا بالرسول ﷺ سرا، وتواعدوا على اللقاء ليلا بعد مضي ثلث الليل الأول في أوسط أيام التشريق في الشعب الذي عند العقبة حيث الجمرة الأولى من منى، وحينها تسلَّل الرَّجُلُ والرجلان حتى تم عددهم ثلاثة وسبعين، وكانت معهم امرأتان، هما: نُسَيبة بنت كعب من بني النجار، وأسماء بنت عمرو من بني سَلمة، وجاءهم النبي ﷺ وليس معه إلا عمه العباس بن عبد المطلب وهو على دين قومه لكنه جاء يستوثق لابن أخيه حرصا عليه، وبايع وفدُ الأنصار النبيَّ - ﷺ - على السمع والطاعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنفقة في اليسر والعسر، ونصرة النبي ﷺ والدين، واتفقت بيعة العقبة الثانية في مضمونها وأهدافها مع بيعة العقبة الأولى، ففيهما تم إشهار الدخول في الإسلام أمام رسول الله ﷺ ، والمبايعة وأخذ العهود على الإخلاص في نصرة الدين وطاعة أوامر رسول الله ﷺ ونصرته.

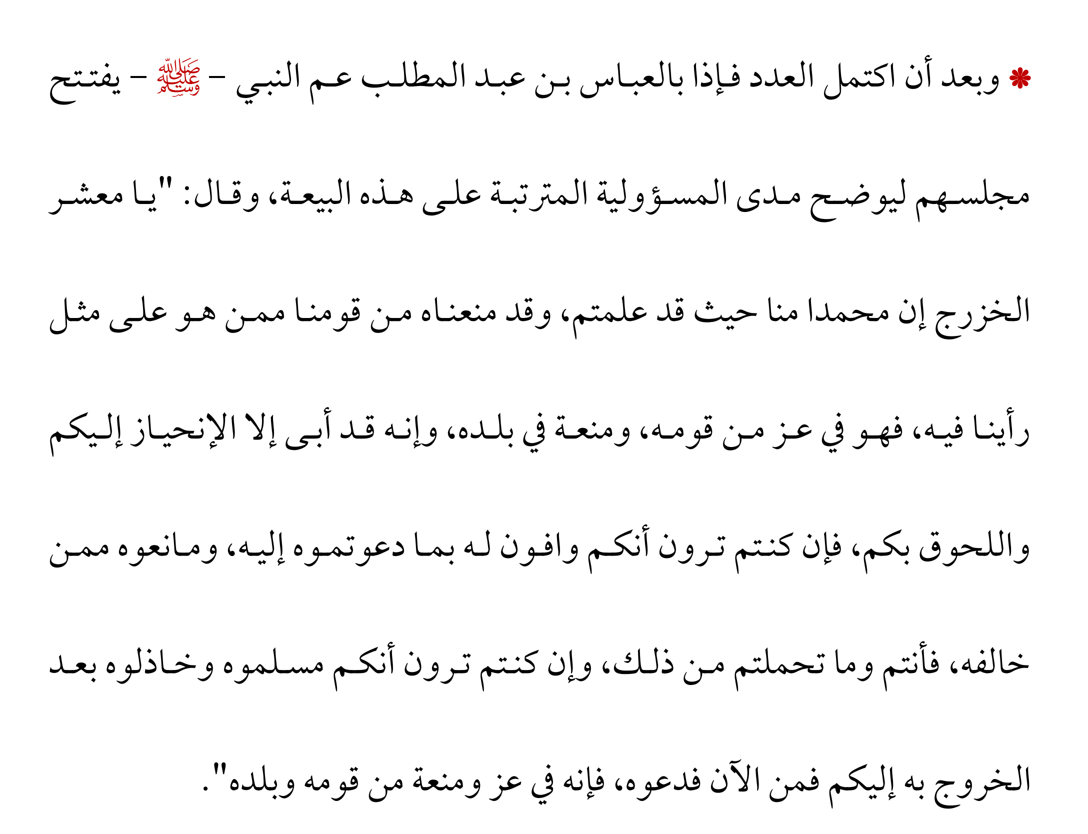
 **تنسم من نسائم سيرته ﷺ عبير ما يلي:**

* يقول كعب بن مالك الأنصاري أحد قادة الأنصار رضي الله عنه:

"خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام، سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا- وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا- فكلمناه، وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا، ثم دعوناه إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة، قال: فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيبا".

وقال كعب: "فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله ﷺ ، نتسلل تسلل القطا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان من نسائنا:

نسيبة بنت كعب- أم عمارة- من بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو- أم منيع- من بني سلمة، فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا، ومعه (عمه) العباس عبد المطلب- وهو يومئذ على دين قومه- إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، وتوثق له، وكان أول متكلم (١).



توضيح العباس خطورة المسؤولية للأنصار:

* وبعد أن اكتمل العدد فإذا بالعباس بن عبد المطلب عم النبي - ﷺ - يفتتح مجلسهم ليوضح مدى المسؤولية المترتبة على هذه البيعة، وقال: "يا معشر الخزرج إن محمدا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الإنحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده".

(١) ابن هشام: (١/ ص، ٤٤٠، ٤٤١).

قال كعب: فقلنا لـه: قـد سـمعنا مـا قلـت، فـتكلـم يـا رسـول الله، فخـذ لنفسـك ولربك ما أحببت"(١).

وألقى **النبي** - ﷺ - بيانه، وتمت البيعة، وقد اتضح ما كانوا عليه من جد وعزم وإصرار، ويقين وإيمان وإخلاص، وشجاعة في تحمل تلك المسؤولية العظيمة رغم خطورة العاقبة والمآل.

بنود البيعة:

* روى الإمام أحمد بإسناد حسن عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أنه قال:

"قلنا يا **رسول الله** على ما نبايعك؟

قال: " على السمع والطاعة في النشاط والكسل.

وعلى النفقة في العسر واليسر.

وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) ابن هشام: (١/ص، ٤٤٠، ٤٤١).

وعلى أن تقوموا في الله، لا تأخذكم في الله لومة لائم.

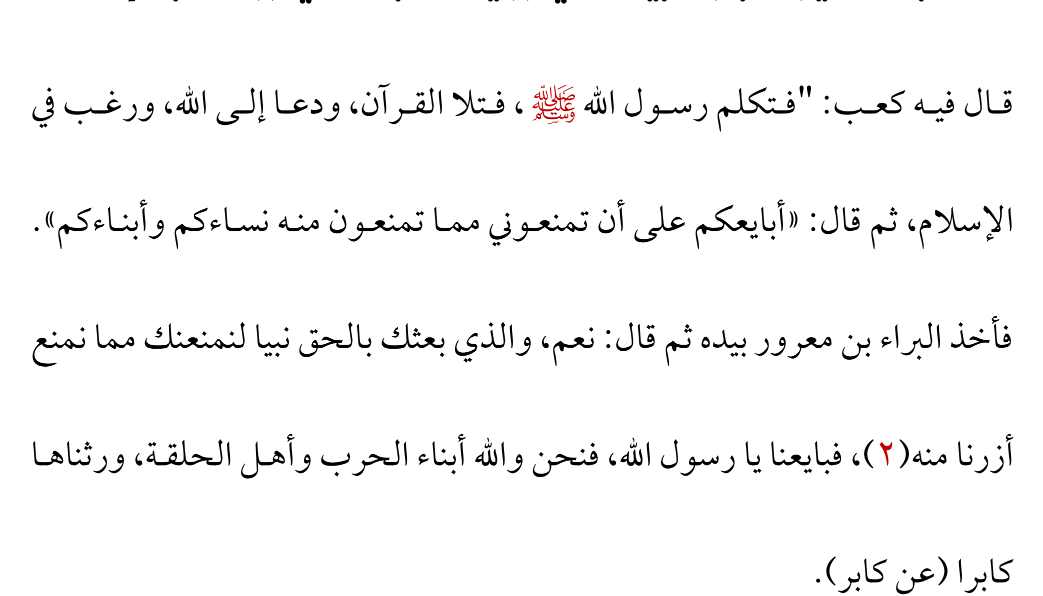
وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة"(١).

* والرواية الكاملة لذلك عن جابر بن عبد الله – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أنه قال: "أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لَبِثَ عَشْرَ سِنينَ يَتْبَعُ الحاجَّ في مَنازِلِهم في المَوسِمِ وبِمِجَنَّةَ وبعُكاظَ، وبمَنازِلِهم بمِنًى يقولُ: مَن يُؤْويني؟ مَن يَنصُرُني؟ حتى أُبَلِّغَ رِسالاتِ ربِّي وله الجَنَّةُ؟ فلا يَجِدُ أحَدًا يَنصُرُهُ ويُؤْويه، حتى إنَّ الرَّجُلَ يَرْحَلُ مِن مُضَرَ، أو مِن اليَمَنِ، إلى ذي رَحِمِه، فيَأْتيه قَومُه، فيَقولون: احْذَرْ غُلامَ قُرَيشٍ لا يَفتِنُكَ، ويَمشي بَينَ رِحالِهم يَدعوهم إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ يُشيرون إليه بالأصابِعِ، حتى بَعَثَنا اللهُ عَزَّ وجَلَّ له مِن يَثرِبَ، فيَأتيه الرَّجُلُ فيُؤمِنُ به، فيُقرِئه القُرآنَ، فيَنقَلِبُ إلى أهلِهِ، فيُسلِمون بإسْلامِه، حتى لم يَبقَ دارٌ مِن دُورِ يَثرِبَ إلَّا فيها رَهْطٌ مِن المُسلِمين يُظهِرون الإسلامَ، ثُمَّ بَعَثَنا اللهُ عَزَّ وجَلَّ، فأْتَمَرْنا، واجتَمَعْنا سَبعون رَجُلًا منَّا،

(١) انظر ابن هشام: (١/ ٤٥٤).

فقُلْنا: حتى متى نَذَرُ رسولَ اللهِ ﷺ يُطرَدُ في جِبالِ مكَّةَ، ويَخافُ، فرَحَلْنا حتى قَدِمْنا عليه في المَوسِمِ، فواعَدْناه شِعْبَ العَقَبةِ، فقال عَمُّه العبَّاسُ: يا ابنَ أخي، إنِّي لا أدْري ما هؤلاء القَومُ الذين جاءوكَ؟ إنِّي ذو مَعْرِفةٍ بأهلِ يَثرِبَ، فاجتَمَعْنا عِندَه مِن رَجُلٍ ورَجُلَينِ، فلمَّا نَظَرَ العبَّاسُ في وُجوهِنا، قال: هؤلاء قَومٌ لا أعْرِفُهم، هؤلاء أحْداثٌ، فقُلْنا: يا رسولَ اللهِ، عَلامَ نُبايِعُكَ؟ قال: تُبايِعوني على السَّمعِ والطاعةِ في النَّشاطِ والكَسَلِ، وعلى النَّفَقةِ في العُسْرِ واليُسْرِ، وعلى الأمْرِ بالمَعْروفِ، والنَّهْيِ عن المُنكَرِ، وعلى أنْ تَقولوا في اللهِ لا تَأخُذُكم فيه لَومةُ لائمٍ، وعلى أنْ تَنصُروني إذا قَدِمْتُ يَثرِبَ، فتَمْنَعوني ممَّا تَمنَعون منه أنفُسَكُم وأزْواجَكُم وأبْناءكُم ولكم الجَنَّةُ، فقُمْنا نُبايِعُه، فأخَذَ بيَدِه أسْعَدُ بنُ زُرارةَ، وهو أصغَرُ السَّبْعين، فقال: رُوَيدًا يا أهلَ يَثرِبَ، إنَّا لم نَضرِبْ إليه أكْبادَ المَطيِّ إلَّا ونحن نَعلَمُ أنَّه رسولُ اللهِ، إنَّ إخْراجَه اليومَ مُفارَقةُ العَرَبِ كافَّةً، وقَتْلُ خيارِكُم، وأنْ تَعَضَّكُم السُّيوفُ، فإمَّا أنتم قَومٌ تَصْبِرون على السُّيوفِ إذا مَسَّتْكُم، وعلى قَتْلِ خيارِكُم، وعلى مُفارَقةِ العَرَبِ كافَّةً،

فخُذوه وأجْرُكُم على اللهِ، وإمَّا أنتُم قَومٌ تَخافون مِن أنفُسِكُم خيفةً فذَروه، فهو أعْذَرُ عِندَ اللهِ، قالوا: يا أسْعَدُ بنَ زُرارةَ أمِطْ عنَّا يَدَكَ، فواللهِ لا نَذَرُ هذه البَيعةَ، ولا نَستَقيلُها، فقُمْنا إليه رَجُلًا رَجُلًا يَأخُذُ علينا بشُرْطةِ العبَّاسِ، ويُعْطينا على ذلك الجَنَّةَ"(١).



البند الأخير من بنود البيعة في رواية كعب- التي رواها ابن إسحاق،

قال فيه كعب: "فتكلم رسول الله ﷺ ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم».

فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع أزرنا منه(٢)، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحلقة، ورثناها كابرا (عن كابر).

قال: فاعترض القول- والبراء يكلم رسول الله ﷺ - أبو الهيثم بن التيهان فقال:

(١) صحيح، تخريج المسند لشعيب: (١٤٦٥٣)، وأخرجه الإمام أحمد (١٤٦٥٣) واللفظ له، والبزار كما في ((مجمع الزوائد)) (٦/ ٤٩)، وابن حبان (٦٢٧٤).

(٢) (مما نمنع أزرنا منه): لأنه يُكَنّى عن المرأة بالإزار عند العرب، والإزار كناية عندهم أيضا عن النفس.

يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا، وإنا قاطعوها- يعني اليهود- فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟

قال: فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم"(١).



التحذير من خطورة البيعة:

* وبعد الحديث عن شروط البيعة، وقبل الشروع في عقدها قام صحابيان من الذين أسلموا قبل ذلك بعام أو بعامين من النبوة، وتحدثا عن عِظَمِ المسؤولية؛ حتى لا يبايعوا النبي - ﷺ- إلا عن وعي كامل بطبيعة الأحداث؛ وذلك للتأكد من استعداد أهل هذه البيعة لتحمل المسئولية والاطمئنان فيما هو قادم.

* **قال جابر بن عبد الله في روايته**: "فقمنا نبايعه، فأخذ بيده أسعد بن زرارة- وهو أصغر السبعين- فقال رويدا يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن

(١) ابن هشام ١/ ٤٤٢.

تعضكم السيوف، فإما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه، وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه، فهو أعذر لكم عند الله"(١).

* **وقال ابن إسحاق**: "لما اجتمعوا للبيعة قال العباس بن عبادة بن نضلة: هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلا أسلمتموه، فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة.

* **قالوا**: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا بذلك؟ قال: «الجنة». قالوا: ابسط يدك. فبسط يده فبايعوه"(٢).

---

(١) من رواية جابر السابقة، وقد رواها الإمام أحمد بإسناد حسن.

(٢) ابن هشام: (١/ ٤٤٦).

 **عقد البيعة الثانية الكبرى بالعقبة:**

* وبعد الاطمئنان على استعدادهم لتحمل المسئولية والإقرار ببنود البيعة، بدأ عقد البيعة بالمصافحة، قال جابر - بعد أن حكى قول أسعد بن زرارة-: "فقالوا يا أسعد، أمط عنا يدك، فو الله لا نذر هذه البيعة، ولا نستقيلها"(١).

* وحينئذ رأى أسعد بن زرارة روح اليقين والاستبسال ومدى استعداد القوم للتضحية والفداء فتأكد واطمئن، حيث كان هو القائد مع مصعب بن عمير على هؤلاء المبايعين وأسبقهم للبيعة.

* قال ابن إسحاق: "فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده"(٢).

---

(١) من حديث جابر بن عبد الله الذي سبق ذكره.

(٢) انظر ابن هشام: (١/ ٢٣٧) طبعة دار المنار، حيث اختلف في اسم الصحابي، قال ابن إسحاق: بنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده، وبنو عبد الأشهل يقولون: بل أبو الهيثم بن التيهان، وقال كعب بن مالك: كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن مَعْرور.

* وبعدها قام المبايعون واحدا تلو الآخر لمبايعة النبي - ﷺ - وبدأت البيعة الكبرى.

* **قال جابر**: "فقمنا إليه رجلا رجلا فأخذ علينا البيعة، يعطينا بذلك الجنة"(١).

* وأما بيعة المرأتين اللتين شهدتا الوقعة فكانت قولا. ما صافح رسول الله ﷺ امرأة أجنبية قط"(٢).

* **قال ابن إسحاق:** فجميع من شهد العقبة، من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان منهم، يزعمون أنهما قد بايعتا، وكان رسول الله - ﷺ - لا يصافح النساء، إنما كان يأخذ عليهن، فإذا أقررن قال: "اذهبن فقد بايعتكن"(٣)

وفي ختام البيعة طلب رسول الله ﷺ أن يختاروا اثني عشر زعيمًا، ليكونوا نقباء على قومهم، يكفلون المسئولية عنهم في تنفيذ بنود هذه البيعة، فقال النبي - ﷺ - للقوم: «أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيبًا؛ ليكونوا على قومهم بما

(١) مسند الإمام أحمد: (٣/٣٢٢).

(٢) صحيح مسلم: باب كيفية بيعة النساء:(٢/ ١٣١).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام، طبعة دار المنار: (١/ص٢٤٦).

فيهم»؛ فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا: تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، وهذا بيان أسمائهم:

نقباء الخزرج:

١ـ أسعد بن زُرَارَة بن عُدَس بن عبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار، وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج.

٢ـ سعد بن الرَّبِيع بن عمرو بن أبي زُهَير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثَعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج.

٣ـ عبد الله بن رَوَاحة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج.

٤ – رافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق بن عامر بن زُرَيق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضب بن جشم بن الخزرج.

٥ـ البراء بن مَعْرُور بن صَخْر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غَنْم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن سَاردة بن يزيد بن جُشَم بن الخزرج.

٦ـ عبد الله بن عمرو بن حَرَام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جُشَم بن الخزرج.

٧- عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج.

٨ ـ سعد بن عُبَادة بن دُلَيْم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طَرِيف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج.

٩- المنذر بن عمرو بن خُنَيْس بن حارثة بن لَوْذَان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج.

نقباء الأوس:

١ـ أُسَيْد بن حُضَيْر بن سِمَاك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد

الأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس.

٢ـ سعد بن خَيْثَمَة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحَّاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس.

٣- رفاعة بن عبد المنذر بن زَنْبَر بن زيد بن أميَّة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس.

* هكذا ذكرهم ابن إسحاق المطلبي فيما روى ابن هشام عن زياد بن عبد الله الْبَكَّائي عن ابن إسحاق، وذكر كعب فيهم أبا الهيثم بن التَّيهان ولم يذكر رفاعة.

* **قال ابن إسحاق**: "فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله - ﷺ - قال للنقباء: «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل على قومي» ـ يعني المسلمين ـ قالوا: نعم"(١).

(١) نفس المصدر: (٢٣٧/١).



فائدة في ذكر بيعة النساء وبيعة الحرب:

* بيعة العقبة الأولى هي بيعة النساء سُمِّيَت بذلك لأن البيعة خلت من شرط الحرب أو القتال، ولم يأذن الله فيها للرسول ﷺ بالحرب.

* وسُمِّيَت بيعة العقبة الثانية بالبيعة الكبرى والأخيرة كما سمِّيَت ببيعة الحرب؛ لأن الله أذن فيها للنبي ﷺ بالحرب، فبايع أهل العقبة الثانية على حرب الأحمر والأسود من المشركين وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة.

تنفير الشيطان للمبايعين في العقبة:

* هذه حادثة ورد فيها تنفير الشيطان للمبايعين، وجاء فيها رد النبي ﷺ ووعيده له، كما اتضح منها استعداد الأنصار لضرب قريش واستبسالهم لكنّ النبي ﷺ أخبرهم أنه لم يؤمر بذلك وأن يرجعوا لرحالهم، وتجلت طاعتهم للنبي ﷺ عندما رجعوا وناموا، وبعد ذلك سيتضح من الحديث التالي مجيء زعماء قريش لقادة يثرب لتسرب خبر المبايعة لهم والذي أحزنهم لعلمهم بعواقب مثل هذه البيعة،

ولكن الذين ردوا على زعماء قريش هم المشركون من زعماء يثرب ولم يكن لديهم علم بالبيعة؛ لأن خبر البيعة كان سرًّا بين المسلمين منهم، فأجاب قادة يثرب من المشركين بالنفي والإنكار وقد صدق زعماءُ قريش ذلك ورجعوا، ثم تبين لقريش بعد مزيد من البحث صحةَ خبر البيعة ولكن حينها كان المسلمون من الأنصار في طريق الرجوع إلى يثرب، فسارعوا في مطاردتهم لكن لم يتمكنوا من رؤية أحد منهم إلا المنذر بن عمرو وقد أعجزهم اللحاق به، ومِن رؤية سعد بن عبادة الذي ألقوا القبض عليه وأعادوه مقيدا إلى مكة لكن خلصه من أيديهم المطعم بن عدي والحارث بن حرب بن أمية؛ لأن سعدا كان يجير لهما قوافلهما المارة بالمدينة، وإليك تفصيل هذا الخبر في ختام البيعة الكبرى:

* **قال ابن إسحاق:** قال الزهري: حدثني معبد بن كعب بن مالك، قال: كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن مَعْرور، ثم بايع بعدُ القوم فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط : يا أهل

الجباجب – والجباجب : المنازل – هل لكم في مذمم والصباة معه ، قد اجتمعوا على حربكم . قال : فقال رسول الله ﷺ : هذا أزب العقبة ، هذا ابن أزيب – قال ابن هشام : ويقال ابن أزيب – أتسمع أي عدو الله ، أما والله لأفرغن لك قال: ثم قال رسول الله ﷺ : ارْفَضُّوا إلى رحالكم. قال : فقال له العباس بن عبادة بن نَضْلة : والله الذي بعثك بالحق : إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا ؟

❋ **قال:** فقال رسول الله ﷺ: لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم . قال : فرجعنا إلى مضاجعنا، فنمنا عليها حتى أصبحنا، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش، حتى جاءونا في منازلنا ، فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا، أن تنشب الحرب بيننا وبينهم ، منكم. قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء، وما علمناه. قال: وقد صدقوا ، لم يعلموه. قال: وبعضنا ينظر إلى بعض. قال: ثم قام القوم،

وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، وعليه نعلان له جديدان قال فقلت له كلمة – كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا – : يا أبا جابر ، أما تستطيع أن تتخذ ، وأنت سيد من ساداتنا، مثل نعلي هذا الفتى من قريش ؟ قال : فسمعها الحارث، فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إلي، وقال: والله لتنتعلنهما. قال: يقول: أبو جابر: مه، أحفظت والله الفتى، فاردد إليه نعليه. قال: قلت: والله لا أردهما، فأل والله صالح، لئن صدق الفأل لأسلبنه.

* **قال ابن إسحاق:** وحدثني عبد الله بن أبي بكر: أنهم أتوا عبد الله بن أبي بن سلول فقالوا له مثل ما قال كعب من القول، فقال لهم: (والله) إن هذا الأمر جسيم ما كان قومي ليتفوتوا علي بمثل هذا، وما علمته كان . قال : فانصرفوا عنه، قال: ونفر الناس من كل منى ، فتنطس القوم الخبر ، فوجدوه قد كان ، وخرجوا في طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر والمنذر بن عمرو ، أخا بني ساعدة بن كعب بن الخزرج ، وكلاهما كان نقيبا. فأما المنذر فأعجز القوم وأما سعد فأخذوه،

فربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحله، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه، ويجذبونه بجمته وكان ذا شعر كثير، قال سعد: فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع علي نفر من قريش، فيهم رجل وضيء أبيض ، شعشاع حلو من الرجال قال: فقلت في نفسي: إن يك عند أحد من القوم خير ، فعند هذا، قال: فلما دنا مني رفع يده فلكمني لكمة شديدة.

* **قال:** فقلت في نفسي: لا والله ما عندهم بعد هذا من خير. قال: فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني إذ أوى لي رجل ممن كان معهم، فقال ويحك أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد؟ قال : قلت: بلى ، والله، لقد كنت أجير لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف تجارة، وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي، وللحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف قال: ويحك فاهتف باسم الرجلين، واذكر ما بينك وبينهما. قال : ففعلت، وخرج ذلك الرجل إليهما، فوجدهما في المسجد عند الكعبة ، فقال لهما: إن رجلا من الخزرج الآن يضرب

بالأبطح ويهتف بكما ، ويذكر أن بينه وبينكما جوارا ؟ قالا: ومن هو؟ قال سعد بن عبادة ؛ قالا: صدق والله إن كان ليجير لنا تجارنا ، ويمنعهم أن يظلموا ببلده. قال: فجاءا فخلصا سعدا من أيديهم ، فانطلق. وكان الذي لَكَم سعدا، سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن لؤي.

 ومضة الجوهرة في آثار وفوائد بيعة العقبة الكبرى:

١- قوة الإيمان التي تجلت في تلبية الأنصار ومجيئهم من يثرب إلى مكة دافع لا يُستهان به.

٢- الاستعداد لتحمل العواقب والمغارم المترتبة على تلك البيعة هو حصاد يقين وثقة بثها القرآن في صدور المبايعين، وهذا اليقين هو سلاح ودرع في كل ملمة يتجدد من مصدره القرآن للمؤمنين في كل زمان بقدر إيمانهم وثقتهم بالله.

٣- قوة التآخي في الله ونصرة المسلم للمسلم تأييد من الله وعز وتملأ النفوس حبا في الله.

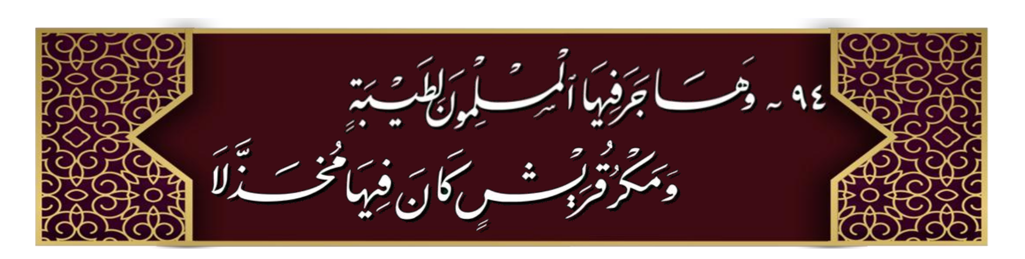
٤- جواز طلب النصرة والمساعدة لخدمة الدين أو لهدف نبيل، والصبر في حال عدم الاستجابة لطلب النصرة، فقد تجلى ذلك في قول وفعل رسول الله ﷺ وفيما حدث معه؛ ففي الحديث أنه لَبِثَ عَشْرَ سِنينَ يَتْبَعُ الحاجَّ في مَنازِلِهم في المَوسِمِ وبِمِجَنَّةَ وبعُكاظَ، وبمَنازِلِهم بمِنًى يقولُ: مَن يُؤْويني؟ مَن يَنصُرُني؟ حتى أُبَلِّغَ رِسالاتِ ربِّي وله الجَنَّةُ؟ فلا يَجِدُ أحَدًا يَنصُرُهُ ويُؤْويه.

٥- نهي النبي ﷺ للأنصار عن التسرع حينما طلبوا أن يميلوا على أهل الوادي فيقتلونهم وقال لهم: " لم أؤمر بذلك "؛ ففي هذا الموقف حكمة ترشد للتأني حتى لا تضيع الجهود المبذولة.

٦- جمع الإسلام لشمل الأوس والخزرج وتوحيد الصفوف بعد الفرقة التي كانت أحدثتها اليهود بينهم في المدينة حتى جاء الإسلام ليجمع الشمل، وهذا فضل ونعمة لا يخفى وقعها وأثرها.

هجرة المسلمين إلى المدينة



المعنى: أتى في هذا البيت خبر هجرة المسلمين إلى يثرب تجنبا لأذى كفار قريش، وأشرتُ فيه لمكر قريش وتعمدها عرقلة الهجرة إلى المدينة بكل الطرق؛ فقد أثارت المشاكل أمام المهاجرين، سواء بحجز أموالهم ومنعهم من أخذها، أو بحجز أطفالهم وزوجاتهم، ثم بالاحتيال لإعادتهم إلى مكة، لكن تلك الخطط الخبيثة لم تؤثر على المهاجرين الذين كانوا على أتم الاستعداد للانخلاع عن أموالهم وذويهم ومصالحهم، وللتضحية في سبيل الله بأرواحهم وما ملكوا.

تَنَسَّمْ من نسائم سيرته ﷺ عبير ما يلي:

* بعد تمام بيعة العقبة الثانية كان قد اشتد الأذى بالمسلمين في مكة وأذن الله للنبي ﷺ في القتال بعد مرور مدة كبيرة لم يؤمر فيها إلا بالصبر على الأذى والدعاء والصفح عن الجاهلين، ونزل قول الله تعالى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ [سُورَةُ الحَجِّ: ٣٩-٤١]

* وكذلك قول الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٩٣]

* وبذلك قد أذن الله تعالى في القتال ومع تأييد الأنصار للنبي ﷺ ونصرتهم له أمر

المسلمين بالهجرة للمدينة حتي يأمنوا على أنفسهم، ويتمكنوا من إقامة شعائر دينهم بلا خوف ولا ضرر، واستجاب المسلمون برغم التضحية الكبيرة بإهدار المصالح والأموال؛ للنجاة بالأنفس والتي تحيط بها المخاطر في الطريق بهذه الرحلة كذلك، وهاجروا، وانتظر النبي ﷺ بمكة حتى يأذن له الله في الخروج للمدينة.

وسبق للهجرة عدد من الصحابة، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه: "أوَّلُ مَن قَدِمَ علَيْنا مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ وابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وكانا يُقْرِئانِ النَّاسَ، فَقَدِمَ بلالٌ وسَعْدٌ وعَمَّارُ بنُ ياسِرٍ، ثُمَّ قَدِمَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ في عِشْرِينَ مِن أصْحابِ النبيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدِمَ النَّبيُّ ﷺ، فَما رَأَيْتُ أهْلَ المَدِينَةِ فَرِحُوا بشَيءٍ فَرَحَهُمْ برَسولِ اللهِ ﷺ، حتَّى جَعَلَ الإماءُ يَقُلْنَ: قَدِمَ رَسولُ اللهِ ﷺ، فَما قَدِمَ حتَّى قَرَأْتُ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ في سُوَرٍ مِنَ المُفَصَّلِ"(١).

* واتفق موسى بن عقبة وابن إسحاق على أن أبا سلمة بن عبد الأسد هو أول

(١) صحيح البخاري: (٣٩٢٥).

الصحابة الذين هاجروا من مكة إلى المدينة بعد أن آذته قريش إثر رجوعه من هجرة الحبشة؛ فقصد المدينة قبل بيعة العقبة بعام.

* وفي حديث أم سلمة كلام عن السبق إلى الهجرة حيث قالت: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: "ما من مُسلِمٍ تُصيبُه مُصيبةٌ، فيقولُ ما أمرَه اللهُ: إنَّا للهِ وإنَّا إليه راجِعونَ، اللهُمَّ أْجُرْنِي في مُصيبتي، وأخلِفْ لي خيرًا منها، إلَّا أخلَفَ اللهُ له خيرًا منها"، **قالت:** فلمَّا مات أبو سَلَمةَ **قُلْتُ:** أيُّ المُسلِمينَ خَيرٌ مِن أبي سَلَمةَ؛ أوَّلُ بَيتٍ هاجَرَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ ؟! ثُمَّ إني قُلْتُها، فأخلف اللهُ لي رَسولَ اللهِ ﷺ ! قالت: أرسَلَ إليَّ رَسولُ اللهِ ﷺ حاطِبَ بنَ أبي بَلْتَعةَ يخطُبُني له، **فقُلْتُ:** إنَّ لي بِنتًا، وأنا غَيُورٌ، فقال: (أمَّا ابنَتُها فندعو اللهَ أن يُغْنِيَها عنها، وأدعو اللهَ أن يُذهِبَ الغَيْرَةَ).

* **قال الدهلويُّ:** (أوَّلُ بَيتٍ هاجَرَ) أي: أبو سَلَمَةَ أوَّلُ من هاجر إلى رسولِ اللهِ ﷺ ، قاله أبو نُعَيمٍ، ولعل المرادَ أوَّلُ من هاجر من الحَبَشةِ إلى المدينةِ، وكان هو وزوجَتُه أوَّلَ مَن هاجر إلى الحَبَشةِ، ثُمَّ إلى المدينةِ.

* ومن حديثها قيل أن أبا سَلمةَ عبد الله بن عبدِ الأسدِ أوَّل مَن هاجر إلى المدينةِ

مِن الصحابة رضوان الله عليهم مِنَ المُهاجرين مِن قُريشٍ مِن بني مَخزومٍ، وكانتْ هِجرتُه إليها بعدَ بَيعةِ العَقبةِ الأولى، وقبلَ بَيعةِ العَقبةِ الثَّانيةِ الكبرى، وذلك حينما آذاه كفار قُريش عقب عودته مِنَ الحَبشةِ، فعزم على الرُّجوعِ للحبشة، ثمَّ بَلَغهُ أنَّ بالمدينةِ لهم إخوانًا، فقرر أن يهاجر إليها.

* **قالتْ أمُّ سَلمةَ:** "لمَّا أجمع أبو سَلمةَ الخُروجُ إلى المدينةِ رَحَّلَ لي بَعيرَهُ ثمَّ حملَني عليه، وجعل معي ابْني سَلمةَ بنَ أبي سَلمةَ في حِجْري، ثمَّ خرج يقود بي بَعيرَهُ، وانطلق به بنو عبدِ الأسدِ، وحبسني بنو المُغيرةِ عندهم وانطلق زوجي أبو سَلمةَ إلى المدينةِ. قالتْ: ففُرِّق بيني وبين ابْني وبين زوجي. قالت: فكنتُ أخرُج كُلَّ غَداةٍ فأجلِسُ في الأَبْطَحِ، فما أزالُ أبكي حتَّى أُمْسي، سَنَةً أو قريبًا منها، حتَّى مَرَّ بي رجلٌ مِن بني عَمِّي أحدُ بني المُغيرةِ، فرأى ما بي فرحِمَني، فقال لِبَني المُغيرةِ: ألا تحرجون من هذه المِسكينةِ؟ فرَّقتُم بينها وبين زوجِها وبين ولدِها؟ **قالت:** فقالوا لي: الْحَقي بزوجِك إن شئتِ. قالت: فَرَدَّ بنو عبدِ الأسدِ إليَّ عند ذلك ابْنِي، **قالت**: فارتحلتُ بعيري، ثمَّ أخذتُ ابْنِي فوضعتُه في حِجْري، ثمَّ خرجتُ أُريدُ

زوجي بالمدينةِ. **قالت**: وما معي أحدٌ من خَلقِ الله، حتَّى إذا كنتُ بالتَّنعيمِ لَقيتُ عُثمانَ بنَ طلحةَ بنِ أبي طلحةَ أخا بني عبدِ الدَّارِ، **فقال**: إلى أين يا ابنةَ أبي أُميَّةَ؟ **قلتُ**: أُريدُ زوجي بالمدينةِ. قال: أَوَمَا معكِ أحدٌ؟ **قلتُ**: ما معي أحدٌ إلَّا الله وابْنِي هذا. **فقال**: والله ما لكِ مِن مَتْرَكٍ. فأخذ بخِطامِ البَعيرِ فانطلق معي يَهْوي بي، فَوَالله ما صَحِبتُ رجلًا مِن العربِ قَطُّ أَرى أنَّه كان أَكرمَ منه، كان إذا بلغ المنزِلَ أناخ بي، ثمَّ استأخر عنِّي حتَّى إذا نزلتُ استأخر ببعيري فحَطَّ عنه ثمَّ قيَّدهُ في الشَّجرِ، ثمَّ تنحَّى إلى شجرةٍ فاضطجع تحتها. فإذا دَنا الرَّواحُ قام إلى بعيري فقدَّمهُ فَرَحَّلَهُ، ثمَّ استأخر عنِّي **وقال**: ارْكَبي. فإذا رَكِبْتُ فاستويتُ على بعيري أتى فأخذ بخِطامهِ فقادَني حتَّى يَنزِلُ بي، فلمْ يَزلْ يصنعُ ذلك بي حتَّى أَقْدَمَني المدينةَ، فلمَّا نظر إلى قريةِ بني عَمرِو بنِ عَوفٍ بقُباءٍ قال: زوجُكِ في هذه القريةِ. وكان أبو سَلمةَ بها نازلًا، فادْخُليها على بركةِ الله. ثمَّ انصرف راجعًا إلى مكَّةَ"(١).

---

(١) سيرة ابن هشام، طبعة دار المنار: (١/ ص٢٤٨، ٢٤٩).

 **ومن المهاجرين بعد ذلك:**

* **قال ابن إسحاق:** "ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة : عامر بن ربيعة، حليف بني عدي بن كعب ، معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عدي بن كعب. ثم عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة، حليف بني أمية بن عبد شمس، احتمل بأهله وبأخيه عبد بن جحش، وهو أبو أحمد - وكان أبو أحمد رجلا ضرير البصر ، وكان يطوف مكة، أعلاها وأسفلها ، بغير قائد، وكان شاعرا ، وكانت عنده الفرعة ابنة أبي سفيان بن حرب ، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم - فغلقت دار بني جحش هجرة ، فمر بها عتبة بن ربيعة . والعباس بن عبد المطلب ، وأبو جهل بن هشام بن المغيرة ، وهي دار أبان بن عثمان اليوم التي بالردم ، وهم مصعدون إلى أعلى مكة ، فنظر إليها عتبة بن ربيعة تخفق أبوابها يبابا ، ليس فيها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفس الصعداء، ثم قال :

(وكل دار وإن طالت سلامتها... يوما ستدركها النكباء والحوب)

* **قال ابن هشام:** وهذا البيت لأبي داود الإيادي في قصيدة له. والحوب: التوجع.

* **قال ابن إسحاق:** ثم قال عتبة (بن ربيعة): أصبحت دار بني جحش خلاء من أهلها، فقال أبو جهل: وما تبكي عليه من قل بن قل. قال ابن هشام: القل: الواحد.

* **قال لبيد بن ربيعة:**

(كلُّ بَني حُرَّة مصيرُهم ... قُلّ وإن أكثرت من العدد)

* **قال ابن إسحاق:** ثم قال: هذا عمل ابن أخي هذا، فرق جماعتنا، وشتت أمرنا وقطع بيننا. فكان منزل أبي سلمة بن عبد الأسد، وعامر بن ربيعة، وعبد الله بن جحش، وأخيه أبي أحمد بن جحش ، على مبشر بن عبد المنذر بن زنبر بقباء. في بني عمرو بن عوف ، ثم قدم المهاجرون أرسالا، وكان بنو غنم ابن دودان أهل إسلام، قد أوعبوا إلى المدينة مع رسول الله ﷺ هجرة رجالهم ونساؤهم: عبد الله بن جحش، وأخوه أبو أحمد بن جحش، وعكاشة بن محصن، وشجاع، وعقبة ، ابنا وهب، وأربد بن حميرة.

* وقال ابن إسحاق: ومنقذ بن نباتة، وسعيد بن رقيش، ومحرز بن نضلة، ويزيد بن رقيش، وقيس بن جابر، وعمرو بن محصن، ومالك بن عمرو، وصفوان بن عمرو، وثقف بن عمرو، وربيعة بن أكثم، والزبير بن عبيد، وتمام بن عبيدة، وسخبرة بن عبيدة ، ومحمد بن عبد الله بن جحش.

* **ومن نسائهم:** زينب بنت جحش، وأم حبيب بنت جحش، وجذامة بنت جندل، وأم قيس بنت محصن، وأم حبيب بنت ثمامة، وآمنة بنت رقيش، وسخبرة بنت تميم ، وحمنة بنت جحش"(١).

(١) السيرة النبوية لابن هشام، طبعة دار المنار: (١/ ص٢٥٠،٢٤٩).

 **هجرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه للمدينة:**

❋ لقد اتفق عمر بنُ الخطاب وعيَّاش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص بن وائل أن يجتمعوا صباحا في موضع اسمه التَّنَاضُب ثم يهاجرون إلى المدينة، فاجتمع عمر وعياش وحُبِس عنهما هشام بن العاص، ووصلا للمدينة ونزلا بقباء، فجاء أبو جهل وأخوه الحارث إلى عيّاش، وعياش أخوهما مِن أسماء بنت مُخَرِّبَة، وفتناه بخبر أقلقه وجعله يرق ويستجيب للذهاب معهما ثم عدوا عليه وأوثقاه ودخلا به مكة نهارا موثقا.

❋ **قال ابن إسحاق:** "ثم خرج عمر بن الخطاب، وعياش بن أبي ربيعة المخزومي، حتى قدما المدينة. فحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر، عن أبيه عمر بن الخطاب، قال: اتَّعَدْتُ لما أردنا الهجرة إلى المدينة، أنا وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل السهمي التناضب من أضاة بني غفار، فوق سرف، وقلنا : أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض

صاحباه. قال: فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب، وحبس عنا هشام، وفُتِن فافتتن.

تفصيل تغرير أبي جهل والحارث بعياش وواقعة رده إلى مكة وفتنته:

* **قال:** فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقباء، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش بن أبي ربيعة، وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما، حتى قدما علينا المدينة، ورسول الله ﷺ بمكة، فكلماه وقالا: إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرق لها، فقلت له: يا عياش، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت. قال: فقال: أبر قسم أمي، ولي هنالك مال فآخذه. قال: فقلت: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالا، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما. قال: فأبى علي إلا أن يخرج معهما ؛ فلما أبى إلا ذلك، قال: قلت له : أما إذ قد فعلت ما فعلت، فخذ

ناقتي هذه ، فإنها ناقة نجيبة ذلول، فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب، فانج عليها . فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال له أبو جهل: يا ابن أخي، والله لقد استغلظت بعيري هذا، أفلا تعقبني على ناقتك هذه؟ قال: بلى. قال: فأناخ، وأناخا ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عدوا عليه، فأوثقاه وربطاه، ثم دخلا به مكة.

* **قال ابن إسحاق:** فحدثني به بعض آل عياش بن أبي ربيعة: أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهارا موثقا، ثم قالا: يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسفهائكم، كما فعلنا بسفيهنا هذا.

* **قال ابن إسحاق:** وحدثني نافع، عن عبد الله بن عمر، عن عمر في حديثه، قال: فكنا نقول: ما الله بقابل ممن افتتن صرفا ولا عدلا ولا توبة، قوم عرفوا الله، ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، أنزل الله تعالى فيهم، وفي قولنا وقولهم لأنفسهم:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ: ٥٣-٥٥]

* **قال عمر بن الخطاب:** فكتبتها بيدي في صحيفة، وبعثت بها إلى هشام بن العاص قال: فقال هشام بن العاص: فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى، أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها، حتى قلت: اللهم فهمنيها. قال: فألقى الله تعالى في قلبي أنها إنما أنزلت فينا، وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا. قال: فرجعت إلى بعيري، فجلست عليه، فلحقت برسول الله ﷺ وهو بالمدينة"(١).

(١) السيرة النبوية لابن هشام، طبعة دار المنار: (١/ ص ٢٥٠، ٢٥١).

الحديث عن تجهز أبي بكر الصديق رضي الله عنه للهجرة إلى المدينة ثم

حبس نفسه لصحبة النبي ﷺ:

عن أم المؤمنين عائشة زوج النَّبيِّ ﷺ ورضي عنها أنها قالت: "لم أعقِلْ أبويَّ قطُّ إلا وهما يَدِينانِ الدِّينَ، ولم يمُرَّ علينا يومٌ إلا أتينا فيه رسولُ اللهِ ﷺ طرَفَي النهارِ بُكرةً وعشِيَّةً ، فلما ابتُلِيَ المسلمونَ، خرج أبو بكرٍ مُهاجرًا نحو أرضِ الحبشةِ حتى إذا بلغ برْكَ الغَمادِ لقِيَه ابنُ الدَّغِنَةَ وهو سيِّدُ القارَةِ قال: أين تريدُ يا أبا بكرٍ؟ قال أبو بكرٍ: أَخْرَجَني قومي، فأريدُ أن أسيحَ في الأرضِ ، وأعبدُ ربي ، قال ابنُ الدَّغِنَةَ: فإنَّ مثلَك – يا أبا بكرٍ – لا يخرجُ ، ولا يخرجُ ، أنت تَكسِبُ المُعدَمَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَحمِلُ الكَلَّ، وتُقرِي الضَّيفَ ، وتُعينُ على نوائبِ الحقِّ، فأنا لك جارٌ. ارجِعْ واعبُدْ ربَّك ببلدِك، فرجع، وارتحل معه ابنُ الدَّغِنَةَ، فطاف ابنُ الدَّغِنةَ عشيَّةً في أشرافِ قريشٍ، فقال لهم: إنَّ أبا بكرٍ لا يُخرَجُ مثله، ولا يَخرُجُ، أَتُخرِجون رجُلًا يُكسبُ المُعدَمَ ، ويَصِلُ الرَّحِمَ ، ويَحمِلُ الكَلَّ ، ويُقرِي الضَّيفَ ، ويعينُ على

نوائبِ الحقِّ . فلم تَكذِبْ قريشٌ بجوارِ ابنِ الدَّغِنَةَ، وقالوا لابنِ الدَّغِنَةَ: مُرْ أبا بكرٍ، فلْيعبُدْ ربَّه في دارِه، فلْيُصلِّ فيها، وليقرأْ ما شاء، ولا يُؤذِينا بذلك، ولا يَستَعْلِنْ به، فإنا نخشى أن يَفتِنَ نساءَنا وأبناءَنا. فقال ذلك ابنُ الدَّغِنَةَ لأبي بكرٍ ، فلبثَ أبو بكرٍ بذلك يعبدُ ربَّه في دارِه ، ولا يَستَعْلِنْ بصلاتِه، ولا يقرأُ في غيرِ دارِه، ثم بدا لأبي بكرٍ ، فابتَنى مسجدًا بفناءِ دارِه ، وكان يُصلِّي فيه ، ويقرأُ القرآنَ ، فيتقذَّفُ عليه نساءُ المُشركينَ وأبناؤهم يعجَبون منه ، وينظرون إليه ، وكان أبو بكرٍ رجلًا بكَّاءً لا يملِكُ عينَيه إذا قرأ القرآنَ ، وأفزَع ذلك أشرافَ قريشٍ من المشركين ، فأرسَلوا إلى ابنِ الدَّغِنَةَ ، فقدِم عليهم ، فقالوا : إنا أَجَرْنا أبا بكرٍ بجوارِك على أن يعبدَ ربَّه في دارِه ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدًا بفناءِ دارِه، فأعلنَ الصلاةَ والقراءةَ فيه ، وإنا قد خشِينا أن يَفتِنَ نساءَنا وأبناءَنا ، فانْهَه ، فإن أحَبَّ أن يقتصرَ على أن يعبدَ ربَّه في دارِه ، فعل ، وإن أبى إلا أن يُعلِنَ بذلك ، فسَلْه أن يَرُدَّ إليك ذِمَّتَك ، فإنا قد كَرِهنا أن نَخفِرَك ، ولسنا مُقِرِّينَ لأبي بكرٍ الاستعلانَ . قالت عائشةُ : فأتى ابنُ الدَّغِنَةَ إلى

أبي بكرٍ ، فقال : قد علمتَ الذي عاقدتُ لك عليه ، فإما أن تقتصرَ على ذلك ، وإما أن تُرجِعَ إليَّ ذِمَّتي ، فإني لا أُحبُّ أن تسمعَ العربُ أني أُخفِرْتُ في رجُلٍ عَقدتُ له ، فقال أبو بكرٍ : فإني أرُدُّ إليك جوارَك ، وأَرْضَى بجوارِ اللهِ ، والنَّبيُّ ﷺ يومئذٍ بمكةَ ، فقال النَّبيُّ ﷺ للمسلمينَ : إني أُريتَ دارَ هجرتِكم ذاتَ نَخْلٍ بين لابَتَينِ ، وهي الحَرَّتانِ ، فهاجر من هاجر قبلَ المدينةِ ، ورجع عامَّةُ من كان هاجر بأرضِ الحبشةِ إلى المدينةِ ، وتجهَّز أبو بكرٍ قِبَلَ المدينةِ ، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ : على رِسلِك ، فإني أرجو أن يُؤذَنَ لي . فقال أبو بكرٍ: وهل ترجو ذلك بأبي أنت ؟ قال: نعم فحَبس أبو بكرٍ نفسَه على رسولِ اللهِ ﷺ ليصحَبَه، وعلق راحلتَينِ كانتا عند ورَقِ السَّمُرِ – وهو الخَبطُ – أربعةَ أشهرٍ"(١).

(١) حديث صحيح، شرح السنة : (٧/ ١٠٦)، وأخرجه البخاري (٣٩٠٥، ٣٩٠٦) مفرقًا باختلاف يسير.



قصة هجرة صهيب الرومي والتي كانت من أروع نماذج التضحية:

* روى عبد الرحمن النهدي: "إن صُهَيبًا حين أراد الهِجرَةَ إلى المدينةِ قال له كُفَّارُ قُرَيشٍ: أتَيتَنا صُعلوكًا فكثُر مالُكَ عِندَنا وبلَغتَ ما بلَغتَ، ثم تُريدُ أنْ تَخرُجَ بنَفْسِكَ ومالِكَ، واللهِ لا يكونُ ذلك، فقال لهم: أرأيتُم إنْ أعطَيتُكم مالي أتُخَلُّونَ سَبيلي ؟ فقالوا: نَعَمْ، فقال: أُشهِدُكم أنِّي قد جعَلتُ لكم مالي، فبلَغ ذلك رسولَ اللهِ ﷺ فقال: رَبِحَ صُهَيبٌ رَبِحَ صُهَيبٌ"(١).

تفصيل ما سبق:

* كان الصحابي الجليل صُهَيبٌ بن سنان الرُّوميُّ - رضي الله عنه - قد ضرَبَ أروَعَ الأمثلةِ في الاستبسال والتَّضحيةِ في سبيل الله واشترى دينه ونفسه، وجعل المال والجاه تحت قدميه ليرتفع إلى رضوان الله ويثبت على دينه.

* وكما روى التَّابعيُّ أبو عُثمانَ عَبدُ الرَّحمنِ بنُ مُلٍّ النَّهديُّ: أن الكفار قالوا للصحابي صُهَيب بن سِنانِ بنِ خالدِ بنِ عَبدِ عَمروِ بنِ النَّمِرِ بنِ قاسطٍ المَعروف

---

(١) حديث صحيح، المطالب العالية: (٤/ ٢٨٧).

بصُهَيبٍ الرُّوميِّ - رضي الله عنه - قد جئت إلى مكَّةَ فَقيرًا عَديمَ المالِ فكَثُرَ مالُكَ عندَنا وبلَغتَ ما بلَغتَ، ثم تُريدُ أنْ تَخرُجَ"! مُهاجِرًا "بنَفسِكَ ومالِكَ، واللهِ لا يكونُ ذلك".

* ولقد قالوا له ذلك؛ لأنَّ أبا صُهَيب أو عمه كان عامِلًا لكِسرَى على الأُبُلَّةِ بالعِراقِ، وكانتْ مَنازِلُهم بأرضِ المَوصِلِ في قَريةٍ على شَطِّ الفُراتِ، ممَّا يَلي الجَزيرةَ والمَوصِلَ، فأغارَتِ الرُّومُ على ذلك المكان فسَبَتْ صُهَيبًا في طفولته، فنشَأَ صُهَيبٌ بالرُّومِ حتى فهم لُغَتَهم وأجاد التحدث بها، فابتاعَتْه منهم قَبيلةُ كَلْبٍ، ثم جاءت به إلى مكَّةَ، فاشتَراه عَبدُ اللهِ بنُ جُدْعانَ فأعتَقَه، فأقامَ بمكَّةَ حتى هلَكَ ابنُ جُدْعانَ، فلمَّا كانت بعثة النَّبيّ ﷺ أسلَمَ صهيب وعَمَّارُ بنُ ياسرٍ - رضي الله عنهما - في نفس اليوم بعدَ بِضْعةٍ وثَلاثينَ رَجُلًا.

* وفي واقعة الهجرة قال صُهَيبٌ - رضي الله عنه - لكفار قريش: "أرَأَيتُم إنْ أعطَيتُكم مالي أتُخَلُّونَ سَبيلي؟" فتَترُكونَني وشَأني ولا تَتعرَّضونَ لي ولا تَمنَعونَني مِن الهِجرةِ؟

"فقالوا: نعمْ، فقال: أُشهِدُكم أنّي قد جعَلتُ لكم مالي"، فبذَلَ لهم مالَه فداء لنفْسِه وابتِغاءَ لرضوان اللهِ تَعالى والثبات على الدين؛ فعلِمَ النبي - ﷺ - ما فعَلَتْه قُرَيشٌ بصُهَيبٍ، فقال ﷺ : "ربِحَ صُهَيبٌ، ربِحَ صُهَيبٌ!" أي ربح وفاز بيع نفسه لله، وسمّى فعل صهيب بيعا وقد حق فيه قَولُ الله تَعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِى نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٢٠٧﴾ [البقرة: ٢٠٧]؛ لأنَّه اشتَرى نفْسَه مِن قُرَيشٍ بمالِه ثم هاجَرَ في سَبيلِ اللهِ، وما خرَجَ عن حاجة ولا فاقةٍ، بل استغنى عن المال فداءً لنفسه وحفظا لدينه.

ومضة الجوهرة في العبر والفوائد المستخلصة من هجرة المسلمين للمدينة:

١- إن معنى الهجرة الذي يتمثل في إكراه المؤمنين على ترك الوطن الذي غذَّاهم هواؤه وربَّاهم نسيمُه، وهو منذ نعومة أظفارهم عشُّهم، وفيه دورهم وعيشُهم، واضطرارهم للتضحية بالمال والعشيرة والمصالح في سبيل النجاة بالنفس والثبات على الدين ليس كهجرة شخص أراد الانتقال من بلد لبلد بحثا عن الرفاهية والرغد لتحسين أحواله، ومِن ثَم فالهجرة إلى المدينة في سبيل الدين لا يستطيعها إلا المؤمن الذي عظم في نفسه أمر الدين وهان في نظره ما دونه؛ وهذا يقودنا للتسليم بقوة الإيمان التي يهون بها كل نفيس من أمور الدنيا، وتقوَى النفس بها على كل مشقة، وتميز بين فضلاء البشر ومَن دونهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ٦٦]

٢- لقد تجلت في هذا الحدث قوةُ التوكل على الله الذي لا يخلي المتوكلين عليه من صنع لهم تنطوي عليه أثناء النكبات إذا طرقت ولطف بهم يلين صعاب الأمور إذا جمحت، واتضحت صورة التوكل في هجرة المسلمين إلى المجهول الذي تكون النفس فيه مستباحة بلا وطن ولا مال ولا أهل، فقد يهلك المهاجر بعدما ترك كل شيء في أول الطريق أو نهايته؛ ولكن قوة التوكل كانت قد ملأت نفوسهم بالطمأنينة ونقلتهم من العز المؤقت بأموالهم وعشائرهم إلى السعادة الدائمة والعز الأبدي في رضوان الله دنيا وأخرى؛ ذلك لأن الله منجز وعده ولا خلف عنده، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [سُورَةُ الطَّلَاقِ: ٣]

٣- تعلمنا الهجرة اليقين والثقة فيما عند الله وأن مَن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه بدليل حال المسلمين أثناء الهجرة الذي يبعث على الثقة بالله قبل رؤية بشائر العوض، وحالهم بعد الهجرة الذي يؤكد تحقيق العِوَض وحسن العاقبة والمثوبة

من الله ذي النعم السوابغ والحجج البوالغ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [سُورَةُ الطَّلَاقِ: ٢]

٤- تعلمنا الهجرة أيضا أنه ينبغي على المؤمن أن يحرص على التواجد في المكان الذي يأمن فيه على دينه، وهذا من الأخذ بالأسباب لصيانة الديانة والعزة والنصرة من معزِّ الحق وناصره ومُذِلّ الباطل وقاصره؛ لأن البيئة الفاسدة لا تتغير ولا تتأثر بصلاح قلة، إنما يحيا الصلاح ويزداد أثره في البيئة الصالحة، وتموت روحه في البيئة الفاسدة؛ لذا كان من سنن الله في الكون وحكمته أن يكون الحل هو الهجرة؛ فلا يستكبرنّ مؤمن على الانقياد لهذه الحكمة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ: ١٠]

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ٩٧]

٥- توالي الفتن لا يبيح اليأس من رحمة الله؛ فقد توالت على المسلمين فتنة ترك العشيرة والمال والوطن بعد فتنة الإيذاء والتعذيب وتمت الهجرة لحسن ظنهم بالله أن القادم أفضل وفيه النجاة والفرج ولِعِلْمِهِم أن صنع الله لطيف وفضله بهم مطيف وأن لله في شِدَّتِهِم الصنع الجزيل بعد الصبر الجميل، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [سُورَةُ الشَّرحِ: ٥-٦]

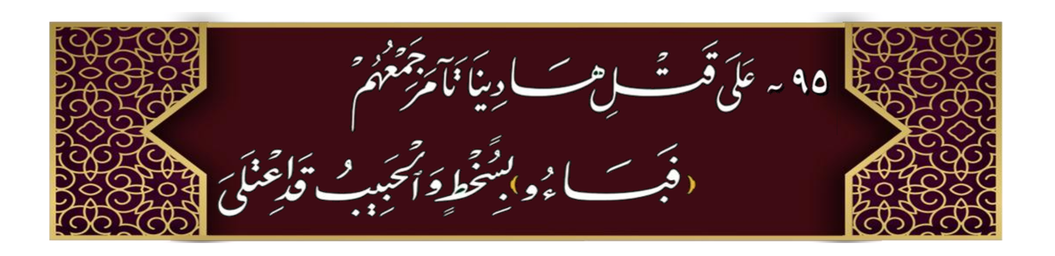
* **وقال تعالى:** ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ [سُورَةُ الطَّلَاقِ: ٧]

* **وقال تعالى:** ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾﴾ [سُورَةُ المَعَارِجِ: ٥]

* **وقال تعالى:** ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [سُورَةُ الرُّومِ: ٦٠]



مؤامرة قريش لقتل النبي ﷺ قبل الهجرة النبوية



المعنى: بعد هجرة المسلمين إلى يثرب وبقاء النبي ﷺ مع عدد قليل من الصحابة في مكة تآمرت قريش على قتل النبي ﷺ ولكن مكرهم كان مخذلا باء بالفشل.

تَنَسَّمْ من نسائم سيرته ﷺ عبير ما يلي:

مكث النبي ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من فُتِن أو حُبِس، وذلك ما عدا علي بن أبي طالب، وأبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن النبي ﷺ في الهجرة، فيقول له رسول الله ﷺ : لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا، فيبتهج أبو بكر طمعا في أن يكون صاحبه النبي ﷺ .

* **قال ابن إسحاق:** "ولما رأت قريش أن رسول الله- ﷺ - قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا دارا، وأصابوا منهم منعة، فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم، وعرفوا أنهم قد أجمع لحربهم؛ فاجتمعوا له في دار الندوة- وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمرا إلا فيها- يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ، حين خافوه.

اجتماع الشيطان وكفار قريش في دار الندوة:

* **وقال ابن إسحاق**: "فحدثني من لا أتهم من أصحابنا، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج، وغيره ممن لا أتهم، عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أجمعوا لذلك، واتعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله-ﷺ - غدوا في اليوم الذي اتعدوا له، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الرحمة، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل، عليه بتلة، فوقف على باب الدار،

فلما رأوه واقفا على بابها، قالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له، فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحا، قالوا: أجل، فادخل، فدخل معهم، وقد اجتمع فيها أشراف قريش، من بني عبد شمس: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب. ومن بني نوفل بن عبد مناف: طعيمة بن عدي، وجبير بن مطعم، والحارث بن عامر بن نوفل: ومن بني عبد الدار بن قصي: النضر بن الحارث بن كلدة.

* **ومن بني أسد بن عبد العزى**: أبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود ابن المطلب، وحكيم بن حزام. ومن بني مخزوم: أبو جهل بن هشام. ومن بني سهم: نبيه ومنبه ابنا الحجاج، ومن بني جمح: أمية بن خلف، ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش.

 جدال الكفار وأفكارهم وخططهم لقتل النبي ﷺ:

* فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأيا، قال: فتشاوروا ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد، وأغلقوا عليه بابا، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله، زهيرا والنابغة، ومن مضى منهم، من هذا الموت، حتى يصيبه ما أصابهم، فقال الشيخ النجدي: لا والله، ما هذا لكم برأي. والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم، فينزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به، حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي، فانظروا في غيره، فتشاوروا. ثم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا، فننفيه من بلادنا، فإذا أخرج عنا فو الله ما نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع، إذا غاب عنا وفرغنا منه، فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت، فقال الشيخ النجدي: لا والله، ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة

منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حي من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم، حتى يطأكم بهم في بلادكم، فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد، دبروا فيه رأيا غير هذا. قال: فقال أبو جهل ابن هشام: والله إن لي فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد، قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه. فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا، فرضوا منا بالعقل، فعقلناه لهم. قال: فقال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل، هذا الرأي الذي لا رأي غيره، فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له.

 نصيحة جبريل عليه السلام وشجاعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

* أتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ ، فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم، قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : نم على فراشي وتسج ببردى هذا الحضرمى الأخضر، فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم، وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام.

حديث قريش على باب النبي ﷺ :

* **قال ابن إسحاق**: فحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي.

* **قال**: لما اجتمعوا له، وفيهم أبو جهل بن هشام، فقال وهم على بابه: إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره، كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها.

 **خروج النبي ﷺ وعمى المشركين:**

* **قال:** وخرج عليهم رسول الله ﷺ، فأخذ حفنة من تراب في يده، ثم قال أنا أقول ذلك، أنت أحدهم. وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤسهم، وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ۝٩﴾ [يس: ١-٩]

* حتى فرغ رسول الله- ﷺ - من هؤلاء الآيات، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون هاهنا؟

قالوا: محمدا، قال: خيبكم الله! قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم

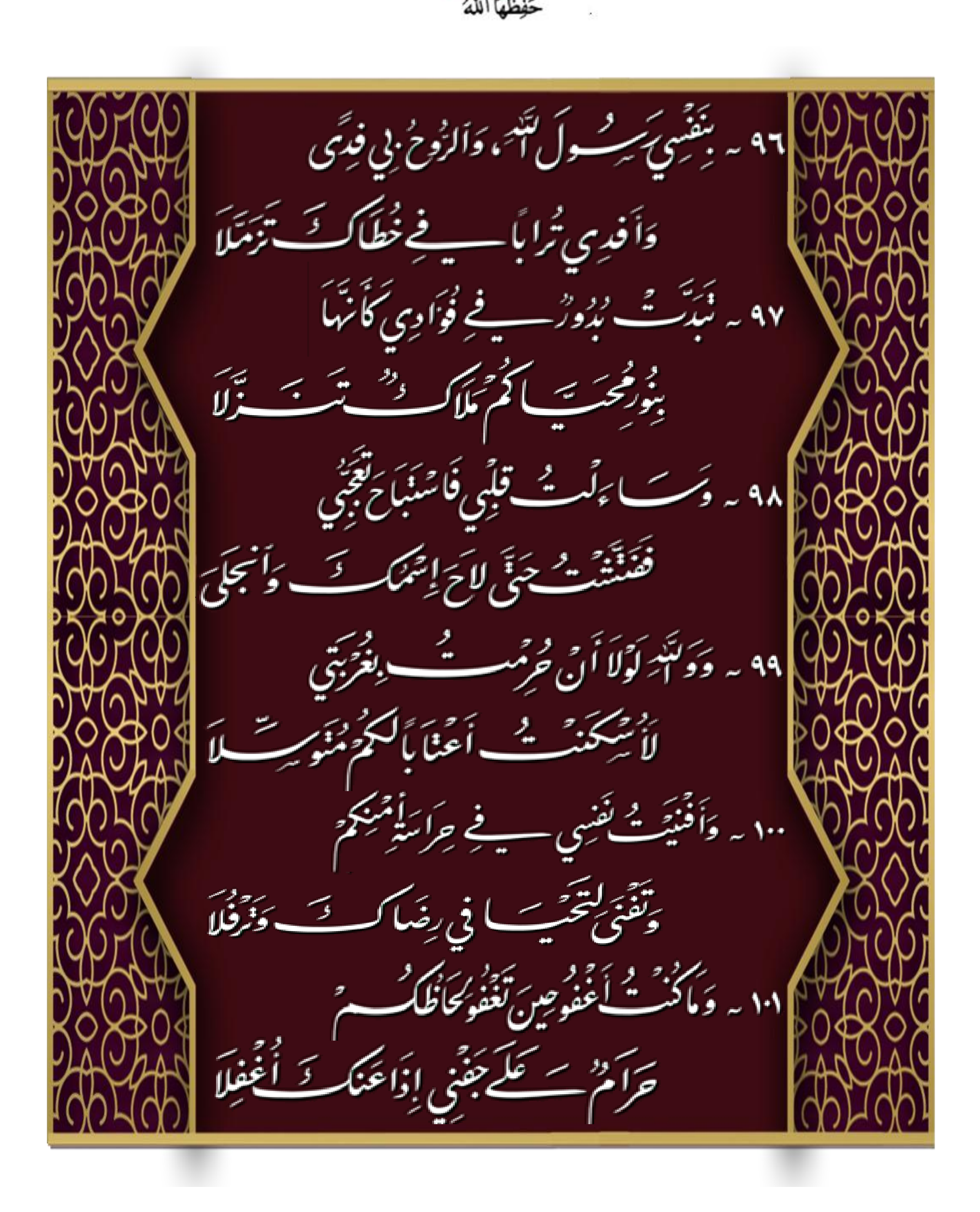
رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون، فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله - ﷺ، فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائما، عليه برده. فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي - رضي الله عنه - عن الفراش فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا.

* **قال ابن إسحاق**: وكان مما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك اليوم، وما كانوا أجمعوا له: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠]

* وقول الله عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ [الطور: ٣٠]

* **قال ابن إسحاق:** وأذن الله تعالى لنبيه ﷺ عند ذلك في الهجرة"(١).

(١) السيرة النبوية لابن هشام، طبعة دار المنار: (ج١ / ص٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦).



المعنى: لقد انسابت هذه المعاني إثر الحديث عن تآمر قريش على قتل النبي ﷺ فما كان مني إلا أن خرجت عن تسلسل النظم والأحداث قليلا، وقلت ما

معناه أني أفديه بنفسي وروحي كذلك فداء له، ولقد أشرق نور في فؤادي وبدور كأن هذا النور ملاك تنزل فسألت قلبي عن هذا النور فتعجب كيف لا أعرف سبب هذا النور وفتشت وتأملت حتى عرفت أن سبب هذا النور هو ذكري لاسم النبي ﷺ ، ثم قلت والله لولا غربتي لسكنت أعتاب النبي ﷺ أي لبقيت في الروضة وما فارقتها أبدا وكنت من حراسها، وأفنيت نفسي في حراسة أمنه من كل مكروه ونفسي إن فنيت في ذلك ستحيا ترفل في رضا من بعد رضا الله، وما كنت أغفو حين تغفو لحاظكم أي كنت سأظل مستيقظة منتبهة بدافع الحرص والمحبة الذي يُحَرِّم النوم على الجفون.

خاتمة المجلد الأول

وختاما أقول إن نظري في كتب السيرة النبوية طيلة عمري كان تأملا بها، أما كتابتي للجوهرة فكأنها هي التي أضحت تأمُّلًا بوجداني؛ فقد ظننت أنني سأتناول الأحداث بعدستي المكبرة لكنني وجدت أن الأحداث هي التي وضعت عدسة مكبرة على شعوري أثناء تناولها، وكثيرا ما كنت أشعر بالتورط؛ لاستغراقي في الحدث بعد الانتهاء منه واضطراري للبدء في الذي يليه قبل أن أشبع استغراقا في الحدث الأول، فأكف ما تبقى من دموعي مستسلمةً للحدث التالي الذي يشد ذراعي لأنتقل له وأبلِّل ببنات جفني أوراقه، وأنا لم أكتف من سكب نفسي فيما سبقه، ولم يكتفِ هو من سكب تفاصيله ومشاهده بي؛ لذا سأظل أشعر أنني لم أوفِ الجوهرة حقها.

وهنا تم بحمد الله المجلد الأول من كتاب الجوهرة في شرح المنظومة المنورة في السيرة النبوية المطهرة ويتبعه بحول الله وقوته المجلد الثاني ثم المجلد الثالث إن

شاء الله؛ فاللهم لك الحمد والشكر حمدا وشكرا خالِدَين مع خلودك، لا منتهى لهما دون علمك ولا منتهى لهما دون مشيئتك ولا آخر بعدهما إلا الاستجابة لدعائي في الخير كله ما حييت، والقبول والرضا والرضوان، وأن يغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات ويعطينا سؤلنا من خيري الدنيا والآخرة ومرافقة نبيه ﷺ في أعلى فراديس الجنان، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين عدد وملء كل شيء للحي القيوم إلى يوم الدين، وأضعاف ذلك أضعافا لا منتهى لها أبدا يا رب العالمين.

فهرس المجلد الأول